
الشيخ نعيم قاسم
مفاتيح السعادة
دار المحجة البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مفاتيح السعادة



مفاتيح السعادة

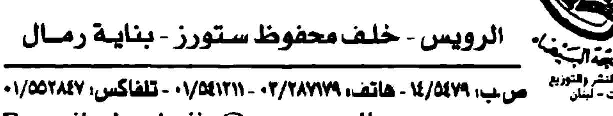
الشيخ نعيم قاسم

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م

الطبعة الثانية ١٤٣٤هـ ــ ٢٠١٣م

ISBN: 978-614-426-136-1



دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

المحتوى

الفصل الثاني: مفردات الرقي

الفصل الثالث: الدنيا دار بلاء

الفصل الرابع: الآخرة دار قرار

الفصل الخامس: المسؤولية

الفصل السادس: القيادة القدوة

الخاتمة

الإهداء

إلى الباحثين عن السعادة،
والتوّاقين لمعرفة الخطوات الموصلة إليها.

وإلى الراغبين في التخلص من القلق،
لشحذِ هممهم نحو الطمأنينة.

وإلى السالكين درب الهداية،
لتلمُّسِ أنوارها.

وإلى المجاهدين في سبيل الله تعالى،
السابقين إلى دربِ السعادة،
أقدِّم لهم ما يؤنسهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الحمد لله على الهداية إلى الإسلام، وإنارةِ الطريق إلى سعادة الدارين، والسلام على قدوةِ الأنام خاتم الرسل محمدﷺ وآله الأطهار عليهم السلام وأصحابه المنتجبين الأخيار.

كيف نتخلَّص من القلق الذي نعيشُهُ، والذي يوتِّرُ أعصابنا، ويُربِكُ تفكيرنا، ويؤثِّرُ على تصرفاتنا؟

كيف نَحدُّ من الأزمات النفسية التي نُعاني منها بسبب الأوضاع غير المستقرة، والبلاءات الشَّديدة التي تُصيبنا، والأحداث التي تُفاجئنا؟

هل يمكن التخلُّص من العادات السيئة للانتقال إلى عاداتٍ حسنةٍ، وسلوكٍ مرغوبٍ ومؤنسٍ ومفيد؟

هل يمكن دفعُ قضاء الله تعالى، وتعديلُ ما قدَّره على العباد، والاطمئنان إلى ما تبقَّى من حياتنا في هذه الدنيا؟

ماذا يفعل من ارتكب المعاصي الكثيرة، وآذى الناس في

حياته، هل له توبة؟ ومن أين يبدأ؟ وهل يمكن أن يَغْسِلَ ماضيه عملياً في هذه الدنيا؟

كيف تكون علاقتنا بالله تعالى قوية، نتفاعلُ مع أوامره ونواهيه، ونطلبُ منه حاجاتنا، فترتاحُ قُلوبُنا إلى هذه الصِّلة التي تمدُّنا بالحب والإرادة والاندفاع؟

ماذا نفعل لنطمئن إلى حُسْنِ أعمالنا، وسلامةِ منهجنا، وصلاحنا في الدنيا، وفوزنا في الآخرة؟

هل المطلوب منَّا أن نتخلَّى عن طيِّباتِ وملذَّاتِ الدنيا وهي في متناول أيدينا؟ وهل المطلوب أن نَحْرِم أنفُسنا من كلِّ شيء؟

هل تحقيق مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ممكنة لجميع الناس، أم لهم عذرٌ في عدم بلوغها لأنَّها نموذجٌ مختصٌ بالثُّلة القليلة منهم؟

نتخبَّطُ في حَسْم خياراتنا، وتشوِّشُ أفكارنا التوجيهات والنصائح المتناقضة التي نسمعها، وتجرفُنا النماذج المنحرفة إلى هلاكنا، فهل من سبيلٍ لنحصل على النموذج الأفضل، والرأي الأصوب، لنستقر نفسياً وعملياً؟

نهربُ من الموت لكنَّه يلاحقنا، ونخاف مجيئه، فيزداد قلقنا، فما هو الحل؟

هل كُتبَ علينا الشقاء في الدنيا؟ وهل المطلوب منا أن نفتِّشَ

عن كلٍّ ما يؤلمنا ويُتعبنا ويُعذِّبنا فيها لننال السعادة في الآخرة؟ أم أنَّنا نعاني من عدم فهم الحقيقة وضعف الإرادة والتسرُّع في قراراتنا؟

ما هو الحل للإجابة عن كلٍّ أسئلة القلق والحيرة والضياع، وعن إمكانية تحقيق السعادة في الدنيا قبل الآخرة؟

الدنيا مسرحٌ للعمل، ومتاعٌ مؤقت، فيها من الطيبات المحلَّلة والرزق الوفير والأعمال الصالحة ما يُغني الإنسان ويُسعده فيها، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وإنما يشقى الإنسان فيها بسبب اختياره للخبائث والرذائل، فهو الذي يتحمَّل مسؤولية سعادته أو شقائه في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

تتحقَّقُ السعادةُ في الدنيا قبل الآخرة، فينالُ المؤمنُ سعادةَ الدارين، ففي وصية النبي محمدﷺ لأبي ذر الغفاري، والتي وردت في آخر هذا الكتاب: «**يا أبا ذر، احفظْ ما أُوصيكَ به تَكُنْ سَعيداً في الدنيا والآخرة**».

ومن كتاب أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر: «**أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّه، وإِيْثَارِ طَاعَتِه، واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِه فِي كِتَابِه مِنْ فَرَائِضِه**

وسُنَنِه، الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، ولا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وإِضَاعَتِهَا».

فالطاعةُ لله تعالى، والسيرُ وفق تعاليمه، تُرشدُ الإنسان إلى الخطوات الصالحة للحياة الأفضل، فإذا اتَّبعها، حَصَدَ آثارَها من خيراتِ الدنيا، وعاشَ الطمأنينةَ في داخل نفسه، ما يُسعده ويؤنسه. ولا تعني السعادةُ ارتفاع الابتلاء والألم والتعب، بل يصبح تعامُلُهُ مع الابتلاءات بصبرٍ وتوكلٍ وتسليمٍ، فتتحقق سعادته في داخل نفسه، بتجاوزه للأزمات واستمراره وفق المنهج السليم.

تختلف السعادةُ عن الراحة، فلا راحة في الدنيا، لأنَّها دار بلاء واختبارات، فالراحةُ بعد الموت، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**اللهم إني أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب**».

أمَّا السعادة فهي حالةٌ نفسية يمكن تحقيقها في الدنيا من خلال الإرادة وقيادة النفس نحو صلاحها، ثم تكون السعادة الكبرى في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

اخترنا في هذا الكتاب المفردات التي تُساعد في تحقيق السعادة، بحيث يتناولُ كلُّ عنوانٍ فكرةً أو توجيهاً مؤثراً في جانب من جوانب الشخصية الإنسانية، لتحقِّق بمجموعها هدف الوصول إلى السعادة.

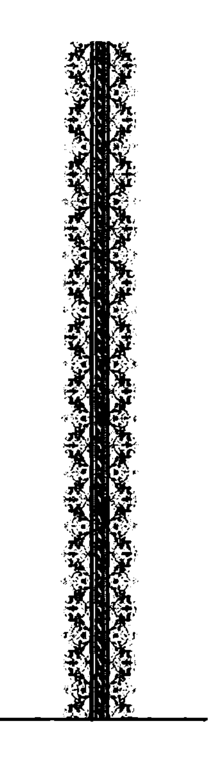
انطلقنا من الآيات القرآنية فهي خيرُ مرشدٍ ومُعين، فلكلِّ عنوانٍ آية، واستفدنا منها مفتاحاً يعبِّرُ عن الهدف الذي نبتغي الوصول إليه. فتحصَّلَ لدينا لكلٍّ فكرة: العنوان، ثم الآية القرآنية، ثم المفتاح، ثم الخطوات والفقرات التي تحقِّق الهدف المرسوم في المفتاح.

سمَّينا الكتاب «مفاتيح السعادة»، لأنَّ معرفة الأفكار والأهداف المطروحة في المفاتيح هي البداية، التي تفتحُ أمامنا أبواب السعادة من خلال: التوحيد، وتزكية النفس، والحب في الله تعالى، والعبادة، والاستغفار، والتقوى، والجهاد في سبيل الله تعالى، والصبر، والسعي للآخرة، والخُلُق الحسن، والاقتداء بمحمد ﷺ وآل محمد عليهم السلام . . .الخ.

اختصرنا في الشرح، واعتمدنا على نور الآيات والروايات، وحاولنا التوازن في مخاطبة العقل والقلب، وتركنا الفكرة تنسابُ من دون تكلُّف، لتوصلنا إلى خطوة من خطوات السعادة. سائلين المولى جلَّ وعلا أن يوفقنا لتحقيق قوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾.

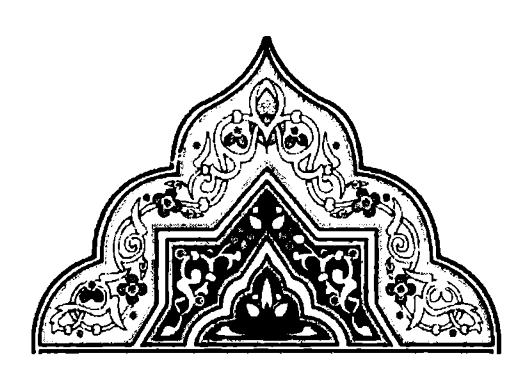
١٢ محرم ١٤٣٤ هـ
٢٧ تشرين الثاني ٢٠١٢ م

نعيم قاسم



الفصل الأول

الهداية والضلال



١- وحدانية وصفات الله تعالى

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾. (الحديد ١-٦).

المفتاح

أولُ خطوةٍ على طريق السعادة أنْ نعرِفَ ربَّنا، الواحد الأَحد، الذي له الصفات الحسنى، وبيده كلّ شيء، فنعبُده، ونلجأُ إليه، ونستمدُّ منه ما يُصلح حياتنا وآخرتنا.

١ - تسبيح الخالق

قال تعالى في الآية الأولى من سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، والتسبيح يعني تنزيه الله تعالى عما يحدُّه بشكلٍ أو حدود، وعن كلِّ الصفات الناقصة، فصفاته صفات الكمال المطلق، وهو مُنزَّهٌ عن العجز والنقص والضعف، وهو المطلق بلا تقييد، والقادر بلا حدود، والعادل بلا موانع. يُسبح لله تعالى كلّ ما في السماوات والأرض، من الإنسان والحيوان والجماد وجميع المخلوقات، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، فنحن لا نعرف كيف يُسبحون، ولكن الجميع يسبح لله تعالى، الذي يتصرف من موقع العزة والاقتدار، وبكل حكمة واتساق.

٢ - المالك المحيي والمميت

قال تعالى في الآية الثانية: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. هذه الميزة هي الأصل والأساس، إن الله تعالى يملك كلَّ شيء، فهو يملك السماوات والأرض، ويملك كلَّ ما يمكن أن نتصوّره أو لا نتصوّره موجوداً في الكون أو في الآخرة. الملكيةُ مطلقةٌ لله تعالى، لا يُشاركه فيها أحد، ولا ينافسه فيها أحد، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، حيث تقطع كلمة أحد الطريق عن العدِّ، فلا اثنان ولا ثلاثة بعده، هو الواحد الأحد. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[1]، ولا يضاهيه أو يُساويه

---

(١) سورة الإخلاص.

أحد، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. كيف نعرف ذلك؟ يأتي الجواب الإلهي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1]. ومن وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام قوله: **«واعْلَمْ يَا بُنَيَّ، أَنَّه لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُه، ولَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِه وسُلْطَانِه، ولَعَرَفْتَ أَفْعَالَه وصِفَاتِه، ولَكِنَّه إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَه، لا يُضَادُّه فِي مُلْكِه أَحَدٌ، ولا يَزُولُ أَبَداً ولَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيَاءِ بِلا أَوَّلِيَّةٍ، وآخِرٌ بَعْدَ الأَشْيَاءِ بِلا نِهَايَةٍ»**[2].

الإله واحدٌ أحد، عرفناه بالعقل، ودلَّتنا الآيات المحيطة بنا على أنه الخالقُ العليُّ القدير، فكلُّ ما حولنا يُشير إليه، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]. فهو القادر على كل شيء، وكلُّ شيء من خلقِه وعطائه وتقديره، وهو الذي يُحيي ويُميت، وهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[4].

بداية الحياة من عند الله تعالى، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[5]. وهو الذي أوجد النطفة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٣٩٦.
(٣) سورة الملك، الآية: ١.
(٤) سورة الملك، الآية: ٢.
(٥) سورة الطارق، الآيات: ٥-٧.

الأولى لتنمو في رحم المرأة، ثم يخرج المولود إلى الحياة، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾(١)، وها هي الحقيقة ساطعة وبيِّنة في كلِّ لحظة على هذه الأرض، بتكاثر الخلق وفق إرادة الله تعالى الواحد الأحد.

والموت بيد الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾(٢)، فلا يمكن لمخلوق أن يتحكَّم بتوقيته، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٣)، وها هي المحاولات البشرية من الملوك والرؤساء والأغنياء، الذين يبذلون ما لديهم من أجل استمرارية حياتهم، تبوء بالفشل، إنَّه الموت بيد الله تعالى.

يخلق الله تعالى بمقادير وضوابط، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾(٤)، فهو الذي خلق الإنسان بمقادير معينة، وهداه إلى طريق حياته، وخلق الحيوانات بمقادير وغرائز وصفات وفطرة، وهداها إلى كيفية تمضية حياتها على هذه الأرض، وكذلك كلّ ما يحيط بنا مقدَّرٌ من الله تعالى لحياتنا التي نعيشها. نحن بحاجة إلى أن نتنشق الأوكسجين وهو من خَلْقِ الله تعالى، وبحاجة إلى الطعام لتستمر حياتنا فخلق لنا النباتات والحيوانات المختلفة، وبحاجة

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٥٨ و٥٩.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ و٣.

إلى الشمس التي تضيء وتؤثّر في حياة الكرة الارضية. وكذلك خلقنا وأوجدَ في داخلنا كلَّ المقومات التي نحتاجها، لقد فطرنا لنحيا على هذه الأرض، وأوجد لنا المحيط المتناسق الذي قدَّره بما يساعدنا على استمرارية الحياة.

٣ - هو الأول والآخر

قال جلَّ وعلا في الآية الثالثة: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. يقول الإمام الخميني(قده) عن الآيات الست الأولى من سورة الحديد، والتي نحن بصدد تفسيرها: «**اعلم أنَّ كلَّ آية من الآيات الست تشتمل على علمٍ غزير في التوحيد والألوهية، وتتضمن معارف كثيرة من العلوم الصَّمَدِية والربوبية**»[١].

ويقول عن هذه الآية: «**إنَّ هذه السورة المباركة، سورة الحديد، وخاصة هذه الآيات المباركة الأولى منها، تحتوي على معارف تقصر عنها أيادي آمال العارفين. وفي عقيدة هذا الكاتب، تستبطن هذه الآية الشريفة على خصوصية تفوق الآيات الأخرى، وهي: بيانُ أنَّ الحق سبحانه هو الأولُ والآخر، والظاهرُ والباطن، حيث تقصر البلاغة عن الشرح، ويعجز القلم عن الخوض فيه**»[٢].

---

(١) الإمام الخميني(قده)، الاربعون حديثاً، ص: ٦٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٨٧.

هو الأولُ الذي لا يوجد قبلَه شيء، فالبدايةُ من عِنده، ولم يبتدىء من شيء، هو الأول بلا بداية، والخالقَ المطلق. والآخر الذي لا يوجد بعده شيء، فالنهاية عنده، تنتهي عنده الأشياء ولا نهاية له. وهو الظاهر في كلِّ شيء، والباطن في كلِّ شيء، فالإنسان له ظاهر نراه، وله باطن نعرف بعضه، لكن الله تعالى ظاهرٌ نراه بقلوبنا لا بأنظارنا، فهو جليٌّ واضح بلا ظهور محدود، وباطنٌ لا نُدرك كيفيته، لكنه موجود في كلِّ شيء.

قال النبيﷺ: **«لا يزال الناس يسألون عن كلِّ شيء حتى يقولوا: هذا الله كان قبلَ كلِّ شيء، فماذا كان قبلَ الله؟ فإن قالوا لكم ذلك فقولوا: هو الأولُ قبلَ كلِّ شيء، وهو الآخرُ فليس بعده شيء، وهو الظاهرُ فوق كلِّ شيء، وهو الباطنُ دون كلِّ شيء، وهو بكلِّ شيء عليم»**[1].

وقال أمير المؤمنين عليعليه السلام: **«لَيْسَ لأَوَّلِيَّتِه ابْتِدَاءٌ ولا لأَزَلِيَّتِه انْقِضَاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ ولَمْ يَزَلْ، والْبَاقِي بلا أَجَلٍ... الظَّاهِرُ لا يُقَالُ مِمَّ؟ والْبَاطِنُ لا يُقَالُ فِيمَ؟»**[2]. للمخلوق بقاءٌ محدود وأجلٌ محتوم، لكن الله تعالى يبقى ولا أَجَلَ له، فالبقاء من صفات الخالق.

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص: ٢٤٨.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٢٣٢.

٤ - ثم استوى على العرش

قال تعالى في الآية الرابعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

مقدار يومنا المعروف هو أربع وعشرون ساعة، ولكن اليوم في الآية ليس كيومنا، وإنما هو مرحلة، فقوله تعالى ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي ست مراحل، وقد ورد اليوم في القرآن الكريم بعدة مقادير، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[١]، فاليوم مقداره ألف سنة. وفي آية أخرى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٢]، فاليوم في هذه الآية مقداره خمسون ألف سنة، ولا نعرف مقدار اليوم أو المرحلة للأيام الستة. رُبَّ سائل: لماذا خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة أيام، وهو القائل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣]؟ إنَّ الله قادر على خلق السماوات والأرض بأمره كن فيكون، لكنه يخلق كيفما يشاء، فهو ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٤]، وربما أراد أن

(١) سورة السجدة، الآية: ٥.
(٢) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٣) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

يُبيِّن عظمته في خلقه، كما أورد بعض المفسرين، وهو غير مقيَّد جلَّ وعلا بأي طريقة من طرق الخلق، فقد خلق الإنسان بنماذج مختلفة، فخلق آدم عليه السلام من دون أبٍ ولا أمٍّ، وخلق عيسى عليه السلام من دون أبٍ، وخلق باقر البشر من أبٍ وأمٍّ، إنَّها إرادته في خلقه، لا تُقيّدها حدود.

خلق الله تعالى الخلق في ستة أيام فأتقن خلقه، ووضع الضوابط والقوانين بدقة متناهية، فالقمر يولد في التوقيت المحدد، وتدور الأرض حول الشمس ثلاثمائة وأربعة وستين يوماً وربعاً، فتجد مثلاً أن الخامس من آذار من هذه السنة، يشبه توقيت السنة التالية والسنة السابقة، في أوقات الفجر والظهر والمغرب، وطول اليوم وقصره، إنَّها الدقة العظيمة التي تُشير إلى خلق الله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[١].

قبل أن نشرع في تفسير قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، لا بدَّ من التوضيح، بأنَّ الكلمات التي يستخدمها الله تعالى لمُخاطبتنا تنسجم مع مداركنا وأفهامنا، ليوصل إلينا المعاني التي يُريدها، وإن كنا لا نُدركها على حقيقتها الكاملة، أو تُعطينا أحياناً صورة تقريبية، لنستوعب ما يقوله الله جلَّ وعلا. فمثلاً نحن نفهم معنى العلم المحدود ويمكن أن نتصوّره، لكن صفة الله بأنه عليم، تستلزم أن نضيف بأنَّه بلا حدود بحيث لا تُدركه عقولنا، ونفهم

---

(١) سورة النمل، من الآية: ٨٨.

معنى القدرة، فنراها في قوة رجل يُحطِّم الصخر أو يهزم الأعداء، لكنَّنا نضيف بأنَّها بلا حدود، فهي قدرة متناهية لا تستوعبها عقولنا.

وهنا، العرش: هو كرسيٌّ مسقوف يجلس عليه الملك، في مكان مرتفع، يُدير من خلاله أمور المملكة، والجالس على هذا الكرسي (العرش) هو الملك المسيطر صاحب القرار. يريد الله تعالى أن يُبيِّن لنا: بأنَّه مسيطرٌ على كلِّ شيء، ويدير كلَّ شيء، ويشرف على كلِّ شيء، ويملك كلَّ شيء، فقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾، أي استوى على الموقع الذي يُعبِّر عن السلطة الكاملة التي لا يُنازعه فيها أحد، فهو ملك الملوك، وبيده كل شيء، وهو الخالق المطلق. فالعرش ليس كرسياً يجلس عليه جلَّ وعلا، لأنَّ الكرسي محدود، وكل ما يخطر ببالكم أنه محدود لا ينطبق على صفات الله تعالى الذي لا حدود له. إذاً ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾، أي سيطر سيطرةً كاملة على ما خلق، بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام. وكذلك عندما يقول تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[1]، أي وسع ملكه وسيطرته وقدرته السماوات والأرض، وهذا ما قاله أمير المؤمنين عليعليه السلام في تفسيره: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، يعني استوى تدبيره وعلا أمره»[2].

سُئل أمير المؤمنين عليعليه السلام عن البُعد ما بين الأرض

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٥.
(٢) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ص: ٣٧٣.

والعرش. فقال: «**قول العبد مخلصاً: لا إله إلا الله**»[1]، فلا مسافة، ولا بُعد، ولا حدود، ولا كيلومترات قابلة للقياس، وَحِّد ربَّك فقط، وقل: لا إله إلَّا الله، فتزيح الأوهام التي تأخذك إلى المسافة والزمان والمكان.

٥ - وهو معكم أينما كنتم

ثمَّ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. الذي يلج هو ما يؤدي إلى الدخول العميق في الأرض، وما يعرُج هو الذي يصعد إلى السماء، فكلُّ نازلٍ وصاعد في السماوات والأرض تحت إرادته ومعرفته. ثم يقول جلَّ وعلا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فالله تعالى معنا في أي مكان، معنا في البيت، وفي السماء والأرض، وفي كلِّ لحظات حياتنا، لماذا؟ وكيف؟ لأنَّه الخالق المطلق، الذي يحيطُ بكلِّ شيء ولا يُحيطُ به شيء، هو موجود في كلِّ مكان ولا يحصره المكان، وموجود في كل زمان ولا زمان له.

سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام فقال: «**أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّه مَتَى كَانَ؟ فَقَالَ: مَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى أُخْبِرَكَ مَتَى كَانَ سُبْحَانَ! مَنْ لَمْ يَزَلْ ولَا يَزَالُ فَرْداً صَمَداً، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولَا وَلَداً**»[2].

---

(١) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٢٨، ص: ١٦٩.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ٣٣.

قال رجل للصادق عليه السلام: «**يا بن رسول الله دلّني على الله ما هو؟ فقد أكثَرَ المجادلون وحيَّروني.**

فقال عليه السلام: **يا عبدَ الله، هل ركبتَ سفينةً قط؟ قال: نعم.**

قال: فهل كُسرت بك حيث لا سفينة تُنجيك ولا سباحة تُغنيك؟ قال: نعم.

قال: فهل تعلَّقَ قلبُك هنالك أنَّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلّصَك من ورطتك؟ قال: نعم.

قال الصادق عليه السلام: **فذلك الشيء هو الله القادرُ على الإنجاء حيث لا مُنجي، وعلى الإغاثة حيث لا مُغيث**»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2]، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «**إن من أفضلِ إيمانِ المرء أنْ يعلم أنَّ الله تعالى معه حيثما كان**»[3]. إنَّ وسوسة الشيطان، هي الأفكار المختلفة التي تخطر ببال الإنسان: هل يقوم بهذا المحرَّم أم لا، يسرق أم لا، يؤذي أم لا...؟ هذه كلُّها وسوسة يعلم الله تعالى بها، ولكنه لا يحاسب إلّا على ترجمتها الى عمل. ولأنَّه قريبٌ جداً منا ومعنا، يقول لنا تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٢٣١.

(٢) سورة ق، الآية: ١٦.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ص: ٢٦٧.

لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[(١)]. فالله تعالى حاضرٌ يرى كلَّ شيء، ويسمعُ كلَّ شيء، وبإمكاننا مناجاته ودعاؤه في كلِّ آن، فهو قريب غير بعيد.

يُروى أن النبي موسى عليه السلام قال: «**يا رب أين أجدُك؟ قال عزَّ وجل: يا موسى إذا قَصدتَ إليَّ فقد وَصلتَ إليَّ**»[(٢)]، فالله تعالى موجود معك دائماً، ولكن العلَّة ممن لا نعيش وجود الله تعالى معهم.

٦- رؤية الله

هل نستطيع أن نرى الله تعالى؟ الجواب: لا نستطيع رؤيته، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(٣)]، لماذا لا نستطيع أنْ نراه جلَّ وعلا؟ لأننا نرى من له حدودٌ وشكل، طولٌ وعرض، بدايةٌ ونهاية، فنحن عاجزون أن نرى ما لا حدود له. وكلُّ محدودٍ عاجز، أما الله فهو مطلق بلا حدود، ولا عجز أو نقص، ولا يمكن للعاجز المحدود أن يرى المطلق غير المحدود.

عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُه عَنِ اللَّه هَلْ يُوصَفُ؟

فَقَالَ عليه السلام: «**أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى.**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٢) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير القرآن، ج١٨، ص: ٢٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

قَالَ عليه السلام: أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾؟ قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ عليه السلام: فَتَعْرِفُونَ الأَبْصَارَ؟ قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ عليه السلام: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: أَبْصَارُ الْعُيُونِ.

فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ أَوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ، فَهُوَ لَا تُدْرِكُه الأَوْهَامُ وهُوَ يُدْرِكُ الأَوْهَامَ»[1].

لكن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لا يعبدُ رباً لا يراه، وقد سأله ذعلب اليماني، فقال: «هل رأيت ربَّك يا أمير المؤمنين؟ **فقال عليه السلام: أفأعبدُ ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال عليه السلام: لَا تُدْرِكُه الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، ولَكِنْ تُدْرِكُه الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ»**[2].

إنك ترى الله تعالى بقلبك وتشعر به. وفي القصة: إن ناسكاً ابتعد عن الناس، فتحسَّر الناس عليه بسبب وحدته، فردَّ عليهم: من قال إني وحيد، فقالوا: كيف ذلك ونحن لا نرى أحداً معك؟ قال: الله تعالى معي، إنْ أردتُ أن أحدثه دعوته، وإن أردتُ أن يحدثني قرأت القرآن.

حدَّثنا القرآن الكريم عن طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يراه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج١، ص: ٩٩.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٢٥٨.

تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]. لقد ترك الله تعالى مجالاً للأنبياء أن يخاطبوه ويطلبوا منه ما يشاؤون، وذلك لدعم موقعهم وقوة أدلتهم في دعوتهم إلى الإيمان، والجواب الواضح أنَّ الله تعالى لا يُرى بالعين.

توجدُ آيةٌ كريمة معبِّرة وشاملة توضح لنا صفات الله تعالى من دون حاجةٍ إلىٰ فلسفة أو مجلدات، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]، أي شيء يخطر ببالك اطرده فوراً، فإذا أردت أن تصف قدرة الله فـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، أي لا يمكنك وصف قدرته، والله عزَّ وجل ﴿عَلِيمٌ﴾، لكن لا يمكنك أن تصف أو تُدرك علمه الكامل، وهكذا...، فالله تعالى هو القادر الكامل الكبير المتعال، وأنت الضعيف الناقص والمحدود بالعلم والفكر والإمكانات، فلا تستطيع تجسيد صفات الخالق، لذا يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ولكن بماذا نفسّر قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٣]؟ المعنى أنَ الله تعالى يؤيدهم، ويرعى جمعهم، لا أن له يداً وشكلاً، وللأسف فإن البعض فسر اليد باليد، وهذا تحديدٌ لله تعالى يتنافى مع صفاته. أو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة الشورى، من الآية: ١١.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠.

﴿تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١]، ووجه الله ليس معناه الوجه الإنساني، وإنما تعبيرٌ عن وجود الله تعالى في كلِّ مكان. أو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢]، فالنظر في يوم القيامة ليس بنظر العين وإنما بنظر القلب، ولهفة الشوق والإقبال، فكما تقف أثناء الصلاة متوجهاً إلى الله تعالى، وكأنك تشير إليه أمامك، وأنت تقصد أنك متوجه بقلبك إليه تعالى، كذلك يكون النظر القلبي متجهاً إلى الله تعالى في يوم القيامة، ولا صحة للقول باختلاف صفات الله تعالى في يوم القيامة عنها في الدنيا، فصفاته واحدة، وهي عين ذاته، ومطلقة لا حدود لها، في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في الآيتين الخامسة والسادسة: ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. فالله جلَّ وعلا مالك كل شيء، وإليه ترجع الأمور، فيحاسب الناس في يوم القيامة على ما اجترحته أياديهم، وهو يعلم كل شيء بما في ذلك ما في الصدور.

عندما نتعرَّف على صفات الله تعالى نفهم تماماً بأن مرجع الأمور كلها إليه، فلا نلجأ إلَّا إليه، وهو معنا أينما كنَّا، ما يدفعنا لدوام ذكره، وعيش رقابته، فتستقيم أمورنا في الدنيا، ونحصل على ثواب الله تعالى في الآخرة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ و٢٣.

٢- جنة آدم عليه السلام والمعصية

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (البقرة: ٣٥ -٣٨).

المفتاح

وجودُنا على هذه الأرض ليس عقوبةً، بل للاختبار والامتحان، حيث يفوز الناجحون بالحياة الخالدة السعيدة.

١- جنة آدم عليه السلام ليست جنة الخلد

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، أي جنَّة هذه؟ إما أن تكون على ربوةٍ مرتفعةٍ من الأرض، لقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾، أي من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض، وإمَّا أن تكون في مكان ما في السماء، ولكنها ليست جنَّة الخلد.

يُقال جنة للمكان المزروع، الذي تكثر فيه الأشجار والنباتات، ويطغى فيها اللون الأخضر والجمال، وقد ورد في القرآن الكريم قصة من تباهى بجنتيه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[1]، فالجنة هنا بستان في مكان من الأرض، وليست جنَّة الخلد. سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن جنة آدم عليه السلام، فقال عليه السلام: «**جَنَّةٌ مِنْ جِنَانِ الدُّنْيَا، تَطْلُعُ فيهَا الشَّمْسُ والْقَمَرُ، ولَوْ كَانَتْ مِنْ جِنَانِ الآخِرَةِ مَا خَرَجَ مِنْهَا أَبَداً**»[2]. إذاً جنة آدم عليه السلام ليست جنة الخلد، إنما قضى فيها حياةً مؤقتة، ثم خرج منها واستكملها في الأرض، لفترة مؤقتة أيضاً، بانتظار يوم الحساب إلى جنة الخلد له وللمؤمنين، وإلى جهنم الخلد للكافرين.

٢- ماهية الشجرة

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٢.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ص: ٢٤٧.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، تستطيعان العيش في هذه الجنة عيشة هنيئة ورغيدة، وتأكلا من كلّ شيء فيها، ما عدا هذه الشجرة. ما هي هذه الشجرة؟ يرغب الإنسان دائماً أن يتعرَّف على التفاصيل، ولكنَّ الله تعالى يختصر في القصص القرآني بمقدار ما نحتاج معرفته، فيفصِّل حيث يكون للتفصيل أهمية، ويركّز على الأهداف فيقتصر على عرض مورد الحاجة حيث لا قيمة للتفاصيل، قال بعضهم: الشجرة هي شجرة تفاح، وقال آخرون: شجرة سفرجل، وقال غيرهم: هي شجرة مرَّة الطعم والمذاق، وأشار آخرون الى أنَّها حيَّة ترمز إلى إبليس... ولكنَّ هذه الأقوال لا سند لها. وبما أن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فاللذان يعرفانها هما من أشار الله تعالى إليهما، أي: آدمعليه السلام وحواء. وأما عدم ذكره لنوعية الشجرة، فلأنَّ العبرة في تنفيذ أمر الله تعالى بعدم الاقتراب منها، فلا خصوصية لطبيعة الشجرة.

﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، بمعنى ظلم أنفسكما، لا بمعنى الظلم للآخرين، فعندما يتجاوز الإنسان بعض القواعد أو الأوامر يظلم نفسه.

٣- تفسير معصية آدمعليه السلام

هل يمكن لآدمعليه السلام وهو نبيٌّ معصوم أن يخطئ؟ والمعصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو، فكيف إذاً جرى ما جرى كما في الآية الكريمة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾؟ كانا

في جنة آدم عليه السلام، التي فيها الرغد والعيش الجميل، ثم اقتربا من الشجرة، فعصيا ما أمر الله تعالى بالامتناع عنه، فكانت النتيجة الخروج منها. وضَّح صاحب تفسير الميزان السيد الطباطبائي(ره) الأمر، عندما ميَّز الأوامر الإلهية بين أوامر مولوية وأوامر إرشادية. الأمر المولوي هو الأمر الذي تُعتبرُ مخالفته معصية وخطيئة، أمَّا الأمر الإرشادي فهو من باب النصيحة ولا تعني مخالفته ارتكاباً للمعصية. هنا أمر الله تعالى لآدم عليه السلام لم يكن أمراً مولوياً، ولو كان كذلك، فخالفه آدم عليه السلام، لا يكون معصوماً، وهذا خلاف الواقع. نعم ستترتب آثارٌ على مخالفة الأمر الإرشادي، يتحمَّلُها المخالف، لكنها ليست خطايا يُحاسبُ عليها.

نقرأ في سورة طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[1]. ظهرت آثارُ مخالفة الأمر الإرشادي مباشرة، بمجرد أنْ أكَلا من هذه الشجرة، فبدت لهما سوآتهما، وهذا ما لم يشعرا به قبلاً، فالأكل هو الذي سبَّب لهما ذلك.

لم يكن آدم عليه السلام في وارد أن يعصي الله تعالى، فالأمر إرشاديٌّ في دائرة النصح. إذاً كيف وقع في هذا الاختبار؟ يُبيِّن لنا تعالى بأن السبب إبليس (لعنه الله): ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[2].

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٠ و١٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢١.

ذكر بعض المفسرين بأن آدمعليه السلام لم يكن يعلم بوجود من يكذب، فعندما أقسم إبليس، ظن آدمعليه السلام وحواء بأنه ناصح لهما، فصدَّقاه، وأكلا من الشجرة، فبدت لهما سوآتهما، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[1]. لولا أنهما أكلا من الشجرة لما بدت لهما سوآتهما، لكنَّ الله تعالى أمرهم بأمر، وهما لا يعرفان ما سيترتَّب على هذا الأمر الإلهي.

قال الله تعالى وبشكل واضح في سورة طه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[2]، كلمة ﴿وَعَصَىٰٓ﴾ في اللغة العربية تعني أنَّه لم ينفذ الأمر، فإذا كان الأمر مولوياً ولم ينفذه فقد ارتكب معصية يعاقب عليها، وإذا لم ينفذ الأمر الإرشادي فهي مخالفةٌ لا عقاب عليها. وقد عصى آدمعليه السلام الأمر الإرشادي الذي لا عقاب عليه، ولكن ترتبت آثاره التي أرادها الله تعالى في الانتقال إلى الأرض.

٤- مسؤولية آدمعليه السلام وحواء

يحمِّل البعض حواء المسؤولية، بأنَّها دفعت آدمعليه السلام ليأكل من الشجرة! علماً بأنَّ الآيات والروايات تتحدث أنَّ إبليس وسوس لهما، وخاطبهما معاً، لاحظوا الآيات الكريمة:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، وبعدها ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، فالشيطان أزلَّ الاثنين، ولم تُزِل حواء آدمعليه السلام، وأخرجهما الشيطان مما كانا

---

(١) سورة طه، من الآية ١٢١.
(٢) سورة طه، من الآية: ١٢١.

فيه، ولم تُخرج حواء آدم عليه السلام. وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾[1]، فآدم عليه السلام وحواء كانا مستهدفين من الشيطان، ولم يُعِن أحدهما الشيطان على الآخر، وخاطب الشيطان كليهما: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾[2]، ثم كانت النتيجة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، الخطاب لآدم عليه السلام وحواء والشيطان بأن يهبطوا إلى الأرض، والعداوة بين الشيطان وبني البشر، وكذلك بين بني البشر عندما يتخذ بعضهم مسار الشيطان في مقابل الإيمان، فالعداوة نتيجة الأفعال السيئة التي يرتكبها هؤلاء البشر، لا أن الله تعالى يُريدهم أعداء، وهذه هي نتيجة القانون الإلهي في خلق البشر مختارين للخير أو الشر، ومتنازعين لاختلاف خياراتهم على هذه الأرض. الحياةُ مؤقتةٌ في الأرض، ففيها العمل والمتاع المؤقت والبلاء والعداوة ثم الفناء، ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، أما الاستقرار ففي جنة الخلد.

٥- الحياة على الأرض

هل ورَّط آدم عليه السلام البشرية فخلقها الله تعالى على الأرض؟ لا، لأنَّ إرادة الله تعالى أن يُخلق البشر على الأرض، وإرادته أن يُدخل

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ٢٠.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٢٠.

آدم عليه السلام مؤقتاً إلى الجنة المذكورة، ثم بعد ذلك يجري معه ما جرى فينزل إلى الأرض بأمرٍ من الله تعالى. ثم أوجد باقي البشر بالتناسل، باستثناء عيسى عليه السلام من دون أبٍ، فهذه إرادته، فآدم عليه السلام لا يتحمل مسؤولية وجود البشر على هذه الأرض، بل هي إرادة الله تعالى في ذلك.

لكن هل أثَّرَ نزول آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض في دوره وموقعه؟ بعض المفسرين بيَّنوا بأنَّ مكانة آدم عليه السلام لا تتحقق في الجنة التي كان فيها، فهي منحةٌ من الله تعالى بلا جهد ولا عمل، بينما عندما نزل إلى الأرض مع حواء، فبلَّغ وعانى وضحى وصبر وعمل في سبيل الله تعالى، ثبت على الاستقامة والرقي والطاعة لله تعالى، فاستحق بجدارة أن يكون من الأنبياء المعصومين المكرَّمين عند الله تعالى، وسيدخل إلى جنة الخلد بسبب عمله، فوجوده على الأرض كان سبباً لرقيّه، ولولا الأرض لما ارتقى آدم عليه السلام. ونحن أيضاً لا نرتقي لولا هذه الأرض، بطاعتنا لله تعالى وأعمالنا الصالحة، وعدم ارتكابنا للمعاصي، ووقوفنا أمام التحديات. إذاً لم يكن النزول إلى الدنيا سلبياً بل إيجابياً، فهي مسرح العمل والطاعة للفوز بدرجات الجنة.

قال صاحب تفسير الميزان: «كان آدم عليه السلام مخلوقاً ليسكن الأرض، وكان الطريق إلى الاستقرار في الأرض هذه الطريق، وهي تفضيله على الملائكة لإثبات خلافته، ثم أمرهم بالسجدة،

ثم إسكان الجنة، والنهي عن قرب الشجرة المنهَى عنها حتى يأكلا منها فتبدو لهما سوآتهما فيهبطان إلى الأرض، فآخر العوامل للاستقرار في الأرض، وانتخاب الحياة الدنيوية ظهور السوأة»[1].

٦- معنى التوبة

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. انتهت مرحلة جنة آدم عليه السلام مع توبة الله تعالى على آدم عليه السلام، وعن أحد الأئمة عليهم السلام: «﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، **قال: سأله بحق محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام**»[2]. هذه النتيجة بقبول التوبة، تعني عدم وجود عقوبة، وإرادة الله تعالى أن ينتقل آدم عليه السلام من هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى. فالله عزَّ وجل علَّمه هذه الأسماء، وقال له ادعوني بها حتى أغفر لك، كمقدمة لترتيبات النزول إلى الأرض.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، عندما تصبحون على الأرض، ويأتيكم الهدى، والكتاب، والرسل، فإذا أردتم الفوز اتبعوا هدى الله تعالى، فأنتم منتقلون من دار المتاع المؤقت إلى دار المستقر والمتاع الدائم، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ

---

(١) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١، ص: ١٢٧.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج٨، ص: ٣٠٥.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، فوجودنا على الأرض ليس مشكلة ولا عقاباً، بل لإرادة الله تعالى ذلك.

يقول البعض: إذا كان الله عزَّ وجلَّ يعلم مسبقاً بأن الواحد منّا سيكون في الجنة أو في جهنم، فلماذا خلقنا؟ الجواب واضح: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[2]. وبدل أن يسأل: لماذا خلقني الله تعالى لأدخل بعد ذلك إلى الجنة أو إلى النار! فليسأل نفسه: لماذا يعصي الله تعالى وهو يعلم بأنه سيدخل إلى النار إنْ عصى؟ ولماذا لا يُطيع الله تعالى وهو يعلم بأنه يدخل إلى الجنة إنْ أطاعه؟ على الإنسان أن يلتفت إلى مسؤوليته، فيتبع هدى الله تعالى، فإنَّ النتيجةَ خاليةٌ من الخوف والحزن، وفيها جزيلُ العطاء الإلهي للمطيعين.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٣٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

٣- الهداية والضلالة

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

(القصص: ٥٦)

المفتاح

يَسَّرَ الله لنا طَرِيقَ الهِدايَة، فلا عُذْرَ للضَّالين، ونحنُ نتحَمَّلُ كامِلَ مسؤوليةِ الاختيار، لتَنفَتِحَ لنا أبوابُ السَّعَادةِ والرُّقي.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، كلامٌ موجَّه إلى النبي محمدﷺ، ومنه إلينا جميعاً. كلُّ فردٍ منَّا يحب أشخاصاً يُعايشهم، سواء أكانوا أولاده، أو والديه، أو أقاربه، أو أصدقاءه، فإذا ما هداه الله تعالى فإنَّه يحب لهم الهداية، لما يترتب عليها من نتائج حسنة في الدنيا والآخرة. ولكنْ لا يكفي حبُّ الهداية لهم لتحقيقها، فالحبُّ تعبيرٌ عاطفي تجاه الآخرين، ولكنَّ الهداية مسؤوليتهم ليختاروا طريقها. أحبَّ النبي نوح عليه السلام ولده، وعندما قرر الله تعالى أن يُغرق قومه إلَّا من ركب في السفينة وهو مؤمن بالله تعالى، نادى نوح ربه من أجل إنقاذ ولده: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[1]، فعلى الرغم من وجود الحب والمودة من نوح عليه السلام لولده، لكنَّ الطرف المحبوب وهو الولد بقي متمرداً على الهداية، فغرق مع الكافرين.

١- الهداية لجميع البشر

جعل الله تعالى الهداية لجميع البشر وهي الهداية العامة، فأعطاهم عندما خلقهم ما يُساعدهم على تحقيقها، وأرشدهم إلى الطريق التي تُصلِح شأنهم، وبنى فطرتهم وفق مقوماتٍ تمكِّنهم من الوصول إلى الهدى، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ

(١) سورة هود، الآيتان: ٤٥ و ٤٦.

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[١]، هدى الله المخلوقات إلى طريق حياتها، وهدانا كبشر إلى طريق حياتنا، فزرع فينا الفطرة، لنتقبَّل الخير ونتقبَّل الشر، فإذا ما أردنا اختيار الهداية فبإرادتنا، وإذا ما أردنا اختيار طريق الضلال فبإرادتنا، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٢]، وهذه أول الطريق، وفَّرها الله تعالى لنا في إطار الهداية العامة.

أرسل الله تعالى إلينا الأنبياء والرسل ليرشدونا إلى الطريق المستقيم، ويأخذوا بأيدينا ويربّونا على ذلك، وهيَّأ لنا في هذه الدنيا عقلاً مرشداً الى الهداية، ومقومات تؤدي إلى الخير والصلاح، فشجعنا عليها، ورغبَّنا بها، ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٣]، الذي قدَّر مقادير الأشياء وحدودها وضوابطها، وقدَّر لها طاقة محدودة وعمراً مؤقتاً ورزقاً مكتوباً، فنحن نهتدي في ظلِّ هذه المقادير والقوانين الإلهية، ووضع محفزاتٍ تجعل الإنسان يُقبل على الخير كالجنة والعطاءات الإلهية الكثيرة، وحذر من العقاب ليكون رادعاً للإنسان عند الانحراف.

تطيعُ الملائكةُ ربَّ العالمين مهتديةً إلى ذلك من دون خيار، وتُسبِّحُ الحيوانات وسائر المخلوقات بحمد الله تعالى وتُتابع حياتها في إطار الهداية إلى شؤونها المحدَّدة، أما الإنسان فيتميّز بعقله،

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٢) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ٣.

فيختار الهداية، ويطوِّر حياته، ويبني الحضارة، أو يضيِّع نعمةَ الله تعالى عليه بالضلالة والخسران. ولكن لا هداية وفوز إلَّا باتِّباع طريق الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

٢- مسؤولية الهداية أو الضلال

بعد أن رسم الله تعالى الهداية العامة للإنسان، وخيَّره بين الإيمان والكفر، وحمَّله مسؤولية النتيجة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[2]، من دون أن يكون محتاجاً إليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]. دعاه إلى الهداية لمصلحته، لتكون حياته اليومية سعيدة، وعلاقاته الاجتماعية سليمة، وحقوقه متوازنة مع واجباته في العلاقة مع الآخرين، ومساره على طريق التوازن والعدل وحسن الخلق، وآخرته في الجنة.

فإذا ما اختار الإنسانُ الضلالةَ، فسيدفع الثمن في الدنيا قبل الآخرة، لأنَّ الضلالةَ سيئةٌ بآثارها على الفرد والجماعة، ففيها ظلمٌ، وسلبٌ لحقوق الآخرين، وانحرافٌ، وشقاءٌ، ومنكرات،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٢) سورة هود، الآية: ١٠٨.
(٣) سورة العنكبوت، من الآية: ٦.

وفي نهاية المطاف حسابٌ عسير عند الله تعالى في يوم القيامة، فهو يتحمل مسؤولية الهداية الخاصة أو الضلالة.

قال النبي ﷺ: «**بُعثتُ داعياً ومبلِّغاً وليس إليَّ من الهدى شيء، وخُلِقَ إبليس مزيناً وليس إليه من الضَّلالة شيء**»[1]، فالرسول ﷺ يدعو الناس ويبلّغهم، ولكنَّه ليس مسؤولاً عن هدايتهم، فالأمر يتعلق بالناس وهم الذين يتحمَّلون المسؤولية، وإبليس يُزيِّن الكفر والانحراف والشهوات، ويُزين الشرَّ بأن يرغِّب الناس به، ولكنَّه ليس مسؤولاً عن اختيارهم للكفر والضلال والانحراف.

الزينةُ حالةٌ مرغوبة، والشهوة جذابة، لكنها لذَّةٌ مؤقتة، ومتاعٌ زائل تُسألُ عنه يوم الحساب، الزينةُ حالةٌ جمالية مؤقتة سُرعان ما تنتهي وتبقى آثارها وتبعاتها، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2]. إنَّ طريق إبليس وأعوانه خاطئة ومضرَّة، وفي النهاية لا يحمي أحدٌ أحداً، ولا يدفعُ أحدٌ عن أحد، بل يتحمل كلُّ إنسانٍ مسؤولية عمله، يعبِّر عنها المشهد الحواري في يوم القيامة: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص: ١١٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، حيث يتخلى الشيطان عن جماعته، فحجته دامغة ضد الضَّالين، إذ قدَّمَ لهم الفساد فانجذبوا إليه، ورغَّبهم بالمنكرات فاستطيبوها، ودعاهم إلى طريق الانحراف مغرياً لهم بمكتسباتٍ دنيوية فأقبلوا عليها، فليتحمَّلوا مسؤوليتهم.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من اهتدى بهُدى الله أرشَدَه، ومن اهتدى بغير هُدى الله سبحانه ضَلَّ**»[٢]، فعندما تختار طريق الله تعالى يفتح أمامك سبيل الهداية، أمَّا سبيل الشيطان فنتيجته الضلالة، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾[٣]، فأنت الذي تختار وتهتدي الهداية الخاصة، وأنت الذي تضلّ، حيث لا تنفعك كلُّ مقومات الهداية إذا لم تسلك طريقها.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.
(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص: ١٧٠٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦.

٣- قوانين الهداية ومسارها

وضع الله تعالى قوانين الهداية والضلالة، فمن سار في طريق الهدى ازداد هدًى، إذ إنَّ طبيعة هذه الطريق تحمل النموّ والكمال والنور والرُّقي، ومع تراكُم الإيمان والعمل الصالح تنفتح الطريق لتزداد تقًى وصلاحاً وطمأنينة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[١]. لاحظ معي ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾، فبداية الطريق من الإنسان، واختيار الهداية يفتح الطريق، وهو ما رسمه الله تعالى في ازدياد الهدى. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، فعندما تُجاهدون في الله تعالى فالله تعالى يهديكم ويدلُّكم ويرشدكم ويفتح أمامكم طريق الهداية، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[٣].

فكما للهداية قوانينها ومسارها، كذلك الضلالة لها قوانينها ومسارها أيضاً، فمن اختار طريق الضلالة جرت عليه مستلزماتها، ولا يكون اختياره لها من باب تحدي الخالق، فالله تعالى هو الذي جعلَ طريق الضلالة كما جعلَ طريق الهداية، ومن سار في طريق الضلالة سيضلّ ويزداد ضلالاً كلما أوغل فيها، بسبب القانون الذي وضعه الله تعالى، ولذا عندما يُنسب الإضلال إلى الله تعالى،

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.

إنَّما يُنسب إلى مترتبات القانون الذي وضعه الله تعالى. فالمؤمنون والكافرون كالموجودين في ملعب لا يتجاوزونه، الرابحون والخاسرون في داخله، فالرابحون في جهة اليمين والخاسرون في جهة الشمال. وكذلك الهدى والضلالة ضمن القوانين الإلهية، فالذين اهتدوا اهتدوا بالقانون الذي وضعه الله تعالى، والذين ضلّوا ضلّوا بالقانون الذي وضعه الله سبحانه، فلا الذي اهتدى خرج عن قدرة الله، ولا الذي ضلَّ خرج عن قدرة الله تعالى، لأن الله تعالى هو الذي قرَّر هذه القوانين.

يترتب الضلال على الإعراض عن آيات الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[(١)] فالظالم لا يكترث، وهو الذي صمَّ أذنيه، وقام بأعمال سيئة، حالت دون رقة القلب وطُهره، هذا القسم من الناس لا يهتدي أبداً، لأنَّه سدَّ الطريق على نفسه، ودخل في مفاعيل قانون الضلالة فازداد ضلالاً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٢)]. عندما حدَّث إبراهيم عليه السلام النمرود

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

عن ربِّه الذي يُحيي ويُميت، جاء النمرود برجلٍ محكوم بالإعدام فأفرج عنه بزعمِ إحيائه! وبآخر لم يكن مذنباً فقتلهُ بزعمِ أنه يميت! عندها اختار إبراهيم عليه السلام دليلاً آخر لا يستطيع النمرود التحايل به على الحقائق، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

من اختار طريق الضلال أعمى بصيرتَه، وعطَّل عقله، وسار في طريقٍ مظلمة، هؤلاء لم يعودوا أهلاً للاستغفار، لأنهم خرجوا من الهداية نهائياً، قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[1]. اختاروا طريق الضلال، وسيزدادون ضلالاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾[2]، هؤلاء سُدَّت أمامهم الطرق، فهم الذين سدُّوها.

ينتقل المهتدي من داخل النفق إلى خارجه، وكلما مشى خطوات انكشف أمامه النور، وعندما يخرج من النفق يرى النور كاملاً، فهذه طريق الهداية. أما طريق الضلال فبالعكس، يكون في النور ثم يدخل في النفق، الذي يُظلِم شيئاً فشيئاً، ثم يصبح الظلام دامساً.

تحصَّل لدينا وجودُ هدايةٍ عامة أعطاها الله تعالى لجميع

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٧.

البشر، وزرع فينا العقل من دون أن يطلبه أحد، وأعطانا إمكاناتٍ وقدرات وفتحَ لنا باب الخيرات من دون أن نسأله، وأرسل إلينا الأنبياء منحةً منه وتسهيلاً للهداية.

٤- طريقان متضادان

قال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[1]، فالذي يسير في طريق الضلالة لا يمكن أن يهتدي، لأنه يسير بعكس طريق الهداية، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**وَمَنْ لا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى**»[2]، فمن لم يستقم به الهدى ولم يرشده ويدله إلى الطريق المستقيم، فسيكون خياره الآخر هو الضلال والسقوط والخسران.

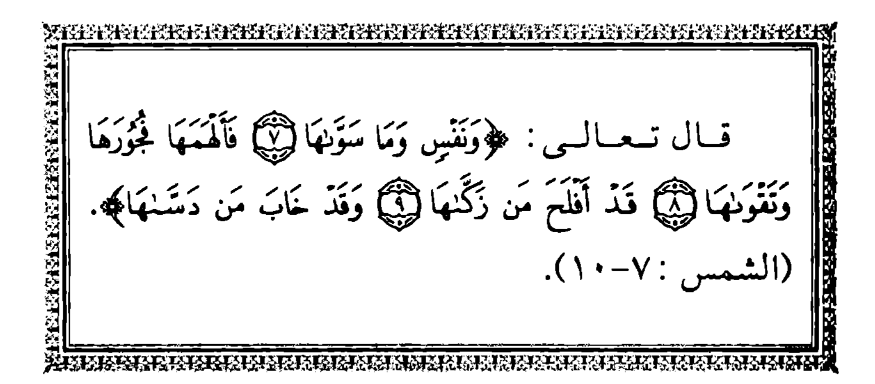
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، فالله يهدي من يشاء بحسب القوانين التي وضعها، فإذا اهتدى الإنسان بهدي الله تعالى فلاختياره هذه الطريق. وإذا اختار طريق الضلال، فالله تعالى لن يهديه بسبب خيارِه، فيضِلُّ بحسب القانون الذي وضعه الله تعالى للضلال. إذاً الهدايةُ الخاصة مسؤوليةُ الإنسان وبحسب القوانين التي وضعها الله تعالى، وهي تختلف عن الهداية العامة التي منحها الله تعالى للجميع.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٧١.

٤ ــ ونفسٍ وما سواها



قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. (الشمس: ٧-١٠).

المفتاح

النَّفْسُ الإنسانية هي المنطلق، نُجاهدها ونُزكيها لنقودها إلى طريق الخلاص، ولا نستسلم لهواها كي لا تحرِفنا إلى الهاوية.

قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾، ثم قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾. أقسَمَ الله تعالى بالشمس والضحى والقمر والنهار والليل، والسماء وما ظهر فيها من قدرة الله تعالى في بنائها، والأرض وما طحاها في تعبيرٍ واضح عن عظمة خلق الله تعالى، ثم أقسَمَ قائلاً ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، فالقَسم لأمرٍ عظيم، لينتبه الناس ويهتموا.

١- ضوابط الفطرة

ما هي النفس؟ النفسُ الإنسانية هي محطُّ الأعمال، فعندما يموت الإنسان يفنى جسده في الأرض، ولكن نفسه تبقى حيَّةً في البرزخ، فالنَّفس الإنسانية هي الروح المبثوثة في جسد الإنسان والتي تنعكس الأعمال عليها. ماذا فعل الله تعالى بهذه النفس؟ ﴿سَوَّىٰهَا﴾ بأن منَحها أفضل المقومات، وخلقَها وأعطاها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] بخصائص ومميزات تتناسبُ مع أفضلِ حياةٍ للإنسان إذا أَحسَنَ الاختيار.

ما هي ضوابط الفطرة؟ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[2]، أعطى هذه النفس قدرة أن تَفجُر وتنحرف، وقدرة أن تتَّقي وتستقيم، فيستطيع الإنسان أن يرتكب المعاصي أو أن يختار الطاعات.

---

(١) سورة الروم، من الآية: ٣٠.

(٢) سورة الشمس، الآية: ٨.

الفجر هو الذي يمزِّق الليل، كما في بعض التفاسير، والفجور هو تمزيق الإيمان وارتكاب المعاصي، فالفاجر يخالف التقوى والاستقامة، والتقوى هي الحماية والحذر والوقاية والانتباه من أن يعصي الإنسان ربه. فتحصَّلَ أنَّ الله تعالى أودع النفس الإنسانية قدرة أن تختار طريق الفجور أو أن تختار طريق التقوى.

البدايةُ من النفس، ويقوم عملنا التربوي على توجيه هذه النفس الإنسانية، فالأهل يربُّون أولادهم بمحاكاتها، والمعلمون والمربون يركِّزون على متطلباتها وما يؤثر فيها. في المقابل: شياطين الأرض والفاسدون يعملون أيضاً على النفس الإنسانية لحرفها، فيحرِّكون المشاعر والأهواء والرغبات نحو الفساد، بالترويج للانحراف كمصلحةٍ للإنسان. فالعمل على النفس الإنسانية هو البداية وهو الأساس.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله بَعَثَ بِسَرِيَّةٍ فَلَمَّا رَجَعُوا.**

قَالَ صلى الله عليه وآله: مَرْحَباً بِقَوْمٍ قَضَوُا الْجِهَادَ الأَصْغَرَ، وبَقِيَ الْجِهَادُ الأَكْبَرُ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله ومَا الْجِهَادُ الأَكْبَرُ؟

قَالَ صلى الله عليه وآله: جِهَادُ النَّفْسِ.

ثم قَالَ صلى الله عليه وآله: أفضلُ الجهاد من جاهدَ نفسَهُ التي بين جنبيه»[١].

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ١٢.

جهادُ النفس هو نقطةُ الانطلاق، فمن جاهَدَ نفسَهُ وقهَرَ شيطَانَه امتلكَ نَفسَه، وأصبح مستعداً ليجاهد عدوَّه دائماً، أما الإنسان الذي لا ينجح في جهاد نَفسِه فقد يصبح أنانياً وشهوانياً ومنحرفاً، يفكِّر بلذَّاته ويغرق في متطلباتها، فلا يُقدِم على الجهاد الأصغر، ولا يهتم بشؤون أُمَّته.

٢- طريق الخلاص

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**رأسُ الدِّين مخالفةُ الهوى**»[١].
الهوى هو الرغبات الموجودة عند الإنسان، منها ما هو محرَّم، ومنها ما هو محلَّل، فالإنسان يأكل ويشرب، وهي رغبة فطرية مرتبطة بحاجته إليهما، لكن الإشكال عندما يرغب في طعامٍ حرامٍ وشرابٍ حرامٍ. أوامر الإسلام ونواهيه أنِ امتنِع عن الطعام الحرامِ وكُلِ الطعامَ الحلال، امتنِع عن الشراب الحرام واشرب الشراب الحلال، امتنِع عن النظرة المحرمة والزنا فغُضَّ بصرك واختَرِ الزواج كما أمر الله تعالى، امتنِع عن الكلام الفاحش الذي يؤدي إلى الإساءة وقُلِ الكلام الحسن الذي يؤلِّف القلوب. فالنهيُ عن الهوى هو النهيُ عن الرغبات المحرمة التي تخالف الدين، وهذا ما عبَّر عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**رأس الدين مخالفة الهوى**».

من الواضح أنَّ الحرام جذَّاب، فهو زينةٌ ورغبات، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص: ٩٤٥.

ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[1]، والزينة تُرغِّب وتجذُب، ولا يمكن مواجهة هذه الإغراءات إلَّا بجهاد النفس، قال علي عليه السلام: «**بالمجاهدة صلاح النفس**»[2]. عليك أن تجاهد نفسك، أي أن تبذل جهدك، فالجهاد من الجهد، وهو دفع العدوّ ومنعه. وعليك أن تواجه الشيطان الذي يوسوس لك: بأنَّ هذه النظرة المحرَّمة بسيطة! وأن الله غفور رحيم! وهكذا في معظم الأمور المحرمة، حيث يستسهل بعض الناس تناول الطعام الحرام، والذبح غير الشرعي، والوقوع في الرغبة المحرَّمة، فيقعون في المحظور، والحل بالمجاهدة ففيها صلاح النفس.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا**»[3]، أي ترك الدنيا المحرمة، وقد سهَّلت شريعتنا المقدسة الأمر علينا، فحدَّدت المحرمات، وتركت المجال للحلال الواسع، فإذا امتنعنا عن الحرام، يعني أننا امتنعنا عن الدنيا المحرمة.

إنَّ الالتزام الديني سهل، شرط أنْ يضع الإنسان قدمه على أول الطريق ويبدأ. جاء رجل إلى الإمام الباقر عليه السلام فقال له: «إنِّي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٨٢.

ضَعِيفُ الْعَمَلِ، قَلِيلُ الصِّيَامِ، ولَكِنِّي أَرْجُو أَنْ لا آكُلَ إِلَّا حَلَالاً. فَقَالَ عليه السلام: أَيُّ الاجْتِهَادِ أَفْضَلُ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وفَرْجٍ»[١]، فليس المطلوب أن تبقى قائماً ليلك وصائماً نهارك، ولا أن تمتنع عن ملذات الدنيا المحللة، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[٢]، بل المطلوب أن تمتنع عن الحرام.

دعانا الله تعالى إلى الإيمان والالتزام فقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[٣]، أي لا تتبع المنحرفين الذين يرشدونك إلى المعاصي، وأحسِن اختيار الجماعة التي تسير معها: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[٤]. أحسِن اختيار القرين والزميل والصاحب، واختيار البيئة والأجواء التي تعيش فيها ومعها. فلا يمكن أن تكون قوياً في طاعة الله تعالى، وأنت تزجُّ نفسَك في أجواء الفساد. يجلس بعضهم ثلاث ساعات في مجلسٍ كلُّه فساد بفساد، ويدَّعي قدرته في المحافظة على استقامته، فعندما يقولون كلاماً فاحشاً يسد أذنيه! وعندما يرتكبون المحرمات يبتعد قليلاً عن مجلسهم! وعندما يرى المظاهر غير الشرعية يصرف

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٧٩.
(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٣٢.
(٣) سورة الشورى، من الآية: ١٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

وجهه! أليس من الأفضل أن يترك هذا المجلس الموبوء!؟ فمن حامَ حول الحمى أوشَكَ أن يقعَ فيه.

تتأثر النفسُ الإنسانية بما يحيط بها، بشكل مباشر وغير مباشر، كما يحصل مع من يمرُّ في شارع مليء بالنفايات تفوحُ منها رائحةٌ نتنة وكريهة، ما يؤدي إلى أن تفوح الرائحةِ النتنة من ثيابه. أو إذا مرَّ بالقرب من حديقةٍ فيها رياحين وورود، فتفوح من ثيابه رائحة عطرة وطيبة.

يتراكم النزر اليسير من السيئات يوماً بعد يوم، ليصبح كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، فالصدأ يتراكم على مراحل، وانسداد الشرايين لا يحصل فجأة، فكلُّ شيء يبدأ قليلاً ومحدوداً، ثم يزداد، ثم يصبح سداً صلبا. الصلاة وحدها لا تكفي، فإذا كانت محاطةً بالفساد تفقد فعاليتها، والصوم المحاط بالمنكرات يعيق قوة الإرادة والصمود، فعلينا أن نوفِّر الأرضية الصالحة - ما أمكن- لتحقيق الأهداف، بالطاعة والابتعاد عن المعاصي.

٣- نتيجةُ جهادِ النَّفْس

قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة»[2]، لأنَّ مواجهة الشهوات تحمي النفس

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٤٥٥.

ونقاءها، فلا تختلط الأمور على الإنسان، ويكون أصفى عقلاً وتفكيراً فيما يُعرض عليه، فتصدر مواقفُهُ حكيمة بما أنعم الله تعالى عليه من صفاء واستقامة.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من قويَ على نفسِهِ تناهى في القوة**»(١)، إذ إنَّ السيطرة على النفس نجاحٌ في اختبار القوة داخل الإنسان، فيستخدم استعداداته وقدراته كاملة في مواجهة التحديات الخارجية، ما يجعله متناهياً في القوة، وثابتاً في مواجهة المعاصي والتحديات. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢)، فالمجاهدة تُراكِم القوة، وتفتح سُبُل الهداية، ومن وصايا الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام: «**رُدَّ نفْسَكَ على الصبر تخلص من الإثم**»(٣)، فالصبر نتيجة المجاهدة التي تؤدي إلى امتلاك القدرة للتخلص من الإثم.

وفي الأثر عن زليخا زوجة عزيز مصر، في زمن النبي يوسف عليه السلام، قولها ليوسف عليه السلام لما أصبح حاكماً: «**إنَّ الحرص والشهوة تُصيِّر الملوك عبيداً، وإنَّ الصبر والتقوى يُصيِّر العبيد ملوكاً. فأجابها يوسف عليه السلام: قال الله تعالى: إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**»(٤).

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٤٤.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٦، ص: ١٤٤.
(٤) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص: ٢٤٨.

ولا تنسَ الخلاصة المهمة لكلٍّ عمل الدنيا، وهي النتيجة في الآخـرة: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[(١)].

مرَّ أمير المؤمنين علي عليه السلام بقتلى الخوارج يوم النّهروان مخاطباً إياهم: «**بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ. فَقِيلَ لَه: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، والأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، ووَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ**»[(٢)].

تكون المكانة العظيمة لمن قاد نفسه إلى صلاحها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ المجاهد نفسه على طاعة الله وعن معاصيه، عند الله، بمنزلة برّ شهيد**»[(٣)].

٤- بَذْلُ الجُهد

الخطوةُ الأولى للامتناع عن الحرام عدم الاستجابة له في اللحظات الأولى، يدعمها الابتعاد عن أماكن الفساد وأجوائه، فاللَّذة تعبُرُ بسرعة، فإذا تخطى الإنسان مقدماتها، تمُرُّ لحظات المعصية من دون الوقوع فيها. ويقتضي الحذر أن لا نستخفَّ بالمعاصي مهما كانت صغيرة، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ولا**

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٧-٤١.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٥٣٢.
(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٤٥٢.

تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْه»[١]، وعنه عليه السلام: «**فَلا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، ولا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً»**[٢]. إنَّ افساح المجال لارتكاب المعاصي الصغيرة، قد يفتح الباب على تراكمها وارتكاب المعاصي الكبيرة، فتصعب التوبة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث المعراج: «**يموت الناسُ مرةً، ويموتُ أحدُهُم في كلِّ يومٍ سبعين مرة من مجاهدةِ أنفسِهم، ومخالفة هواهم، والشيطان الذي يجري في عروقهم»**[٣]، فمع استمرار المجاهدة يعتاد الإنسان، لتصبح نمطاً وسلوكاً، أما مع التراخي والاستسلام فالخسارة كبيرة، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[٤].

ينصحُنا أمير المؤمنين علي عليه السلام بأن نجاهد أنفسنا بتصميم وثبات، فيقول عليه السلام: «**جاهِد نفسَكَ على طاعة الله مجاهدةَ العدوِّ عدوَّه، وغَالِبْها مغالبَةَ الضِّد ضدَّه، فإنَّ أقوى الناس من قويَ على نفسِه»**[٥]. والفائز هو الذي يملك نفسَهُ وهواها ليوجهها كما يريد، من دون أن ينقاد إليها كما تُريد، فعن النبي صلى الله عليه وآله: «**جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم»**[٦].

---

(١) نهج البلاغة، ص: ١٩٧.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٧٥.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص: ٢٤.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٩.
(٥) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٢٢.
(٦) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٤٥٥.

٥- التزكية

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ۝١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (فاطر ١٥-١٨).

المفتاح

تَزكيَةُ النَّفْس تُنمِّيها وتُطَهِّرُها، فتصل إلى الطمأنينةِ والسُّمُوِ الرُّوحي، وطهارةِ الأَعمالِ والسُّلوك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: خطابٌ لجميع البشر، وليس للمؤمنين فقط، فالموضوع متعلق بجميع الناس، وعليهم أن يستيقظوا ويفهموا هذه الحقيقة.

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، الفقير هو الذي لا يملك قوت سنته، فهو بحاجة إلى من يُعينه ويُساعده ويُعطيه، والناس فقراء الى الله تعالى، يحتاجون الى عطاءات الله تعالى ومساعدته، فهو الذي أعطى الحياة، والجوارح، والهواء، وأسباب الرزق، وقدرة التفاعل مع متطلباته الدنيوية، وأعطى كلَّ شيء، فإذا أراد الإنسان أن يطلب شيئاً فمن الله جلَّ وعلا، ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وهو الغنيُّ في موقع الحمد، ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، لا يحتاج منكم إلى شيء، ولا يريد منكم شيئاً. أنتم تعبدون الله تعالى لفائدتكم، وتصلُّون وتصومون وتتقون وتستقيمون في حياتكم من أجل فلاحكم، والله تعالى لا يريد منكم شيئاً، فهو لا يحتاج اليكم، وعطاؤه لكم من دون بدل أو ثمن أو مقابل.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، فكما خلقكم الله تعالى وأوجدكم من لا شيء، يمكن بإشارة واحدة أن يُنهي كلَّ حياة البشرية، وأن يخلق بشراً جديداً يختلفون عنكم. وقد رأينا كيف أنهى حياة أُمم فبادت مثل قوم نوح وقوم عاد وقوم ثمود.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، لا أحد يتحمَّل مسؤولية أحد، ولا يوجد معصية يُعاقَب عليها إنسان لم يرتكبها، ولا ذنب

يُحاسب عليه غير مرتكبه، ولا يتحمَّل الأب عن ابنه، ولا الابن عن أبيه، ولا الأم عن ابنتها، ولا البنت عن أمها، ولا الأخ عن أخيه. كلٌّ واحدٍ يتحمَّل مسؤولية عن نَفْسِه.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾، يعني إذا كانت النفس الإنسانية مثقلةً بالذنوب التي تراكمت عليها، ودعا صاحبها أحباءه وأصدقاءه أن يحملوا معه! ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، الذين يتأثرون بهذا الإنذار هم الجماعة الذين يخشون ربهم بالغيب، وأقاموا الصلاة، فهؤلاء الذين دخل الإيمان إلى قلوبهم.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، من تطَهَّر، وكانت أعمالُه في طاعةِ لله تعالى، إنما يزكي نفسَهُ لمصلحته وليس لمصلحة أي أحد آخر. فاعمل أيها الإنسان على تزكية نفسِك، فإذا نجحت في هذا الأمر، ستحمل صحيفة أعمالك بيمينك يوم القيامة، ثم تدخل إلى الجنة، برضا متبادل بينك وبين ربك، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[1].

١- معنى التزكية

زكى، يزكو، زكاءً، يعني ما أخرجه الله تعالى من الثمر، فعندما نقول: زكى الشجر يعني ازداد ثمراً، ونما وأعطى نتائج

---

(١) سورة البينة، من الآية: ٨.

إضافية. وعن الأرض: أرضٌ زكية، يعني أنها أرضٌ طيبة تعطي الثمار والخضار بشكل ملفت ومميز، والزرع ينمو أي يزكو.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**والْمَالُ تَنْقُصُه النَّفَقَةُ، والْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإِنْفَاقِ**»[١]، العلم يزداد على الإنفاق، فينمو ويؤثر. فإذاً يزكو الشيء يعني ينمو، ويكون طيباً.

الزكاة في اللغة العربية تعني الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح. فالطهارة للنفس من الذنوب والآثام، وللمال من الحرام. والنماء هو الزيادة والبركة في الثمر والطعام وكلّ زيادة إيجابية. والبركة تَلَمُّسُ الخيرات مما لا يوحي بذلك من الزيادة الملحوظة في حياة الإنسان. والمدح إشادة بالعمل والسلوك الإيجابي المشكور والمأجور عند الله تعالى.

عندما يدعونا الله تعالى إلى تزكية النفس إنما يدعونا إلى تطهيرها، بما ينمِّيها في طاعته، فتعم البركة في حياتنا، قال تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٢] يعني تطهرهم، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[٣]، يعني قد أفلح من نمَّى نفسَه، وجعلها تُقبِلُ على الطاعات، وأوصلها إلى الصلاح، وأبعدها عن الأخلاق الذميمة والفاسدة وحب الدنيا والكبر والعجب وكلّ الصفات المستنكرة.

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٩٦.
(٢) سورة التوبة، من الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٩.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[(١)]، أي طمرها وأخفاها، وعادةً ما يُخفي الشخص الأشياء السيئة التي لا تكون محل رضا، فقد خسر من أخفى خيراتها وجعلها تتَّجه نحو المعاصي.

عندما يبتعد الإنسان عن الفحشاء والمنكر، ولا يتَّبع خطوات الشيطان، يسلكُ طريق التزكية، فيزكِّيه الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، لماذا تعود التزكية إلى الله تعالى؟ لأنَّ الله تعالى خلق الحق والباطل، ورسم طريق الحق حيث يزكو الإنسان ويتزكى بطاعته واستقامته، ولذا عندما تُزكِّي نفسَك إنما يزكِّيك الله تعالى، الذي وضع طريق التزكية للنفس الإنسانية.

قال إمامنا علي عليه السلام: «**إن الله أدَّب نبيه محمداً صلى الله عليه وآله، حتى إذا أقامه على ما أراد، قال له: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، زكَّاه الله جلَّ وعلا، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**»[(٣)].

وعن إرسال النبي محمد صلى الله عليه وآله إلينا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

(١) سورة الشمس، الآية: ١٠.
(٢) سورة النور، الآية: ٢١.
(٣) الصفار، بصائر الدرجات، ص: ٣٩٩.

وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]، فالنبي ﷺ لا يكتفي بتلاوة القرآن وتعليم أحكامه، بل يزكّي المؤمنين، فيدربهم على الطاعة، واتّباع المعروف، وينهاهم عن المنكرات، أي يهديهم إلى ما يؤدي إلى الطهارة النفسية والقلبية والروحية التي ترتقي بالإنسان.

يوجد ثلاث مراتب من التزكية: تزكية الله للنفس الإنسانية برسم طريق الحق لها وإعانتها على سلوكه، وتزكية نبيّنا الأكرم ﷺ بالتعليم والتربية والمواكبة والقدوة والإرشاد والتوجيه، وتزكية الإنسان لنفسه بالطاعة والعبادة والذكر والإقبال على الطاعات وترك المعاصي ومواجهة الشيطان.

كان رسول الله ﷺ إذا قرأ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ وقف ثم قال: «**اللهم آتِ نفسي تقواها، أنت وليُّها ومولاها، وأنتَ خيرُ من زكَّاها**»[٢]. يُساعد طلب العون من الله تعالى على اجتياز العقبات وتسريع الخطى نحو التقوى. هذه التزكية هي التي تحقق الاستقرار النفسي للمؤمن، فإن أتاه الرزق شكر الله تعالى، وإن لم يأته صبر وطلب منه جلَّ وعلا، فهو يواجه الابتلاءات بالصبر والتقبُّل، فنفسُهُ المطهَّرة تتلقى الصعوبات والعقبات كما تتلقى النِّعَم الإلهية، بقبول وطمأنينة، ما يحقِّق له سعادة الدنيا وثواب الآخرة.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص: ١١٥٤.

التزكيةُ بذلٌ وعطاء، والزكاةُ ضريبةٌ مالية شرعية فيها بذلٌ وعطاء، تنمو معها الأموال وتزداد، وبهذا البذل والعطاء تكون قد تخلَّصت النفس من الارتباط بهذا المال قربة إلى الله تعالى، وتحرَّرت من أسرِه، ومن حرَّر نفسه أصبح مالكاً للمال بدل أن يكون مملوكاً له. الزكاةُ عطاءٌ يزيد المكتسبات الإضافية، فعندما تُزكي نفسك فتُصلِّي يعني أنك تُعطي، وتصوم يعني أنك تُعطي، وتمتنع عن المحرمات يعني أنك تُعطي، وتُقبل على الطاعات يعني أنك تُعطي، ومقابل هذا العطاء تطهر روحك، وتسمو نفسك، وترتفع معنوياتك، وتحصل على رضوان الله تعالى، فهل يُعادل قليل ما أعطيته، هذه النتائج الروحية العظيمة التي حصلت عليها مع رضوان الله تعالى؟ لا مجال للمقارنة.

٢- لكلِّ شيءٍ زَكَاة

الزَّكاةُ في كلِّ شيء، قال الصادق عليه السلام: «**على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عز وجل، بل على كلِّ منبت شعر من شعرك، بل على كلِّ لحظة، فزكاة العين: النظرة بالعبرة، والغض عن الشهوات، وما يُضاهيها. وزكاة الأُذُن: استماع العلم والحكمة والقرآن**»[١]. فلكلِّ جارحةٍ زكاة، ولكلِّ حركةٍ زكاة، ولكلِّ عملٍ زكاة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لكلِّ شيء زكاة، وزكاةُ الأبدان الصيام**»[٢]. عندما تصوم تُعطي، ولكنه عطاء مليء

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٧، ص: ٤٥.
(٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ١٣٨.

بالأرباح، فعندما تصوم تنظِّم وقت الطعام، وتطهِّر معدتك، ويضعف جسدك فتكون مقبلاً على الطاعة والعبادة أكثر، ويزداد استعدادك للتضحية...، كلها خيرات من بركة الصوم.

وجَّهنا أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى نوعية الزكاة النافعة لمفردات السلوك، والتي تُحدث آثاراً فعّالة على نفس وحياة الإنسان، نذكر منها قوله:

١- «سبب تزكية الأخلاق حسن الأدب»[١].

٢- «زَكاةُ الشجاعة الجهاد في سبيل الله».

٣- «زَكاةُ القدرة، الإنصاف».

٤- «زَكاةُ الظفر، الإحسان».

٥- «زَكاةُ الجمال، العفاف».

٦- «زَكاةُ اليسار، برّ الجيران وصلة الأرحام».

٧- «زَكاةُ الصحة، السعي في طاعة الله».

٨- «زَكاةُ النعم، اصطناع المعروف».

٩- «زَكاةُ العلم، بذله لمستحقه، وإجهاد النفس بالعمل به»[٢].

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٨١.
(٢) المصدر نفسه، من الحديث ٢ الى ٩، ص: ٢٧٥.

١٠- «لكلِّ شيء زكاة، وزكاة العقل، احتمال الجهال»[١].

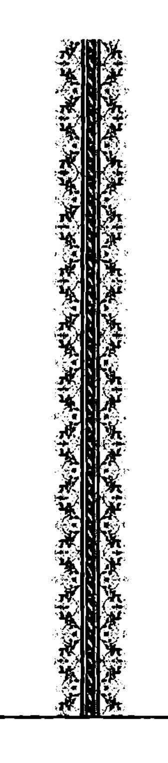
أما الذين لا يطهِّرون أنفسهم ولا يزكُّونها فهم خاسرون، فعن النبي الأكرمﷺ: **«ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّه، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلِكٌ جَبَّارٌ، ومُقِلٌّ مُخْتَالٌ»**[٢].

أعاذنا الله تعالى من شرِّ الشيطان، وأعاننا للتزكية من أجل صلاح أنفسنا وأعمالنا، إنَّه سميع مجيب الدعاء.

---

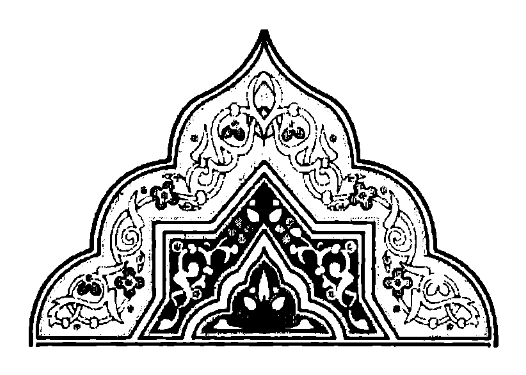
(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٠٢.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٣١١. (مقلٌّ في العمل، ويختال في مشيه مدَّعياً قيامه بأعمال كثيرة).



الفصل الثاني

مفردات الرقي



١- الحب في الله

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة ٢٤).

المفتاح

حُبُّ الله تعالى توجيهٌ للقلبِ إلى مصدرِ السَّعَادة والعَطاءات، وعندما يُبادلُنا الله تعالى الحبَّ نربحُ ربحاً عظيماً ينعكس على حياتنا، فلنجعل الحبَّ في الله والبغضَ في الله مقياسَ سلوكِنا.

١- حبُّ الله هو الأساس

مقارنةٌ يجريها الله تعالى بين المتعلقين بالدنيا وما فيها، وبين المرتبطين به، يحبونه ومحمداً ﷺ والجهاد في سبيله، وقد اختار الله تعالى ثمانية أمور تعود إليها أمور الدنيا ويتفاعل معها الإنسان بشكل مباشر، بادئاً بالعلاقات الاجتماعية الخمسة: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾، وهي العلاقات التي تنشأ عن الأُبوة والبنوة والأُخوة والزواج والعشيرة، ثم المكاسب المالية والتجارة مصدر الإنسان في معاشه: ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾، ثم مكان السكن والاستقرار النفسي والمعنوي: ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾.

هذه الأمور الثمانية تندرج تحت العناوين الثلاثة: العلاقات الاجتماعية والأموال والمساكن، وهي مقابل: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾، أي أحبّ عندكم من الإيمان بالله تعالى والارتباط حبّاً به، وحبّ الرسول ﷺ وما يمثّل من تشريع وتوجيه ورسالة سماوية وقدوة نحو الكمال، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الدين وحماية المظلومين والمجتمع من المعتدين عليه، وقد ذخرت الآيات القرآنية بالحديث عن الجهاد في موارد كثيرة جداً، إذ لا يمكن للإنسان أن يكون مؤمناً حقيقياً فاعلاً إلَّا إذا تربى على حبِّ الجهاد والاستعداد للتضحية.

إذا كانت هذه الأمور الدنيوية الثمانية أحبّ إليكم مما يربطكم

بالله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، انتظروا الحساب، فالله لا يهدي الذين فسقوا، ولم يلتزموا بضوابط الشريعة، وانحرفوا عن الطريق.

هل يوجد تعارض بين الارتباط بالدنيا وملذاتها بكل أقسامها، وبين الارتباط بالله تعالى وما يترتَّب على ذلك؟ أم بين حب الأولاد والآباء والعشيرة وبين حب الله تعالى؟ المقارنة بقوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾، أي الحب الذي يسبِّب تضارباً في الموقف، فإذا اتخذتم موقفاً فيه لله رضا، وللأب غضبٌ أو للابن رفضٌ أو للزوجة ممانعةٌ، فهل تتبعون أوامر الله تعالى ولو أغضبتم هؤلاء ولم يكونوا راضين؟ أم أنكم تستمعون إلى كلامهم ولو أبعدوكم عن طاعة الله تعالى؟ فالمقارنة تؤكد الذَّم لا الحب الذي يطغى لمصلحة الدنيا على حساب الدين. أمَّا لو تماهى وتناغم الارتباط بالأهل والعشيرة مع الإيمان بالله تعالى، بحيث يكون الحب مساراً واحداً، لله ورسوله والجهاد في سبيله، وللأهل والمال والمساكن في إطار طاعة الله تعالى، فالأولوية واضحة لله تعالى، ولا تعارض في الآثار، ولا حاجة لأي مقارنة، فالحب للأمور الدنيوية في طاعة الله أمرٌ مشروع.

من حقك أن تحصل على المال لتدبير أمور معاشك، وذلك عن طريق الحلال، ما ينسجم مع الالتزام بالأمر الإلهي، ويندرج في حب الله تعالى، أما لو حصلت عليه عن طريق الحرام، فقد

اتَّبعتَ هواك، وعصيتَ الله تعالى، ما يعبِّر عن حبِّك للمال أكثر من حبِّك لله تعالى. فالمقارنة في إطار التعارض بين الحلال والحرام، ولا محلَّ لها عند التوافق، عندما تكون علاقتك مع الأهل والمال والمسكن خاضعة للإيمان وطاعة الله تعالى، فأنت تحبُّ ولدَك وتربِّيه على طاعة الله تعالى، في إطار حبك لله تعالى.

إذا كُنْتَ مُستعداً للجهاد في سبيل الله، ولو أدَّى إلى خسارة مالك، في مقابل الارتباط بالمال الذي يمنع الجهاد ويؤدي إلى الاستسلام، فأنت محبٌّ لله ورسوله والجهاد في سبيله، ولا يُعتبر مالُك عائقاً، ولو بقي معك في كثرةٍ ويسارٍ، فهو لا يمنعك من الجهاد.

لكن لاحظوا كيف جرت المقارنة في هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾، فالله تعالى انطلق من الحب، وهو تعبيرٌ عن علاقة عاطفية تنطلق من القلب، والمطلوب أن ننقل الإيمان بالله تعالى إلى حالة الحب، وكذلك الإيمان بالرسول ﷺ والجهاد، فالحب يحقِّق التفاعل الحقيقي بين العقل والقلب، وبين الإيمان والالتزام العملي، فتنطلق الجوارح لتؤدي وظيفتها في طاعة الله تعالى في أجواء الاندفاع والأنس واللذة والذوبان في الله تعالى.

يقوم البناء الإسلامي على التفاعل بين العقل والقلب، وما

ينتج عن الحب لا ينتج عن أي منطق، وما يُعطيه العاشق لله تعالى لا يُعطيه أي أحد لأي سبب آخر. الحبُّ مترادفٌ مع العطاء والبذل، فأنت تُعطي من تحبه من دون بدل، تُعطي ولدك الذي تحبُّه من دون توقع أن يعطيك شيئاً، وأنت مستأنسٌ بهذا العطاء. تكون قوة العطاء بالحب أكبر بكثير من العطاء للواجب، فاذا أعطيتَ ولدك لأنَّك تحبه، فهو أرقى من أن تعطيه لأنَّه واجب عليك، وهذا ما يتحقق عند الكثير من الأهل، فالفطرة تساعد على هذا السلوك الراقي.

٢- حبُّ النبي ﷺ والأولياء

الحبُّ للرسول ﷺ حبٌّ للقدوة التي تؤثِّر في سلوك المؤمن، وهو مقدَّمٌ على ما سواه لأنَّه النُّور الذي يهدي ويُقوِّم. قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وأهلي أحبَّ إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذريتي أحبَّ إليه من ذريته»**[1]. لماذا نحبُّ النبي ﷺ وأهل بيته وذريته أكثر من حبِّنا لأولادنا وأنفسنا وعترتنا وذريتنا؟ مسارُ النبي ﷺ وعترته يهدف إلى إقامة الدين، فهم النموذج الأرقى، الذي يعبِّر عن الاستقامة والصلاح، وحبهم تعبير عن التفاعل في إطار التضحية والعطاء، فإذا ارتبطنا بنماذجهم، سرَّينا حُبَّنا لهم إلى حُبِّنا لأهلنا على طريق

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص: ٤١.

الصلاح، ما لا يُنقصُ من حُبِّنا لأهلنا شيئاً، بل يزيده نوراً من حب النبي ﷺ وآله عليهم السلام.

ويقول الرسول ﷺ تأكيداً لهذا الحب: «﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، **أن تحفظوني في أهل بيتي، وتودوهم بي**»[1].

حبُّ النبي ﷺ وآل بيته عليهم السلام يتعدى العلاقة العاطفية الى تولِّيهِم والتَّبرِّي من أعدائهم، فعنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «**قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لأَصْحَابِه: أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ. وقَالَ بَعْضُهُمُ الصَّلَاةُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الزَّكَاةُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الصِّيَامُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الْحَجُّ والْعُمْرَةُ، وقَالَ بَعْضُهُمُ الْجِهَادُ.**

فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: لِكُلٍّ مَا قُلْتُمْ فَضْلٌ، ولَيْسَ بِه، ولَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّه، والْبُغْضُ فِي اللَّه، وتَوَلِّي أَوْلِيَاءِ اللَّه، والتَّبَرِّي مِنْ أَعْدَاءِ اللَّه»[2].

إذاً من الطبيعي أن ننسجم مع المحب لله تعالى، ولا ننسجم مع العاصي له، وأن نقيِّم الأعمال بحسب مؤداها، فإن كانت مستقيمة فهي في حبِّ الله تعالى، وإن كانت منحرفة أبغضناها في الله تعالى، وهذا ما يجعل شخصيتنا في مسارها الإيماني الصحيح. قال تعالى لموسى عليه السلام في الحديث القدسي: «**هل عملتَ لي عملاً**

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٦، ص: ٧.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١٢٥.

قط؟ قال موسى عليه السلام: إلهي صلَّيتُ لك، وصمت، وتصدَّقت، وذكرتُك كثيراً.

قال الله تبارك وتعالى: أمَّا الصلاة فلك برهان، والصوم جُنَّة، والصدقة ظلٌّ، والزكاة نورٌ، وذكرك لي قصور، فأي عملٍ عملت لي؟

قال موسى عليه السلام: دُلَّني على العمل الذي هو لك؟

قال: يا موسى، هل واليت لي وليَّاً قط؟ أو هل عاديت لي عدوًّا قط؟ فعلم موسى أنَّ أفضلَ الأعمال الحب في الله، والبغض في الله»[1].

هذه هي القاعدة، أن تكون مع أولياء الله تعالى، الذين يحبون لله، ويُبغضون لله. عندما تكون من أولياء الله تعالى وتعادي أعداءه، تحب لله وتعمل ما يحبه، وتبغض في الله وتبغض ما يبغضه، تصبح جزءاً من مسيرة الأنبياء والأوصياء والشهداء الذين يعمرون الكون بطاعة الله تعالى.

الحبُّ لله تعالى هو المحور والأساس. من أحبَّ الله تعالى أحبَّ أن يرضى عنه، ولا يرضى إلَّا بتنفيذ أوامره، فإذا كانت أوامره صعبة، فالمحب يُعطي للحبيب ولو عانى وضحَّى وتعب،

(١) علي الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص: ٢٢٢.

لأنَّ هدفه الأساس أن يرضى الحبيب، فكيف إذا كان الحبيب هو الله تعالى؟

ماذا يعني الحب في الله والبغض في الله؟ فلنفرض أن جماعةً من المؤمنين لا تعرفهم ولا يعرفونك، ولكن لأنهم يحبون الله ويطيعونه، يرتبط قلبُك بحبهم وتتقرَّب منهم، فأنت تحبهم في الله تعالى لأنهم يحبونه، وتساعدهم حباً لله، وتحمل معهم قضية الأمة حباً لله، وتواجه أعداءهم وتبغضهم قربة إلى الله تعالى. وإذا كان هناك شخصٌ عاصٍ، أعماله منحرفة وشيطانية وفاسدة، ولك مصالح معه، وتربطك به صداقة، لا يصح أن يكون حبيباً لك، وهو مخالف لأوامر الله تعالى، فهذا ما لا ينسجم مع روحيتك والتزامك وحبك لله تعالى، ويُخشى أن يدفعك حبه إلى التضحية من أجله مخالفاً لإيمانك والتزامك.

ويقول الرسول ﷺ مُظهراً لنا قيمة هذا الحب وحلاوته: **«ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار»**(١).

المحور هو الحب في الله والبغض في الله، قال أمير المؤمنين

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٥، ص: ٨٠٨.

علي عليه السلام: «**جُماعُ الخير في الموالاة في الله، و المعاداة في الله، والمحبة في الله، والبغض في الله**»[١].

٣- الحبُّ المتبادَل

يدعونا الله تعالى إلى حبٍّ متبادل، فلا يطلب من عباده أن يحبّوه فقط، بل يخبرنا بأنَّه يحب عباده. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]. هذا الاختيار مبني على صفاتهم التي تبيِّن التزامهم بأوامر الله تعالى، وهو مرتبطٌ بالعمل، وقد يتغيَّر بتغيير الموقف، لكن الأرض لن تخلو من جماعة المؤمنين المرتبطين برابطة الحب والعطاء بشكل متبادل مع الله تعالى. إنَّ حب الله تعالى لعباده مَدَدٌ عظيم، فهو عطاءٌ عظيمٌ من الله تعالى لعبده المؤمن، والخاسر الأكبر من خسر هذا الحب. يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «**عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَل لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً**»[٣].

ليس الحبُّ تعبيراً عاطفياً مجرداً، بل هو استحواذ على القلب لينطبع سلوك المرء بمن أحب، وما لم يتم التعبير عن الحب

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٢٣.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.
(٣) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ٤٢٦.

بالعمل فكيف نُدرك وجوده؟ وما لم يكن الحب انسجاماً مع الخالق الآمر فكيف يكون حباً؟ وهل ينسجم الإنسان إلّا مع من أحب؟ من المفيد أن تُجري اختباراً لموقعك ومع من تكون. عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ فِيكَ خَيْراً فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّه ويُبْغِضُ أَهْلَ مَعْصِيَتِه، فَفِيكَ خَيْرٌ، واللَّه يُحِبُّكَ، وإِنْ كَانَ يُبْغِضُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّه ويُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِه، فَلَيْسَ فِيكَ خَيْرٌ، واللَّه يُبْغِضُكَ، والْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[١].

ينفر بعض الأشخاص عندما تدعو لهم أن يحشرهم الله تعالى في يوم القيامة مع من أحبوا، لأنهم أحبوا العصاة ومأواهم النار، وهم يرغبون النفاد من العذاب مع تعلقهم بالمعصية، فيطلبون الخاتمة مع النبي صلى الله عليه وآله والآل عليهم السلام والمؤمنين، لكنهم لا يعملون أعمالهم في الدنيا! هذا محال، والطريق واضح.

تحدث الله تعالى في آيات عديدة من القرآن الكريم عمن يحبُّهم بسبب صفاتهم، وعمن لا يحبُّهم بسبب صفاتهم أيضاً، ما يدلّ على أن الحب مرتبط بالسلوك. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، الذين يُعطون من دون مقابل، ويقدِّمون الخدمة من دون بدل، ويرفعون الأذى عن الطريق قربة إلى الله تعالى،

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١٢٦.
(٢) سورة المائدة، من الآية: ٩٣.

ويتصدقون وهم لا يريدون بدلاً، ويعفون عمن ظلمهم متأملين بعطاء الله تعالى لا بعطاء الناس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]، الذين يتوبون إلى الله تعالى بعد ذنب، فلا يصرُّون عليه، ويستدركون معصيتهم، ويتأملون بعفو الله تعالى، ويندفعون إلى الطاعة بعد المعصية. والذين يتطهرون الطهارة الجسدية والقلبية فيزكون أنفسهم وأجسادهم بخطوات العبادة والطاعة التي تُطهرهم من كلِّ رجس أو دنس.

ويقول تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، الذين يحذرون من الوقوع في المعاصي، ويراقبون أعمالهم، ويسعون إلى أفضل الطاعات، ما يحمي نفوسهم من ذلات الشياطين، ويعمِّق الإيمان في قلوبهم.

فالله يُحبُّ الصالحين، ويُحبُّ التوابين، ويُحبُّ المتطهرين، ويُحبُّ المتقين، هؤلاء الذين يملكون مواصفات إيمانية، ويعملون بما أمر الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٣]، لأنه من عمل الشيطان، وهو

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٠٥.

مخالف للصلاح الذي أمر به الله تعالى، والفساد يخرِّب حياة الناس ويحرمهم من ملذاتها الطيبة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، الذين يعتدون على الآخرين، ويتجاوزون حدودهم وحقوقهم، ويسيئون إلى الاجتماع البشري، وهذا مخالف لما أراده الله تعالى من العدل وحفظ حقوق الناس.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، الذين عميت أبصارهم وبصيرتهم عن حقيقة الإيمان، ولم يعتبروا بنِعَم الله تعالى، وأنكروا طريق السعادة الحقة، واختاروا نقيض الإيمان، وعادوا خالقهم ومن تعود إليه الأمور.

فالله لا يُحبُّ الفساد، ولا يُحبُّ الظالمين، ولا يُحبُّ الكافرين. . . فهؤلاء يسيرون في طريق تخالف وتناقض خطَّ الله تعالى، فليتحمَّلوا مسؤولية بغض الله تعالى لهم بسبب انحرافهم، وكذلك عاقبة أمرهم.

٤- نتائجُ الحب

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إذا أحبَّ الله عبداً ألهمه حُسن العبادة**»[3]، فإذا كانت عبادتك حسنة، تصوم وتصلي، وتتفاعل مع العبادات كما أراد الله تعالى، فهذا يعني أن الله تعالى يحبك، لأنه يَسَّر لك القيام بحسن العبادة، ليسمع صوتك، ويراك في هذا المقام.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ٥٧.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ٣٢.

(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٣٥.

ويؤدي الحب إلى غفران الذنب، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

ويقول الرسول ﷺ: «**قال الله تعالى في الحديث القدسي: ما تحبَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وإنَّه ليتحبَّب إليَّ بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعهُ الذي يسمع به، وبصرهُ الذي يبصر به، ولسانهُ الذي ينطق به، ويدهُ التي يبطش بها، ورجلهُ التي يمشي بها، إذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته**»[(٢)]. فالعبادة تعبيرٌ عن حب العبد لربه لأنه استمع إلى أوامره ونفذها، عندها يبادل الله تعالى عبده الحب، فيعطيه بلا حدود، إلى درجة تكون معها كلّ أعماله مسدَّدة من الله تعالى، ويعينه عوناً دائماً لا ينقطع.

نخلصُ الى أنَّنا أمام حبَّين مُتعارضين، حبِّ الله وحبِّ الدنيا، فعن رسول الله ﷺ: «**حب الدنيا وحب الله لا يجتمعان في قلبٍ أبداً**»[(٣)]. فلا يمكن للمرء أن يجمع بين مسارين متعارضين، والأولى أن يختار مصلحته وسعادته وراحته، وهو المتحقق بحب الله تعالى، الذي يترتب عليه نتائج عظيمة في الدنيا والآخرة. فليكن مقياسنا أن نحب الله ونبغض لله جلَّ وعلا.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٢) البرقي، المحاسن، ج ١، ص: ٢٩١.
(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٥١١.

٢- العبادة

قال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (طه ١٣-١٦).

المفتاح

العِبادةُ تواصلٌ مع الخالق، تُنَوِّرُ قلوبَنا، وتُغيِّرُ سلوكَنا، وتَهْدينا إلى طريق الاستقامة.

كان النبي موسى عليه السلام يسير مع عياله في الصحراء، فرأى عن بُعْدٍ ناراً لم يعلم ماهيتها، فطلب من أهله أن يمكثوا مكانهم ليستطلع النار، لعلَّها تعينهم على إنارة الطريق أو التدفئة والاستخدام، فلما وصل إليها تبيَّن له أنها نور النبوة.

تتحدث الآيات عن بدء الوحي لموسى عليه السلام واختياره كنبيٍّ مكلَّفٍ ليكون رسولاً إلى الناس، يحمل شريعة الله تعالى. فاختيار الأنبياء بيد الله تعالى، الذي يقرِّر من يكون نبياً، والرسالة التي يحملها، وإذا ما كانت رسالة شاملة كما مع النبي محمد صلى الله عليه وآله، أو كانت رسالة أولي العزم كما مع موسى عليه السلام، أو كانت رسالة لنبيٍّ في مدينة لجماعة محدودة كما مع الكثير من الأنبياء الذين بلغ عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبيٍّ، كما في بعض الروايات.

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾، فما هو هذا الوحي؟ كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام من الوادي الأيمن، من خلف الشجرة، لكنه ليس كلاماً على الطريقة البشرية، بل صوتٌ سمعه موسى عليه السلام من خلق الله تعالى، فالله تعالى لا يظهر لأحد بمن فيهم الأنبياء، لأنَّه مطلق لا شكل له ولا حدود.

١- أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾، يا موسى: أنا الله، ولا إله غيري، واحدٌ أحد. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا

ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾(١)، ولاختلفت أوامر كل واحد منهم عن الآخرين، واختلّ النظام الكوني. إذاً هو إلهٌ واحد، لا شريك له، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾(٢). فاعبدني يا موسى، وهي دعوة لجميع البشر إلى عبادة الله تعالى، وما إرسال الأنبياء إلى الناس إلَّا ليعبدوا الله تعالى، لا لأن الله تعالى بحاجة إلى عبادتنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولكن ليستفيد المخلوق المحتاج والناقص والعاجز من علاقته بالخالق الكامل والقادر، فالعبادة اعتراف بقدرة الله تعالى ونِعَمِهِ، وأداء يهدي الإنسان إلى الطريق الصحيح.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، فالصلاة ذكرٌ لله تعالى وتقرُّبٌ منه، وهي نموذج من العبادات التي تقربنا إلى الله تعالى، كالصوم والزكاة والحج والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

تتطلب العبادات نية القربة إلى الله تعالى، وهي نتيجة الإيمان والطاعة، وليست لفظة النية مطلوبة، وإنما عيشها فعلياً أثناء قيام الإنسان بالعبادة، فلا تتقوَّم العبادة من دون النية.

أما الواجبات الأخرى كالمعاملات مثل الإنفاق على الزوجة والأولاد، أو الطهارة المائية من النجاسة، أو حدود الحلال من المعاملات كضوابط عقد البيع أو حرمة الإقراض الربوي... فهي

---

(١) سورة الأنبياء، من الآية: ٢٢.
(٢) سورة الإخلاص.

واجبات توصلية، أي أنها توصل إلى الله تعالى، ولكن لا يشترط فيها نية القربة إلى الله تعالى. فلو أنفق على زوجته وأولاده ولم ينوِ القربة إلى الله تعالى، وإنما أدى الحق كواجب أو لاعتقاده بمسؤوليته عنه، فقد قام بواجبه ولا شيء عليه، وكذلك لو تنجست يده فمرَّرها من غير قصد تحت الماء الطاهر تطهر من دون نية التطهير، وهذا يختلف عن الوضوء أو الغُسل اللذين يشترط فيهما نية القربة لصحة العمل.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾، لم يخبرنا الله تعالى عن وقت القيامة ووقت الساعة، ما يجعلنا مختارين لتصرفاتنا من دون ضغط التوقيت ليوم القيامة.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾، فلا يمنعك عن يوم القيامة، أي عن الاستقامة التي تكون سبباً لنجاتك في يوم القيامة، من لا يتبع الله تعالى بل يتبع هواه الذي يسقطه في عذاب جهنم.

٢- تعزيزُ العلاقة مع الله

نحن مأمورون بالعبادة لله تعالى، فهي التي تعزز صلتنا به، وتقوي علاقتنا به، وتؤثر على مسار حياتنا.

العبادة تعزيزٌ للعلاقة مع الله تعالى، من خلالها نكون قد استمدينا منه، وحقَّقنا مرضاته، لنصل إلى أعلى المستويات

الإنسانية التي لا تتحقق إلّا بالعلاقة معه، مصدرِ كلٍّ الخيرات والعطاءات، ومصدر الكمال والتوفيق.

يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾، هذا الإنسان الذي يصلّي صلاة الليل، ويتعبّد لله تعالى والناس نيام، ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، يريد التقرّب إلى الله تعالى ليسوِّي صحيفة أعماله لمصلحة الطاعة، ويرجو رحمة ربه، والزيادة من فضله بغير حساب. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١)، هل يستوي الذي يعلم حقيقة العبادة وآثارها، والجاهل الذي لا يعرف قيمة ومعنى الصلاة في جوف الليل المظلم؟ العاقل هو الذي يلجأ إلى العبادة، ويتذلل لله تعالى ويتقرب منه، فمع عبادة الله تعالى لا حدود للرقي ودرجات الكمال والسعادة البشرية، تصاحبها المغفرة والرضوان.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جلَّ جلاله أوحى إلى الدنيا: أتعِبي من خدَمَك واخدمي من رفضَك، إنَّ العَبدَ إذا تَخلّى بِسَيِّدِهِ في جَوفِ اللَّيلِ المظلِمِ وناجاهُ، أثبَتَ اللهُ النّورَ في قَلبِهِ، فَإِذا قالَ: يا رَبِّ يا رَبِّ، ناداهُ الجَليلُ جَلَّ جَلالُهُ: لَبَّيكَ عَبدي، سَلني أُعطِكَ، وتَوَكَّل عَلَيَّ أكفِكَ. ثُمَّ يَقولُ جَلَّ جَلالُهُ لِمَلائِكَتِهِ: يا مَلائِكَتِي، انظُروا إلى عَبدي، فَقَد تَخَلّى بي في جَوفِ اللَّيلِ المظلِم، والبَطّالونَ لاهونَ، والغافِلونَ نِيامٌ، اشهَدوا أنّي قَد غَفَرتُ لَهُ**»(٢). هل يُدرك

---

(١) سورة الزمر، من الآية: ٩.

(٢) علي الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ص: ٤٥٠.

الإنسان معنى أن يخاطب الله تعالى الملائكة ويُشهدهم بأنه قد غفر لعبده؟ الربحُ دائمٌ مع عبادة الله تعالى، تعطي القليل ويعطيك الكثير، وهذا القليل الذي تُعطيه يرتد إيجاباً عليك من الله الغني عن العالمين.

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا، افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ، أُولئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ**»[(١)]. هذا المقام الرفيع هو للعابدين الراكعين الساجدين الخاشعين لله تعالى، والمنفِّذين للأوامر الإلهية، وأولئك هم المفلحون.

انظر إلى عبادة أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يقول: «**ما رأيتُ شيئاً إلَّا ورأيتُ الله قبله**»[(٢)]، حيث اختلط كيانه بالإيمان الذي أزال الحواجز، ليكون كلُّ شيء مع الله، وهذا هو العيش العملي لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(٣)]، إنَّها بركات ونور الطاعة التي توصل إلى هذا المقام العظيم.

تتغيَّر حياة الناس، وتتغيَّر طريقة التفكير لديهم، ويتغيَّر

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٢٠.
(٢) المازندراني، شرح أصول الكافي، ج ٣، ص: ٨٣.
(٣) سورة الحديد، من الآية: ٤.

سلوكهم، إذا عبدوا الله وتفاعلوا معه. فلا يمكن أن ترتكبَ معصيةً إذا عشت وجود الله تعالى معك في كل لحظة، كما لا يمكن أن ترتكِبها لو كنت تعيش رقابة الله تعالى كما تحذر من رقابة أخيك أو أبيك أو أمك أو زميلك، فاعمل وجاهد نفسك لتعيش العبادة أُنساً وتفاعلاً، فتكون مع الله ويكون معك.

تساعد العبادة على التقوى التي تحمي من المعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وبما أن الإنسان يحتاج إلى قوة يلجأ إليها لتساعده وتعينه، فأي قوة أقدر وأعظم من قوة الله الخالق العلي القدير؟ وماذا سيربح العابدون لغير الله تعالى؟ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[2]. لقد فطر الله تعالى الإنسان على غرائز ثابتة، ومنها غريزة التدين، فإمَّا أن نعبُد الله تعالى، وإما أن نعبد الصنم أو الشهوة أو الهوى، إذ لا بدَّ للإنسان أن يكون له معبود، ولكن غير الله تعالى مسلوب القدرة والسيطرة، لا يضرّ ولا ينفع، أما الله تعالى فهو الخالق المدبر، الذي بيده كل شيء وإليه تُرجعون.

حاور النبي إبراهيمعليه السلام أباه آزر، حول عبادة الله تعالى في

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٦.

مقابل عبادته وقومه للأصنام، مبيِّناً بالدليل والبرهان سبب الدعوة إلى عبادة الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1]. كل الأمور بيد الله تعالى، وكل العطايا من عند الله تعالى، وكل حركة الحياة وما فيها بإرادة الله تعالى، فإذا ما عبد الإنسان ربَّه، يكون قد وجَّه غريزة التدين بشكل سليم، ما يريحه معنوياً وعملياً، فيربح الدنيا والآخرة.

لا تقتصر عبادة الأصنام على عبادة الحجارة الصمَّاء، إذ يوجد ما هو أسوأ من الأصنام، كالشهوات، والانحراف، والمال، والسلطة... التي إذا تمسَّك بها الإنسان، وضحَّى من أجلها، وتعلَّق بها، كان عابداً لها من دون الله تعالى. أما العابد لله تعالى فهو في مسارٍ مناقض تماماً لعبدة الأصنام، يعُرِضُ عن المحرمات والشهوات والهوى ويواجهها، لأنها تحرفه عن خياره المستقيم.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦٩ - ٨٢.

عن الإمام الرضا عليه السلام: **إن قال قائلٌ: لم تَعَبَّدَهُم؟ قيل: «لئلا يكونوا ناسين لذِكره، ولا تاركينَ لأدبه، ولا لاهِين عن أمره ونهيه، إذا كان فيه صلاحهم وفسادهم وقوامهم، فلو تُرِكوا بغير تَعَبُّد، لطالَ عليهم الأمد فقستْ قُلوبهم»**(١). محور العبادة لله تعالى استمرار التواصل مع الله تعالى وذكره الدائم، ما يساعد على مواصلة طريق الهدى.

٣- آثَارُ العِبَادَة

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٢). عندما تصلي قربة إلى الله تعالى، فإنَّك تعبِّر عن التزامك بأوامر الله تعالى ونواهيه، وتكون بتواصلك مع الله مُنتبهاً إلى خطواتك اليومية، ومُراعياً لمسائل الحلال والحرام، ما يؤدي بشكل انسيابي إلى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وهذه النتيجة من آثار الصلاة الحقيقية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي عليه السلام: **«يا علي! إنما منزلةُ الصلوات الخمس لأُمتي كنهرٍ جارٍ على باب أحدكم، فما يظن أحدُكُم لو كان في جسده درن، ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات، أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات**

---

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص: ٢٥٦.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

الخمس لأمتي»[1]، فالصلاة عملية تطهير، خمس مرات في اليوم حيث يستيقظ الإنسان صباحاً ويستفتح، بذكر الله تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2]، ثم من الصباح إلى الظهيرة يتعامل مع الناس، فيُحسن ويُسيء، فيحين وقت صلاة الظهر فيصلّي ويستغفر الله تعالى، ما يُصوِّب سلوكه وحُسن تعامله مع الناس، ومع صلاة العصر يزداد انتباهه. ثم من العصر إلى المغرب، يُحسن ويُسيء، فيحين وقت صلاة المغرب، فيُصلّي ويستغفر، ثم يختم بصلاة العشاء ويذهب إلى النوم، فيكون قد بدأ يومه بطاعة الله تعالى، كذلك وتوسطه طاعة لله تعالى، وأنهاه كذلك، ما يطوِّق الانحراف قبل أن يستفحل، ويُعالج الانحرافات الطارئة من بدايتها. إنَّ التواصل اليومي خمس مرات مع الله تعالى، يجعل الفاصل الزمني بين الاتصال والآخر قصيراً، والغفلة عن ذكر الله تعالى محدودة، ما ينبِّه الإنسان ليستدرك قبل أن تتفاقم المعاصي وتزداد.

وقال تعالى عن الصوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]. فالصيام يهدف إلى تقوية الإرادة ليمتلك الإنسان قدرة حماية نفسه من الانزلاق، وهذه الإرادة تعزِّز حالة التقوى التي تشمل أعمال

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص: ٣٤٦.
(٢) سورة إبراهيم، من الآية: ٢٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

الإنسان في حياته، وقوله لعلكم تتقون، لارتباط التقوى بأداء حق الصيام بالشكل والمضمون الصحيحين.

في الحديث القدسي سأل النبي ﷺ أثناء المعراج: «**يا رب، وما ميراث الصوم؟ فأجابه: الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد، لا يبالي أصبح بعُسرٍ أم بيُسر**»[1]. انظر إلى هذه الآثار العظيمة للصوم، والتي تتدرج نحو الكمال، بحيث لا يبالي العبد إذا ما أصاب نعمة أو نقمة، لأنَّه ناظرٌ إلى نجاحه في الامتحان وتحقيق مرضاة الله تعالى.

أمرنا الله تعالى بأعمال محدَّدة واجبة كعبادات، إذا ما التزمنا بها بشروطها، حصدنا آثارها في السلوك والمعاملات، فعن الإمام السجاد عليه السلام: «**يقول الله تعالى: يا بن آدم، اعمل بما افترضتُ عليك تكن من أعبد الناس**»[2].

٤- صفاتُ العَابد

سبع صفات بيَّنها رسول الله ﷺ في حديث المعراج، عندما خاطبه الله تعالى:

«يا أحمد، هل تدري متى يكون لي العبد عابداً؟

---

(١) الحر العاملي، الجواهر السنية، ص: ١٩٧.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٢٨١.

قال ﷺ: لا يا رب؟

قال تعالى: «إذا اجتمع فيه سبع خصال: ورعٌ يحجزه عن المحارم، وصمتٌ يكفه عما لا يعنيه، وخوفٌ يزداد كل يوم من بكائه، وحياءٌ يستحي مني في الخلاء، وأكلُ ما لا بدَّ منه، ويُبغضُ الدنيا لبُغضي لها، ويحبُّ الأخيار لحبي إياهم»[1]. اسألوا الله تعالى أن تتصفوا بها، واعلموا أن بإمكانكم أن تصلوا إليها جميعاً، بتطبيق ما فرضه الله تعالى، وما أمر به من العبادات والمعاملات.

---

(١) الديلمي، إرشاد القلوب، ج ١، ص: ٢٠٥.

٣- الدعاء

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٦).

المفتاح

الدعاءُ لُجوءٌ إلى الخالقِ المُنْعِم، فتتحقَّق الرَّاحةُ النَّفْسيَّةُ بالطَّلَبِ منه، والرَّاحةُ العمليةُ بالإجابَة بأشكالها المختلفة.

تحثُّ الآية الكريمة على الدعاء، والدعاء هو الطلب من الله الخالق، الذي بيده ملكوت كل شيء، وبيده خزائن الأرض والسماوات وما فيهما، ، لتحقيق رغبات الإنسان ومطالبه، فالإنسان يدعو ربَّه صاحب الملك.

أشار صاحب تفسير الميزان السيد الطباطبائي(قده)، إلى وجود سبع إشارات مُلفتة ومميزة في هذه الآية المحدودة الكلمات:

الأولى: رقة الأسلوب، ففيه من الحنان ما يلامس القلب، فقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، يتجاوز الحواجز، ويُسقط الحجب بين الإنسان وربه. وقد رُوي في سبب نزول هذه الآية، أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أقريبٌ ربي فأُناجيه، أم بعيدٌ فأُناديه؟ فنزلت هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

الثانية: استخدام صيغة المتكلم سبع مرات في الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، يمنع الحواجز بين الإنسان وربه.

الثالثة: تقريب الداعي، لقوله تعالى: ﴿عِبَادِى﴾، ولم يقل الناس، فعبادُ الله لديهم درجة من الإيمان، أما عامة الناس فقد لا يلتفتون إلى دعاء الله تعالى.

الرابعة: الإجابة المباشرة عن السؤال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ولم يقل: فقل لهم إني قريب، هذه الإجابة المباشرة تعزِّز الصلة الوثيقة والقوية مع الله تعالى، فالإجابة تتبع السؤال مباشرة.

الخامسة: استخدام صفة ﴿قَرِيبٌ﴾، والصفة تدل على الاستقرار، أي استقرار قرب الله دائماً من المؤمن، بدل الفعل الذي يدل على عدم الاستقرار والديمومة.

السادسة: تجدد الإجابة كلما تجدَّد الدعاء، ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وهو من نتائج القرب الذي يحقق الإجابة السريعة.

والسابعة: الإجابة أكيدة ومضمونة، فعندما يقول تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، يعني أن الإجابة ستتحقق تلبية للدعاء.

ويقول صاحب تفسير الميزان: «فهذه سبع نكات في الآية تنبئ بالاهتمام في أمر استجابة الدعاء والعناية بها، مع كون الآية قد كرَّر فيها - على إيجازها - ضمير المتكلم سبع مرات، وهي الآية الوحيدة في القرآن على هذا الوصف»[١].

١- السؤالُ مفتاحُ الإجابة

انتبه إلى قرب الله تعالى الدائم منك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى

---

(١) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٢، ص: ٣١.

﴿عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[١]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢]، فالله تعالى قريب جداً، إذ لا يحتاج الإنسان إلى مراسم اللقاء، ولا عناء التهيئة والذهاب إلى مكان محدد، ولا يحتاج إلى أن يطلب موعداً، ففي أي لحظة يفكّر فيها سؤال ربه، يسأل، والله قريب يجيب دعوة الداع، ولكن: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾. فليلتزموا بالخطّ المستقيم، لأنَّ هذه الاستجابة تقربهم مني، فإذا ما طلبوا لبّيْتهُم. وليؤمنوا بأني أُلبي طلباتهم، فإذا لم يكونوا واثقين بتلبية دعواتهم، فَقَدوا مقوِّم الدعاء الأساس للتلبية.

لماذا الدعاء والطلب من الله تعالى، وهو العالِم بالحاجات؟ لأنَّ أحدَ مفاتيحِ العطاء تعبيرُ الإنسان عن ضعفه وحاجته، والدعاء والطلب من الخالق المنعم. الضعيف يطلب من القوي، والعاجز يطلب من القادر، والناقص يطلب من الكامل، والمحتاج يطلب من المستغني، والفقير يطلب من الغني، فإذا شعر العبد بصفات النقص، واعترف بها، فلجأ إلى الكامل، فإنَّ الكامل يُعطيه لأنَّه تعلَّقَ بحبله المتين، وتقرَّبَ منه، يسألُهُ دون غيره.

في دعاء شهر رجب: «**يا من يُعطي من سأله، ويا من يُعطي من لم يسأله ولم يعرفه، تحنناً منه ورحمة**»[٣]. فالسؤال مفتاح

(١) سورة الحديد، من الآية: ٤.

(٢) سورة ق، من الآية: ١٦.

(٣) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال، ج ٣، ص: ٢١١.

الإجــابــة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[١]، فلا تحرم نفسك من مفاتيح الإجابة بالدعاء والسؤال.

الدعاء حالةٌ نفسية يعيشها الإنسان، ويسبب له الراحة عندما يلجأ إلى الله تعالى، خاصة أنَّ حياة الإنسان اليومية مليئة بالمآزق والبلاءات والمشاكل والصعوبات، وهو بحاجة ليتكلم عنها مع أحد؟ ألا تشعر أنك بحاجة لمن يدلُّك على خلاصك من هذه الصعوبات؟ ألا تشعر أنك بحاجة لمن يأخذ بيدك فينصحك ويخفِّف عنك التعقيدات التي تواجهك؟ يقول لك جلَّ وعلا: الله تعالى موجودٌ بقربك، فاطلب منه ما تريد. عندما يطلب صاحب الدعاء من الله تعالى، يشعر بأنَّ جبلاً قد أُزيح عن كاهله، فيرتاح نفسياً، لأنه تكلم مع ربه، وترك طلباته بيد من بيده كل الأمر والفصل.

ثمَّ عندما تكون مقتنعاً بأن الله تعالى يُعطي بلا حدود، ويُنعِمُ إجابة للسؤال ومن دونه، ويرزق بغير المتوقع، وييسِّر بعد العسر، ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٢]، تنكشف عنك الهموم، وتنفتح أمامك أبواب الأمل. فالدعاء تعزيز للصلة بين الإنسان وربه، وراحةٌ نفسية، وبابٌ لتلبية الحاجات.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الشرح، الآية: ٦.

قال الرسول ﷺ: **«ألا أَدُلُّكُمْ عَلَى سلاحٍ يُنْجِيكُمْ مِنْ أَعْدَائِكُمْ ويُدِرُّ أَرْزَاقَكُمْ؟**

قَالُوا: بَلَى. قَالَ: تَدْعُونَ رَبَّكُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهَارِ، فَإِنَّ سِلَاحَ الْمُؤْمِنِ الدُّعَاءُ»(١).

هل يمكن أن ينتصر الضعفاء على الأعداء الأقوياء؟ والقلة على الكثرة؟ وهل يمكن أن تواجه الجماعة المؤمنة اعتداءات المستكبرين والظلمة؟ نعم، يمكن ذلك، فالدعاء دعمٌ ومَدَدٌ، نفسي وعملي، وما يُعطيه الله تعالى مجهول بالنسبة الينا، وقد تنقلب بسببه موازين المعركة لصالحنا. ففي بدر: رأى المؤمنون الكافرين قلَّة، ورأى الكافرون المؤمنين كُثُراً، وحوَّل المطر أرض الكفار إلى وحلٍ أعاق حركتهم، لكنَّه نزل على المؤمنين فتطهروا به واغتسلوا، وكانت قوة المؤمن تعادل عشرة من الكفار، وأرسل الله الملائكة دعماً . . . ادعُ الله وأنت موقن بالإجابة، لما تتوقع، ولما لا تتوقع.

أما الرزق فمقسومٌ من عند الله تعالى، بعضه يأتي بالسعي، والبعض الآخر يضاف بالدعاء، ولا نعلم متى يأتينا هذا الرزق، ومقداره، ولكنَّ الله وعدنا بزيادة الرزق مع الدعاء، فلنضفه إلى السعي، ولنكن واثقين بالإجابة.

يوجه إمامنا أمير المؤمنين علي عليه السلام الإمام الحسن عليه السلام في

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٤٦٨.

وصية له، فيقول: «**واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِه خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَه لِيُعْطِيَكَ، وتَسْتَرْحِمَه لِيَرْحَمَكَ، ولَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَه مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْه، ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه. . . ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِه، بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيه مِنْ مَسْأَلَتِه، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِه، واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِه**»[١]. افتح خزائن الله بالدعاء، وادعُهُ بما تريد من رزقٍ ومالٍ وتجارة مربحة وولد ونصر .. فإذا لم تطلب من الله تعالى، فستخسر ما كان مدَّخراً لك لدعائك.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِبْرَاماً، فَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّه مِفْتَاحُ كُلِّ رَحْمَةٍ، ونَجَاحُ كُلِّ حَاجَةٍ، ولَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ إِلَّا بِالدُّعَاءِ، وإِنَّه لَيْسَ بَابٌ يُكْثَرُ قَرْعُه إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لِصَاحِبِه**»[٢]. ادع الله تعالى أن يزيح عنك الهموم في كلِّ ساعة وكلِّ يوم، مراراً وتكراراً، فالالحاح بالدعاء يساعد على الإجابة، ومن لَجَّ وَلَج.

هذا توجيهٌ لنا لنُكثر من الدعاء، ما يبقينا على صلة بالله تعالى، فلو كانت هموم الدنيا فوق رؤوسنا، ومصاعبها تحيط بنا من كلِّ جانب، والمآزق تنساب علينا من كل حَدَبٍ وَصَوب، فإذا

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٩٨ و ٣٩٩.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٤٧٠.

دعونا الله تعالى بإلحاح وإصرار، فقد وضعنا مشاكلنا على طريق الحلّ، لنتابع حياتنا بشكل طبيعي.

لا يقتصر الدعاء على أيام الشدة والمحنة، بل يشمل أيام السراء والراحة، ففي الحديث القدسي، أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «**يا داود عليه السلام، اذكرني في أيام سرَّائك، كي أستجيبَ في أيام ضرَّائك**»[1]. وهنا لفتةٌ مهمة جداً، فالأساس هو استمرار الصلة بالله تعالى وذكره، والاعتراف بأنه مصدر العطاء في كلِّ الأحوال، فتطلب منه في السراء والضراء.

إذا كانت أوضاعك حسنة، وأنت موفَّقٌ بالولد والرزق والنجاح والحلال، فادع الله أن يجعل ولدك صالحاً، ورزقك وفيراً، ونجاحك دائماً، وحلالك مستمراً، معترفاً لله تعالى بما أنعم عليك، ذاكراً ايَّاه دائماً بالشكر والامتنان.

اطلب من الله تعالى مهما كان الطلب حقيراً، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**ولا تحقِّروا صغيراً من حوائجكم، فإنَّ أحبَّ المؤمنين إلى الله تعالى أَسْأَلُهُم**»[2]. عوِّد نفسك على أن تدعو الله تعالى في كلِّ أمرٍ صغير و كبير، لتكون أعمالك مشفوعة بالدعاء، لتنال ما كان مختزناً لك عند الله تعالى بالدعاء.

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٥، ص: ١٨٠.
(٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٣١٧.

٢- ثَلاثُ طُرُقٍ للإجابة

يُخطئ من يعتقد بأن إجابة الدعاء على قياس الطلب بتمامه وكماله، أو بالكيفية التي يريدها الداعي، فعن الرسول ﷺ: «**ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم، ولا استجلاب إثم، إلَّا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجّل له الدعوة، وإما أن يدخّرها له في الآخرة، وإما أن يرفع عنه مثلها من السوء**»(١). يؤكد الحديث على أن يكون الدعاء لأمرٍ مشروع، وتكون الاستجابة على أحد أنحاء ثلاثة، وليس على نحوٍ واحد:

١- تعجيلُ إجابةِ الدعوة، بتلبيتها كما طلبها صاحبُها، بأن يرزقه الله تعالى الولد الذي طلبه، أو يوفقه في العمل الذي رغبه، أو يحلّ له المشكلة كما أراد، أو يدفع عنه البلاء الذي توجَّسَ منه خيفة، أو يحقِّق له النصر بالصورة التي دعاها...

٢- ادّخارها إلى الآخرة، فيجد في صحيفة أعماله ثواباً لأعمالٍ لم يقم بها، فيتبيّن أنه مقابل الأدعية التي دعاها، وأنَّ مصلحته في هذا الادخار، فيكون الدعاء مؤثراً في النتيجة النهائية لحساب الأعمال لمصلحة الداعي.

قال الرسول ﷺ: «**يدخل الجنة رجلان كانا يعملان عملاً واحداً، فيرى أحدهما صاحبه فوقه، فيقول: يا رب، بمَ أعطيته وكان عملُنا واحداً؟ فيقول الله تبارك وتعالى: سألَني ولم تسألْني**»(٢).

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٢٦٩.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٧، ص: ٢٤.

٣- رفعُ مثلها من السوء في الدنيا، بأن يجنِّبه الله تعالى بعض البلاءات مقابل أدعيته، فالدعاء يدفع البلاء، إذ لولا دعاؤه لأُصيب بحادث سير، أو مرض، أو خسران . . . فمعادلةُ إجابة الدعاء تكون بدفع بلاءاتٍ واختباراتٍ من سلسلة اختبارات وفِتنِ هذه الدنيا.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ادفعوا أمواجَ البلاء عنكم بالدعاء، قبل ورود البلاء**»[1]، فالدعاء يدفع كثرة البلاءات قبل أن تقع، ومن دون أن نعلم بها، فهو مؤثّر في عدم حصولها.

إنَّ إجابة الدعاء حتمية، وعندما تتحقق بأي وجه من الوجوه الثلاثة. ففيه المصلحة الأكيدة للداعي، الذي قد يتوهم بأن مصلحته بالإجابة المعجَّلة والمباشرة، فيجيبه الله تعالى بالادخار أو رفع مثلها، فليطمئن، إنْ لم تتحقَّق الإجابة بالتعجيل، فستتحقق بالنحوين الآخرين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما كان الله ليفتحَ لعبدٍ الدعاء فيغلق عنه باب الإجابة، الله أكرمُ من ذلك**»[2].

٣- يُجِيبُهُمُ الله تعالى

لا يَرُدُّ الله دعوةَ أربعة أصناف من الناس، أوصى النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين فقال: «**يا علي أربعة لا تُرد لهم دعوة: إمامٌ عادل،**

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٦٢١.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٢، ص: ٦٨.

ووالدٌ لولده، والرجلُ يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم، يقول الله جلَّ جلاله: وعزَّتي وجلالي، لأنتصرنَّ لك ولو بعد حين»[١].

ولا يجيب دعوة المستحيل بحسب القوانين الإلهية أو دعوة الحرام، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**يا صاحبَ الدعاء، لا تسأل عما لا يكون ولا يحل**»[٢].

ولا تتحقق الإجابة لأربعة أصناف، فعن الإمام الصادق عليه السلام:

«**أربعٌ لا يُستجاب لهم دعاء:**

الرجلُ جالسٌ في بيته يقول: يا رب ارزقني، فيقول له جلَّ وعلا: ألم آمُركَ بالطلب؟!

ورجلٌ كانت له امرأةٌ فدعا عليها، فيقول له: ألم أجعل أمرَهَا بيدك؟!

ورجلٌ كان له مالٌ فأفسده، فيقول: يا رب ارزقني، فيقول له: ألم آمُركَ بالاقتصاد؟! ألم آمُركَ بالإصلاح، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

ورجلٌ كان له مالٌ فأدانَهُ بغير بينة، فيقول له: ألم آمُركَ بالشهادة؟!»[٣].

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٣٥.

(٣) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٧، ص: ٤.

٤- آداب الدعاء

أختمُ ببعض التوجيهات العامة لآداب الدعاء مع رب العالمين، والتي تساعد على الإجابة:

أولاً: البدءُ بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم).

ثانياً: التَّمجيدُ والحمدُ لله تعالى.

ثالثاً: الصلاةُ على محمد وآله، ففي الحديث: «**صلاتُكم عليَّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم**»[١].

رابعاً: الاستشفاع بالصالحين، وخاصة شفاعة محمد ﷺ وآل محمد عليهم السلام.

خامساً: الإقرارُ بالذنب، بأنْ تعترف به بينك وبين الله تعالى، ليكون الإقرارُ مقدمةً للتصويب.

سادساً: التضرُّعُ والابتهالُ بقلبٍ صادق.

سابعاً: عدمُ استصغارِ أي شيءٍ من الدعاء، فلَعلَّ خلاصَك بإجابته.

ثامناً: عدمُ استكثارِ المطالب، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا تستكثروا شيئاً مما تطلبون، فما عند الله أكثر مما تقدِّرون**»[٢].

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٧، ص: ٩٦.
(٢) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٣١٧.

تاسعاً: تعميمُ الدُّعاء، بأنْ يدعو لنفسه وأولاده وجيرانه وكلّ المؤمنين.

عاشراً: حُسْنُ الظَّن بالله تعالى عند الدعاء، بأنَّه سيجيبُ بأحد وجوه استجابة الدعاء الثلاثة.

حادي عشر: الإصرارُ والإلحاحُ في الدعاء مراتٍ عدة، والطلبُ من الله تعالى برغبةٍ شديدة.

ثاني عشر: اختيارُ الأوقات والأماكن المناسبة والأدعية المأثورة: (أثناء الليل وصلاة الليل، ليلة الجمعة، عند صلاة الصبح، في المسجد، بعيداً عن العمل والضجيج، دعاءُ كُميل، دعاءُ التَّوسل، دعاءُ الندبة، المناجاة الشعبانية...). قال الإمام الخامنئي(دام حفظه): «**حافظوا على النِّعمة بالدُّعاء والتضرُّع والنوافل والابتهال إلى الله في آناء الليل، والتوسل إلى سيِّدنا ومولانا الإمام المهدي(عج)**»[1].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا، وأن ينصر المؤمنين والمؤمنات على أعدائهم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يعجِّل فرج قائم آل محمد(عج)، ويعمّ العدل والصلاح والفلاح جميع الأمة، إنَّه سميعٌ مجيب الدعاء.

(١) الكلمات القصار للإمام الخامنئي(دام حفظه)، ص: ١٣٥.

٤ - الاستغفار

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ (آل عمران ١٣٣-١٣٦).

المفتاح

الاستغفارُ يخلِّصُنا من أعباءِ المعاصي، ويفتَحُ أمامَنا صفحةَ الأملِ بالتَّوبة والاستقامَة وزيادةِ رصيدِ أعمالنا الصالحة.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾، دعوةٌ من الله تعالى للمسارعة إلى المغفرة، مُقبلين عليه من دون إبطاء، مُستجيبين له لننال عطاءه العظيم، جنة عرضها السماوات والأرض أُعدَّت للمتقين، فالاستغفار مقرونٌ بالثواب الجزيل للمتقين، الذين يُعرَفُون بصفاتهم، فهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ينفقون في حالة السرور والراحة، وينفقون في حالة الحزن والابتلاء، أي أنهم ينفقون في كلِّ حالاتهم من دون استثناء.

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾، ذُكر في معجم اللغة، أنَّ كَظَمَ تعني مَنَعَ من الخروج، ومثاله عندما يمتلئ الوعاء، وتريد أن تمنع ما في داخله أن يقع إلى الخارج، تربطه ربطاً محكماً. كَظَمَ غيظَه يعني ربط نفسه ربطاً محكماً عندما امتلأ من الغيظ كي لا يَخرجَ الغيظُ إلى الخارج. والغيظُ هو رتبةٌ من الغضب، وهو حالةُ هيجان الطَّبع من أجل التعبير عن الغضب. فالكاظمون الغيظ يمنعون غيظهم من أن يخرج إلى الخارج، أي يكبتون غضبهم وإرادتهم للردّ والانتقام، قربة إلى الله تعالى.

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾، يعفون، فيتنازلون عن حقوقهم، وما لهم عند الآخرين، قربة إلى الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، الذين يعطُون بلا بدل، فكما أحسنَ الله تعالى فأعطانا بلا بدل، وخلقنا بلا بدل، وأنعم علينا بلا بدل،

يُعطي المتقون إحساناً بلا بدل بحسب قدرتهم، رجاءَ مقامٍ عظيمٍ عند الله تعالى.

طبّق إمامنا زين العابدين عليه السلام هذه الآية، عندما كانت الجارية تصب له الماء، فسقط الوعاء من يدها على وجهه فشجَّه، فرفع عليٌّ رأسه، فقالت الجارية: «**إنَّ الله تعالى يقول:** ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فقال عليه السلام: **قد كَظَمْتُ غيظي. قالت:** ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، **قال** عليه السلام: **قد عفَا الله عنك. قالت:** ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، **قال** عليه السلام: **اذهبي فأنتِ حُرَّة**»[1].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، الفاحشة هنا تعني الزنا، وقد نزلت هذه الآية في حقِّ رجل زنا بامرأة ميتة (نعوذ بالله تعالى)، ثم استغفر بعد ذلك وتاب إلى الله فتاب عليه، كما ينطبق عنوان الفاحشة على كلِّ كبيرة. ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، أي ارتكبوا الصغائر، التي تتراكم مع الزمن فتصبح كالكبائر، وعلى كل حال، فالكبائر والصغائر محرَّمة، وهي ظلمٌ للنفس.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ذكروا الله بعد المعصية، واستغفروه، على أن لا يعودوا إلى الذنوب التي ارتكبوها، فغفرَ لهم من لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا هو، وذلك بعد استغفارهم وتوبتهم. وفي الحديث الشريف: «**كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين**

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٢٦٩.

التوابون»[١]، فقد فتح الله تعالى باب التوبة والاستغفار ليغفر الذنوب، على أن تكون توبةً نصوحاً، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، فالله تعالى يغفر لهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار في يوم القيامة.

١- طَلَبُ المغفرة

فتح لنا رب العالمين باب الاستغفار، لنتوب عن المعاصي التي ارتكبناها، ولإعطائنا فرصاً إضافية في حياتنا، فلا يكون العقاب ثابتاً، بل يُمحى ويُستبدل برحمة الله تعالى وقبوله التوبة. يدفعنا الاستغفار إلى أن نأتمر بأوامر الله تعالى ونواهيه، وأن نسلم عقولنا وأنفسنا وجوارحنا لطريق الهدى لتحقيق رضوانه.

كُن صادقاً مع ربِّ العالمين، وافتح صفحة جديدة في حياتك، ولا تكرِّر الذنوب، ولا تصر عليها، وفي الوقت نفسه لا تيأس من رحمة الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٣٣٨.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إِنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللَّه فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ»**[١].

دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وآله وهو محموم، فقال له عمر: يا رسول الله ما أشدَّ وعكك. قال صلى الله عليه وآله: **«ما منعني ذلك أنْ قرأتُ الليلة ثلاثين سورة فيهن السبع الطوال. فقال عمر: يا رسولَ الله، غَفَرَ اللَّه لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ومَا تَأَخَّرَ، وأنتَ تجهَد هذا الاجتهاد؟ فَقَالَ: أَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»**[٢]. أفلا أشكر الله تعالى أنَّه عصمني! أفلا أشكر الله تعالى أنَّه جعلني خاتم الأنبياء! أفلا أشكر الله تعالى على أن بعثني بالرسالة الإسلامية الخاتمة التي أرشدت البشرية إلى الكمال!.

أيها الإنسان، استغفر الله تعالى من ذنوبك التي أذنبتها، فالنبيُّ صلى الله عليه وآله الذي لم يقم بأي ذنب، كان يستغفر الله تعالى يومياً، فكيف بك أيها العبد الفقير إلى الله، وأنت الأحوج إلى الاستغفار؟.

إنَّ معرفةَ الذنوب مقدمةٌ لتجنبها والاستغفار منها، فعن النبي صلى الله عليه وآله: **«ألا أدلُّكم على دائِكم ودوائِكم؟ ألا إنَّ داءَكم الذنوب ودواءكم الاستغفار»**[٣]. والمطلوب أن نثابر لمعالجة ذنوبنا

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٤٥٠.
(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٤٠٣ و ٤٠٤.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١، ص: ٤٧٩.

بالاستغفار الدائم، والأمل المستمر بقبول التوبة .قال الإمام الخامنئي(دام حفظه): «**أُوصيكُم أيُّها الإخوة والأخوات المصلّين، بالاستغفار من معاصي الجسم، ومعاصي الروح، ومعاصي الفِكر، ومعاصي القَلب**»(١).

أرشدنا الله تعالى الاستغفار ليغفر لنا، ويفتح أمامنا الآفاق الإيجابية لحياة أفضل، قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من الاستغفار، إنَّ الله عزَّ وجل لم يعلِّمكم الاستغفار، إلَّا وهو يُريد أن يغفر لكم**»(٢). وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ، ومَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، ومَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، ومَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ**»(٣). نحن بحاجة دائماً إلى الاستغفار، وإلى تعزيز العلاقة مع ربنا، فحياتُنا اليومية مليئةٌ بالمشاكل والتعقيدات، ويشدنا هوى النفس إلى الانحراف والمعاصي، وننظر إلى النِّعَم التي أنعمها الله على غيرنا فنحسده عليها، ونرى شخصاً متفوقاً علينا فنسعى لكسره كي لا يتفوق علينا أحد...، هذا تفكيرٌ خاطئ، وهناك أخطاء كثيرة نُخطئها في حياتنا، بتأثير من هوى النفس، والوسواس الخناس، والتربية السيئة التي نتربى عليها، فنخطئ مع أهلنا وأولادنا وجيراننا

---

(١) الكلمات القصار للإمام الخامنئي(دام حفظه)، ص: ١٤٢.
(٢) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥، ص: ٤٩٤.
(٣) نهج البلاغة، ص: ٤٩٤.

وأصدقائنا وزملائنا في العمل... هذه الأخطاء تؤدي إلى المعاصي الشخصية، وهناك المعاصي في المعاملات، بالغش في البيع والتجارة والمعاملات المالية...، والمعاصي السياسية بتأييد الحاكم الظالم ومساعدته على ظلمه بحجة الاستفادة الشخصية. مقابل هذه المعاصي، تأتي الدعوة إلى الاستغفار لتصحيح المسار.

لم تتوقف حركةُ إبليس منذ أن طُرد من رحمة الله تعالى، فقد طلب من الله تعالى البقاء إلى يوم القيامة ليُغوي جميع الناس إلَّا عباد الله المخلصين، فأذن له جلَّ وعلا، ولكن لا عذر لمن احتج بإغواء إبليس، فعملُهُ محدودٌ بالزينة والوسوسة، والمغفرة متاحة للجميع، وعن إبليس: «**أي ربِّ، لا أزالُ أغوى بني آدم ما دامتْ أرواحُهُم في أجسادهم. فقال الرب عزَّ وجلَّ: لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفروني**»[1].

روي أنَّ داوود النبي عليه السلام سأل جبرائيل عليه السلام عن أفضل الأوقات التي يستغفر فيها الإنسان، قال: «**لا أعلم، إلَّا أن العرش يهتز بالأسحار**»[2]، هذا المعنى أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3]. والسحر هو الثلث الأخير من الليل قبل الفجر، حيث السكون والخشوع

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٣، ص: ٧٦.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص: ١٤٦.
(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ و١٨.

والصفاء، وفيه استحباب صلاة الليل بما تضفيه في هذه الفترة من سموٍ نفسي وروحي يساعد للتوجه بالاستغفار بوَلَهٍ وإقبالٍ وثقةٍ بقبول الله تعالى للتوبة.

٢- كيفية الاستغفار

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لقائلٍ في حضرته: «**استغفر الله. ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أَتَدْرِي مَا الاسْتِغْفَارُ؟ الاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ:**

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبداً.

وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّي إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمَدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّي حَقَّهَا.

وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمَدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ. فَعِنْدَ ذلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»[١].

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٥٤٩.

٣- نتائجُ الاستغفار

إذا استغفرت الله تعالى، وتركت المعاصي ناوياً أن لا تعود إليها، وأدَّيت ما عليك من فرائض، وذُقت أَلَمَ الطاعة، وقضيتَ ما عليك من حقوقٍ للآخرين، فالنتائجُ حافلةٌ بالعطاء الجزيل والرحمة والغفران. قال الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾[١]، وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾[٢].

وعن الرسول ﷺ: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضِيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا استبطأتَ الرزق فأكثر من الاستغفار، فإنَّ الله عزَّ وجل قال في كتابه:** ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾»[٤]، فالله تعالى يمد المؤمنين الذين يستغفرون ربهم بالنعم والخيرات والعطاءات.

انتبه، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً، حتى الكبائر منها،

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٥، ص: ٢٧٧.

(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص: ٢٠١.

على أن لا تعود إليها، ولكن إذا ارتكبتَ الصغائر، وكرَّرتَها كلَّ يوم وكلَّ ساعة، وأصرَّيتَ عليها، فلا غفرانَ مع الإصرار. قال رسول الله ﷺ: «**لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**»(١).

سهَّل الله علينا حياتنا، ووعدنا بغفران الذنوب بالغاً ما بلغت مع الاستغفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾(٢)، باستثناء ذنب واحد مفصليّ هو الشرك بالله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(٣)، لأنَّ الشرك فرعُ عدم الإيمان بالله الواحد الأحد، فلا ينفع الاستغفار من الذنوب بطلب الغفران ممن لا اعتراف بوحدانيته. وفي حالة الشرك توجد مرجعية أخرى يلجأ إليها المستغفر! ولكنها وهْمٌ وانحرافٌ منهجي وعملي، فإذا تابع مع هذه المرجعية، فلن يصل إلَّا إلى مزيد من الضياع والضلالة، ولا غفران مع الشرك.

يقطعُ الكفرُ الطريقَ على كل أملٍ بالمغفرة، لأنَّ منطلقه عدم الإيمان بالله ابتداءً، فكيف يطلب المغفرة ممن لا يؤمن به؟! ولو افترضنا جدلاً أنه طلبها، فهو لن يرتِّب عليها عدم العود إلى المعصية، ولا الالتزام بتنفيذ أوامر الله تعالى، فلو اجتهد بعض

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٤٠٨.
(٢) سورة الزمر، من الآية: ٥٣.
(٣) سورة النساء، من الآية: ٤٨.

أحبته لطلب الغفران له، فلا ثمرة لهذا الطلب، لانعدام استجابته الشخصية للإيمان ومسؤوليته التي عليه أن يتحملها، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

أنصحكم وأنصح نفسي بالاستغفار، وأن نؤمن ونثق بأنَّ الله تعالى يمحو الذنوب مهما كانت، إذا ما استغفرنا وفتحنا طريقاً للطاعة، ونوينا أن لا نعود إلى ارتكاب الذنوب، فلو أصابنا الضعف وعصينا مجدداً، واستغفرنا مجدداً، وبذلنا الجهد للتوبة ومواجهة وسوسات الشياطين، فسيكون الله تعالى إلى جانبنا في القبول والمَدَد.

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

٥ - بين الخَوف والرَّجاء

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ (الزمر٩).

المفتاح

الخَوفُ من العذابِ وِقايةٌ من المعاصي، والرَّجاءُ بالله تعالى أَملٌ بالنجاحِ والفوز، فإذا اجتمع الخَوفُ والرَّجاءُ تَوَازَنَ الإنسانُ في نفسه وأعماله، واطمَأَنَّ في دنياه وآخرته.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾: القنوتُ أقصى العبادة والطاعة لله تعالى، فيه الرجاء والسؤال بقلبٍ متلهفٍ إلى الله تعالى، والقنوتُ في الصلاة حالةُ دعاءٍ لله تعالى، آناء الليل: في أوقات الليل، والناس نيام، حيث يكون المؤمن بين حالتين: يَحْذَرُ الآخرة، ويرجو رحمة ربه.

«يَحْذَرُ الْآخِرَةَ» خوفاً من العذاب، ما يساعده على تهذيب نفسه وتحصينها في مواجهة الشيطان ووسواساته، ومراكمة عبادته التي ينتج عنها ويتبعها العمل الصالح، فخوفه من العقاب يمنعه من المعصية ويدفعه إلى مزيد من العبادة والطاعة.

في الوقت نفسه: ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، فلا يتَّكِل على عبادته فقط، ولا يعتمد على عمله فقط، ولا يعتبر أنَّ ما قام به كافٍ عند الله تعالى، إذ ربما كانت عبادتُه ضعيفةَ الأثر وأداؤه مشوباً بالنقص، أو إذا جمع الله تعالى حسناتِه وسيئاتِه، غلبتْ سيئاتُه حسناتِه، فهو يرجو رحمة الله تعالى، والتي تتضمن أيضاً شفاعة محمد وآل محمدﷺ، أملاً بالنجاة يوم القيامة.

العابد لله تعالى في جوف الليل المظلم، في حال القنوت والعبادة والركوع والسجود والطاعة لله تعالى، بين الخوف والرجاء، يَحْذَرُ الآخرة ويرجو رحمة ربه، قد اختار طريق النجاة، في مقابل الكثيرين من الناس الذين لا يعلمون هذه الحقيقة ولا

يتَّبعونها، فهم جهلة خاسرون، ولذا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

العابدون هم أصحاب العقول الذين فكّروا وأدركوا أن الخلق كله لله تعالى، وأن الدنيا دار فناء، والآخرة دار بقاء، حيث يكون الجزاء، فهل يستوي هؤلاء مع الذين لا يعلمون؟ وهل يستوي أولئك الذين يوازنون بين الخوف والرجاء مع أولئك الذين لا يعيشون الخوف ولا الرجاء بشكل صحيح؟

الخيار الصحيح أن نعمل لنكون بين الخوف والرجاء، الخوف من عقاب الله تعالى، والرجاء لرحمته، ما يُحدِثُ توازناً حقيقياً داخل نفوسنا، ويوجِّه سلوكنا وأعمالنا بما يحميها من الانزلاق إلى المعاصي.

قال رسول الله ﷺ: «**لو تعلمون قدر رحمة الله لاتَّكلتُم عليها وما عملتُم إلَّا قليلاً، ولو تعلمون قدر غضب الله لظننتُم بأنْ لا تنجوا**»[(١)]، فسعةُ رحمةِ الله تعالى تستوعب قليلَ العمل لتعوِّض نقصه، لكنَّ خطر هذا الاتكال قد يدفع إلى الاستهتار وارتكاب المعاصي والتقصير في الطاعات، فيوازنه الحذرُ من الغضب الإلهي الذي يخشى المؤمن عدم النجاة منه، ما يدفع الى بذل الجهد وعدم الاستهتار، أملاً بالمغفرة.

لا يقتصر الغفران على أنواع معينة من المعاصي، بل على

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص: ١٤٤.

عدم تراكمها وعدم الإصرار عليها، ففي الحديث الشريف: «**لا كبيرةَ مع الاستغفار، ولا صغيرةَ مع الإصرار**»[١]. فلو ارتكب الإنسان الكبائر، ثم تاب إلى الله تعالى، فالله تعالى يغفر له. ولكن لو ارتكب الصغائر مراراً وتكراراً، فآذى أخاه المؤمن بأذيةٍ تلو أخرى، وأضرَّه بعملٍ تلو الآخَر.. وتهاون بالصلاة أو أدَّاها بشكل غير صحيح مرات ومرات .. فهو يصرٌّ على المعصية، ما يحرمه من رحمة الله تعالى الواسعة، الذي يغضب لتكرار المعاصي الفساد والإصرار على الفساد.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَخَافَ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى خَوْفاً كَأَنَّه مُشْرِفٌ عَلَى النَّارِ، ويَرْجُوَه رَجَاءً كَأَنَّه مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[٢]، الخوف يمنعنا عن المعاصي، والرجاء يؤملنا بالتوبة والغفران، ما يوازن حياتنا النفسية والعبادية والشخصية والعملية، ويجعلها مستقرة.

١- الخوف من العذاب

للخوف من عذاب الله تعالى مهمة ونتائج، فالمهمة هي الردع عن المعاصي، والنتائج كثيرة لا تُحصى ولا تُعد. ففي الحديث الشريف: «**رأس الحكمة مخافة الله**»[٣]، فالخوف من عذاب الله

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٤٠٨.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٨، ص: ٣٠٢.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص: ١٤١.

وحسابه، يرتقي بالمؤمن إلى أعلى درجات الحذر، فيجتنب المعاصي، ويتخفَّف من الذنوب، وينقشع أمامه نور الهداية، فتُصبح تصرفاتُه محسوبةً بدقَّة، ما يوصله إلى رأس الحكمة. الحسابُ دقيقٌ، لا يتركُ صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا أحصاها، ولكلِّ سؤالٍ يوم القيامة عن أعمال الدنيا إجابتُه الصحيحة التي لا مواربة ولا كذب فيها، فماذا يفعل مع الاعتراف يوم الحساب؟ يقول في دعاء الحزين: «**فَإِنْ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَيْنَ المَهْرَبُ مِنْ عَدْلِكَ؟ وَإِنْ قُلْتُ: لَمْ أَفْعَلْ، قُلْتَ: أَلَمْ أَكُنْ الشَّاهِدَ عَلَيْكَ؟**»[1]. الشهادةُ على الأعمال حاضرةٌ بأدلتها الحسية المباشرة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، فالجوارحُ شاهدةٌ على الأعمال، حيث تظهر الصورةُ من أفعال اليد والرجل والسمع والبصر، عليك أن تنتبه، لأنك مراقب من الله تعالى، وتحمل شهودك معك.

٢- الرجاء بالنجاة

وللرجاء بالله تعالى مهمة ونتائج، فالمهمة هي الأمل بالنجاة بالتوبة في أي وقت ومهما كانت الذنوب، والنتائج كثيرة لا تُحصى ولا تُعد. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أعظم البلاء انقطاع الرجاء**»[3]. فمثلاً: عمرك الآن ثلاثون سنة، وقد ارتكبت

---

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ١٠٧٥.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٤.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١١٧.

المحرمات وشربت الخمر وقمت بالمنكرات. . . فإذا تُبتَ إلى الله توبة نصوحا من هذه اللحظة، راجياً أن يغفر الله تعالى لك، يغفر لك ولو كانت ذنوبك بقدر الجبال. فإذا لم يمضِ وقتٌ طويل على التزامك وطاعتك لله تعالى، فمتَّ وأنت صادقٌ في هذه الطريق، بحيث لا تتراجع لو أطال الله تعالى عمرك، فستدخل الجنة إن شاء الله تعالى، بشفاعة محمد ﷺ وآل محمد عليهم السلام، وبرحمته الواسعة التي وسعت كلَّ شيء.

أما من لا يرجو رحمة الله تعالى وغفرانه، وهو مثقلٌ بالمعاصي التي تودي به إلى الهاوية، فسيكون يائساً من التعويض عما مضى، ولا يجد فائدة من التوبة، فيستمر بارتكاب المعاصي التي تزداد يوماً بعد يوم. فعدم الرجاء مهلكة وقطعٌ للطريق أمام التوبة.

يصل الرجاء إلى درجة تفوق التوقعات، تثبتها بعض الأحداث، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو، فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام خَرَجَ يَقْتَبِسُ لأَهْلِهِ نَاراً فَكَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ ورَجَعَ نَبِيّاً مُرْسَلاً، وخَرَجَتْ مَلِكَةُ سَبَإٍ فَأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيْمَانَ عليه السلام، وخَرَجَ سَحَرَةُ فِرْعَوْنَ يَطْلُبُونَ الْعِزَّ لِفِرْعَوْنَ فَرَجَعُوا مُؤْمِنِينَ»**[1]، فلا حدود للرجاء، ولا يمكن مقارنة طلب النبي موسى عليه السلام للنار بما رجع به، حيث كلَّمه الله تعالى وأصبح نبيَّاً، ولا ما جرى مع ملكة سبأ التي خرجت إلى سليمان عليه السلام وهي

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٨٣ و ٨٤.

كافرة تُريد مواجهته فأسلمت، في نتيجةٍ مغايرة لتوقعاتها، واجتمع سحرة فرعون لمبارزة النبي موسى عليه السلام وإسقاط حجته وهم يتأملون الجوائز من فرعون، فبهرهم موسى عليه السلام بالمعجزة، فأصبحوا مؤمنين.

٣- التوازن بين الخوف والرجاء

يُحدث الخوف والرجاء توازناً داخل النفس الإنسانية، فتعتدل خياراتها وتستقيم، وهما من صفات المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

يخشى العلماء الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]، لأنهم يعرفون معنى غضبه، ومعنى الحساب أمامه جلَّ وعلا، لذا ينتبهون. ولكن في الوقت نفسه، لا مجال لليأس من رحمة الله، ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

يروي الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام: **«لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وفِي قَلْبِه نُورَانِ: نُورُ خِيفَةٍ، ونُورُ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، ولَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا»**[4]، فالتوازن

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.
(٢) سورة فاطر، من الآية: ٢٨.
(٣) سورة يوسف، من الآية: ٨٧.
(٤) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٦٧.

قائمٌ بين النورين الموجودين داخل قلب المؤمن، لا يزداد خوفه، فلا يُصاب بالهلع ولا يخشى عدم غفران الله له، ولا يزداد رجاؤه، فلا يتهاون بالواجب ولا يستسهل المعصية، فهو متوازن بين الخوف والرجاء.

نقل الإمام الصادق عليه السلام عن لقمان الحكيم في وصيته لولده وهو يعظه: «**خَفِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ خِيفَةً لَوْ جِئْتَه بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ، وارْجُ اللَّه رَجَاءً لَوْ جِئْتَه بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ**»[١].

روي عن عبد الله بن جندب من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، أنَّه طلب من الإمام الصادق عليه السلام أن يوصيه وصية، فقال له: «**يا بن جندب! يهلك المتَّكِلُ على عمله، ولا ينجو المجترئُ على الذنوب الواثق برحمة الله. قال: فمن ينجو؟ قال: الذين هم بين الرَّجاء والخوف**»[٢].

قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**وعزَّتي وجلالي، لا أجمعُ على عبدي خوفين ولا أجمعُ له أمنين، فإذا أمنني في الدنيا أخفتُه يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنتُه يوم القيامة**»[٣]. من مستلزمات الأمن في الدنيا أن يطمئن العبد، فلا يراقب نفسه، ولا يعتبرها معرَّضةً لحساب دقيق، ما يجعله مستخفَّاً بارتكاب

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٦٧.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٣٠٢.
(٣) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٧٩.

المعاصي. ومن مستلزمات الأمن في الآخرة، أن يحرص للحصول عليه، ما يُرتِّبُ مراقبةً دقيقة لأعماله الدنيوية، فيتجنب ارتكاب المعاصي. لا يمكن الجمع بين الأمنين، لأن اتجاهيهما متعارضان، والخيار الأفضل هو أمن الآخرة، بالعمل الصالح في الدنيا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

احرص على أن يكون رجاؤك وأَمَلُكَ كبيرين برحمة الله تعالى فتنجو، قال رسول الله ﷺ: «**الأملُ رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما رضَّعتْ والدةٌ ولدها، ولا غرسَ غارسٌ شجراً**»[2]، وأن يكون خوفك رادعاً عن ارتكاب المعاصي لتتجاوز امتحان الدنيا بنجاح، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الخوفُ سجنُ النَّفس عن الذنوب ورادعُها عن المعاصي**»[3].

بين الخوف والرجاء نربح الدنيا والآخرة، فنعيش سعداء في الدنيا بطاعة الله تعالى وبتوازنٍ نفسي، ونحقِّق الراحة الأبدية في جنة الخلد في الآخرة، محاطةً بعطاء الله تعالى ورحمته.

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص: ١٧٣.
(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٨٢٨.

٦- ذِكْرُ الله

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾

(الرعد٢٨ و٢٩)

المفتاح

ذِكْرُ الله تعالى تَواصُلٌ مع مصدرِ السَّعادة، يمنحُنا الاطمئنان، ويعزِّزُ رقابتَنا لأنفسنا فنَتجَنَّب المعاصي.

الخطاب للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، لأنَّ اطمئنان القلب بذكر الله تعالى لا يكون إلَّا مع المؤمنين، أمَّا الذين لا يؤمنون فلا يطمئنون في الدنيا ولا في الآخرة، لأنهم يفتقرون إلى سرِّ الحياة السعيدة، ونور الهداية الذي يُحيي القلب.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، إيمانهم مصحوبٌ بحالة من الطمأنينة تعيشها قلوبهم، والقلب ليس قطعةً من لحمٍ ينبض ويضخ الدم في جسم الإنسان، وإنما هو الداخل الذي يبثُّ الحياة والمعنويات، وهو المحرّك والموجه باندفاعٍ وتفاعل نحو الهدف، الذي يبلغ حالة الطمأنينة بذكر الله تعالى. فالمؤمن بين أمرين، إيمان يؤدي إلى طمأنينة القلب، وطمأنينة تأنسُ بذكر الله تعالى.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، من أراد أن يَطمئِن قلبه، فلا طريق إليه إلَّا ذكر الله تعالى، ومن أراد أن يعيش في داخله حالة من الراحة والاستقرار والسكينة والطمأنينة فعليه بذكر الله تعالى.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾، لا يكفي إيمان القلب، بل لا بدَّ أن يصدِّقه العمل، فالذين آمنوا يعملون الصالحات، ويترافق العمل الصالح مع الإيمان بلا انفكاك. أما الثمرة فهي النهاية الحسنة والمستقرة، هي طوبى لهم، وكما ورد في بعض التفاسير: ﴿طُوبَىٰ﴾ شجرةٌ في الجنة وارفةُ

الظلال، تؤنس من يتفيأ تحتها، و﴿طُوبَىٰ﴾ تُقال للجنة أيضاً، وتُقال للدرجات الرفيعة التي يُعطيها الله تعالى للمؤمن... ﴿طُوبَىٰ﴾ هي مكافأة الإنسان المؤمن في جنة الله تعالى، وحسن الاستقرار والخلود في جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين.

نُلاحظ في الآيتين الكريمتين الربط الوثيق بين قلب الإنسان وحالته النفسية، وبين عمل الإنسان ودوره في المجتمع، في عملية تكاملية يصوبها الإيمان، ليتحصَّلَ لدينا إيمانٌ بقلب مطمئن وعملٌ صالح. وأما المغذي لتحقيق واستمرارية هاتين الصفتين عند الذين آمنوا فهو ذكر الله تعالى.

١- ذِكْرُ الله في جميع الأحوال

ذكر الله يكون على كلِّ حال، فليس له صيغة محصورة، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١]. يكون ذكر الله تعالى عن قيام، أو قعود، أو في حالة الاتكاء على الجنب، أي في جميع الحالات. كما لا يقتصر على مكانٍ محدَّد، فيكون في المسجد، والمنزل، وفي كلِّ مكان. وكذلك يكون ذكر الله تعالى في جميع الأوقات، في الصباح عند الاستيقاظ، أو قبل النوم، أو أثناء الراحة، أو خلال العمل وبعده.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩١.

فذكر الله تعالى يكون على كلِّ حال، في أي زمانٍ ومكانٍ وحالةٍ وصيغة، وباللسان والقلب والحركة، فهو لا يقتصر على ترتيباتٍ خاصة، إذ يمكن الإتيان بالذكر بحسب المأثور أو بغيره، ونعيشُه حالةً حاضرةً ومستمرةً في أنفسنا وحياتنا، فلا يفارقنا بل يصبح جزءاً منا.

وَرَدَ دُعاءٌ لرسول الله ﷺ عن الذكر في المصباح للكفعمي، وفي مفاتيح الجنان نقلاً عن البلد الأمين، ، إذا قرأه الإنسان عشر مرات في كلِّ يوم، فإنَّه يُنجي من مائة هَوْلٍ من أهوال يوم القيامة، ووُقي من شرِّ إبليس وجنوده، أذكُرُه مفصلاً لأُبيِّنَ شمولية الذكر لكلِّ الحالات، وتأثيره فيها، بما يشبه العلاج بالذكر لتحقيق طمأنينة القلب.

١- «**أعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لا إلهَ إلَّا الله**»، كلما أشعر بأنَّ أمراً عظيماً يواجهني ويُرعبني أو يخيفني خوفاً شديداً، أقول: لا إله إلَّا الله، فلا شيء أكبر من الله تعالى، ولا يمكن أن أواجه كلَّ هذه الضغوطات الخطيرة إلَّا بـ: لا إله إلَّا الله، فبذلك أعتمد على القوة الإلهية العظيمة التي تسقط أمامها كل القوى.

٢- «**وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ ما شاء الله**»، أصابني هَمٌّ أقلقَني وأزعَجني، أو غَمٌّ أحزنني، أقول: ما شاء الله، هذا ذكرٌ لله تعالى، بردِّ المشيئة إليه، وما دام كلُّ شيء بإرادته، فأنا مطمئن إلى النتيجة، وأستعين بذكره لإزالة الهمِّ والغمِّ.

٣- «**وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ الحَمْدُ لله**»، عندما ينعم الله تعالى عليَّ بولدٍ أو رزقٍ أو صحةٍ أو أي نعمة، أقول: الحمد لله، فهو مصدر العطاء، وكل شيء من عنده، فيكون حمدي اعترافاً بجميل ما أعطى، وذكراً لصاحب الفضل عليَّ.

٤- «**وَلِكُلِّ رَخاءٍ الشُّكْرُ لله**»، تفيض نعمةُ الله عليَّ، وتُسبب الرخاء، وأعيش معها البحبوحة، فأقول: الشكر لله، فهو ذكرٌ واعترافٌ بعطاءاته الوفيرة جلَّ وعلا، الذي لولاه لم تكن النعمة، وبالشكر تزيد النِّعَم، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

٥- «**وَلِكُلِّ أُعْجوبَةٍ سُبْحانَ الله**»، إذا حصل ما لم يكن متوقعاً، أو نظرتُ إلى أعاجيب عظمة خلق الله تعالى، أقول: سبحان الله، فأنا أُنَزِّهُ الله تعالى على ما وفَّر لنا من عظيم سلطانه، وروائع خلقه الذي يملأ شغاف القلب ومدارك العقل.

٦- «**وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ الله**»، أقول: أستغفر الله تعالى، ليغفر لي ذنوبي، فأنا بحاجةٍ دائماً إلى من يغفر لي ذنوبي، ويريحني من آثامي، ويفتح لي صفحة جديدة لأنطلق بكل أملٍ في طاعة الله تعالى، فأستغفر الله ذاكراً له في موضع الحاجة والطلب، آملاً بقبوله لي بالتوبة والمغفرة.

٧- «**وَلِكُلِّ مُصيبَةٍ إنّا لله وَإِنّا إِلَيهِ راجِعونَ**»، قال تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية: ٧.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1]، فالاسترجاع بقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ يهوّن المصيبة، بل يحوِّلها إلى رحمةٍ وهداية، فذكر الله تعالى يمدني بالعزيمة لأواجه الصعوبات، وبما أنَّ كلَّ شيء راجعٌ إليه، وأنا راجعٌ إليه، فأنا أطلب حاجاتي من عنده، وأضع مصائبي تحت رعايته، لأرتاح من هذا العبء، وهذا ما يُساعدني عليه ذكر الله.

٨- «**وَلِكُلِّ ضيقٍ حَسْبي الله**»، عندما أشعر باختناقٍ أو ضيقٍ أو أمرٍ يضغط عليَّ بشكل كبير، أحتسب أن يكون الله تعالى إلى جانبي فيعينني، وأذكر ربي فهو حسبي ومعتمدي وسندي، وهو المعين للخروج من ضيقي.

٩- «**وَلِكُلِّ قَضاء وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلى الله**»، القضاء أمرٌ حصل، والقدر معادلة ومقادير قرَّرها الله تعالى، فإذا وقع القضاء أقول: توكلت على الله تعالى، فلا قدرة لي لردِّ القضاء أو الاعتراض عليه، ولا أملك شيئاً من المقادير التي قدرها الله تعالى، فبذكره والتوكل عليه أتقبَّل القضاء والقدر، وهو لن يتركني.

١٠- «**وَلِكُلِّ عَدوٍّ اعْتَصَمْتُ بِالله**»، كيف أواجه العدوّ؟ ألجأ إلى الله تعالى، وأعتصم به، وأرتبط به، ليعينني في مواجهة

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٦و١٥٧.

العدوّ، فأنا بحاجة إلى ذكر الله الدائم ليكون معي فلا أضعُف أثناء المواجهة، وأكون مطمئناً إلى وجود رُكنٍ متينٍ الى جانبي.

١١- «**وَلِكُلِّ طاعَةٍ وَمَعْصيةٍ لا حَولَ وَلا قوةَ إلَّا بِالله العَليّ العَظيم**»، لولا ما منحني الله تعالى من قوةٍ لما أطعتُ أو عصيتُ، فلا قوة لي إلَّا بالله تعالى، أذكرُه وألجأُ إليه ليعينني بقوته على الطاعة، واجتناب المعصية. أقول: لا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، ذاكراً ملتجئاً إلى الله تعالى.

وهذا هو الدعاء: «**أعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لا إلهَ إلَّا الله، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ ما شاء الله، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ الحَمْدُ لله، وَلِكُلِّ رَخاءٍ الشُّكْرُ لله، وَلِكُلِّ أُعْجوبَةٍ سَبْحانَ الله، وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ الله، وَلِكُلِّ مُصيبَةٍ إنّا لله وَإنّا إلَيهِ راجِعونَ، وَلِكُلِّ ضيقٍ حَسْبي الله، وَلِكُلِّ قَضاء وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلى الله، وَلِكُلِّ عَدوٍّ اعْتَصَمْتُ بِالله، وَلِكُلِّ طاعَةٍ وَمَعْصيةٍ لا حَولَ وَلا قوةَ إلَّا بِالله العَليّ العَظيم**»[1].

ونتعلَّم من دعاء أمير المؤمنين علي عليه السلام على لسان كميل بن زياد الذي نقل الدعاء، الذي نقرؤه في كل ليلة جمعة، وفي النصف من شعبان، وكذلك في ليالي القدر، قوله: «**أَسأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ وَأَعْظَمِ صِفاتِكَ وَأَسْمائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقاتِي مِنَ اللّيْلِ وَالنَّهارِ بَذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّى تَكُونَ أَعْمالِي وأَوْرادِي كُلُّها وِرْداً وَاحِداً، وَحالِي فِي**

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ٩٣٣.

خِدْمَتِكَ سَرْمَداً»[١]. يا رب وفقني لأنْ أذكرك ليل نهار، فتتواصل أعمالي وأورادي وحركاتي وسكناتي مع ذكرك الدائم، فلا أفارق ذكرك في يومي وليلي إلى نهاية عمري في هذه الدنيا.

ومما يُبيِّن لنا أهمية الذكر الدائم والمستمر، قول إمامنا علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «**وكن لله ذاكراً على كلِّ حال**»[٢]، فالذكر نورُ الحياة الأبدية، فإذا امتلأت أيامنا ولياليناوأحوالنا وأعمالنا بذكر الله تعالى، وعِشنا حضورَ الله تعالى في كلِّ مفردات حياتنا، اهتدينا إلى كلِّ خير، وعصَمَنا الله من الذنوب، وجعل السَّكِينَة في قلوبنا.

يصفُ الله تعالى المؤمنين الأقوياء الأشداء، الذين وصلوا إلى المراتب العليا، بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[٣]. رجالٌ لا تُلهيهم التجارة في معاملاتها الكثيرة والمتعددة، ولا البيع المحدود عند إتمامه، عن ذكر الله، ولا يفضلونهما على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والقيام بالواجبات، فذكر الله على كل حال هو الأصل، ولا يتعارض مع أي عمل حلال بل يدعمه ويصوّبه ويزكيه، ولا يدعونا الذِّكر لأن نتخلى عن متابعة أمورنا المعيشية

---

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ١٣٢.
(٢) الشيخ المفيد، الأمالي، ص: ٢٢٢.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٧.

بشكل طبيعي، لكنه يحمينا من التقصير في أداء تكاليفنا الشرعية، أو الانحراف إلى الحرام.

٢- كيف يكون الذِّكْر؟

سُئل أحد الصادقين كيف يكون الذِّكر؟ فأجاب: «**ذكرُ اللسانِ الحمدُ والثناء، وذِكرُ النَّفسِ الجهدُ والعناء، وذِكرُ الروحِ الخوفُ والرجاء، وذِكرُ القلبِ الصدقُ والصفاء، وذِكرُ العقلِ التعظيمُ والحياء، وذِكرُ المعرفةِ التسليمُ والرضاء، وذِكرُ السر الرؤيةُ واللقاء**»[(١)].

«**ذكرُ اللسانِ الحمدُ والثناء**»، ذكر اللسان قولُك: الحمدُ لك يا رب، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وكلُّ لفظٍ فيه ذِكرٌ لله تعالى.

«**وذِكرُ النَّفس الجهدُ والعناء**»، فالنَّفسُ تذكرُ الله تعالى عندما تبذل جهداً طاعةً لله تعالى، وتتحمل العناء لرفض جاذبية وإغراءات المعاصي، فهي تذكر الله عملياً برفض الانجرار وراء الشيطان.

«**وذِكرُ الروح الخوفُ والرجاء**»، أن تخاف من عقاب الله تعالى، وترجو جنة الله ورحمته، تعبيرٌ عن ذكر الروح، فالخوف

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٤٠٤.

والرجاء يعصمك عن الباطل، ويساعدك لسلوك طريقٍ بك، فذِكْرُ الروح حالةٌ نفسية تربوية توجِّه أداءك عملياً.

«**وذِكرُ القلب الصدقُ والصفاء**»، يكون قلبك ذاكراً عندما تكون صادقاً مع الله تعالى ومع نفسك، ومع من تتعامل معهم، فالصدق تعبيرٌ عن الحقيقة، ومعه يكون صفاء القلب والنفس وطمأنينتها، وصفاء العلاقات مع الآخرين. الصدق والصفاء انعكاسٌ لصفحة القلب الذاكر لله تعالى، الذي لا يوارب ولا يخلط الأمور.

«**وذِكرُ العقلِ التعظيمُ والحياء**»، إذا نظرتَ إلى السماء والأرض، وإلى الإنسان والحياة، أيقنتَ أن الله تعالى هو الخالق، فإذا ما رافق ذلك تعظيمٌ للخالق لبديع خلقه وعظمته، دلَّ ذلك على إعجاب العقل وتسليمه لهذه القدرة الإلهية، وهذا من ذكر الله تعالى عن طريق العقل الذي يدرك الحقائق. والحياء من ذكر العقل المتيقظ الذي يميز بين الحلال والحرام، والطاعة من المعصية، فلا يُقدِم على ما يُغضب الله تعالى إدراكاً لحضوره الدائم ومراقبته له، وحياء من ارتكاب النقائص في محضر الكامل. العقل الذاكر يدرك عظمة الخالق ويستحي من معصيته، وهذا هو ذكر العقل.

«**وذِكرُ المعرفةِ التسليمُ والرضاء**»، تعلَمُ أن الرزق بيد الله فتسلِّم أمرك له، وتعلم أن البلاء من عند الله فترضى بما ابتلاك به، وتعلم أن نهاية المطاف عند الله تعالى فلا تُعاند، وتعلم أنَّ

تسليمك لله تعالى يوصلك إلى مرضاته يوم القيامة، فاستثمر هذه المعرفة بالذِّكر الذي يصوِّبها ويمنحك آثارها الإيجابية. إنَّ تسليمك لقضاء الله وقدره تصديقٌ لإدراكك، ورضاك بما قسم الله تعالى تطبيق لإيمانك، وهذا هو ذكر المعرفة الذي يدفعك إلى التصرف بمقتضاها انسجاماً مع سنن الله تعالى في هذه الحياة.

«**وذِكرُ السرِّ الرؤيةُ واللقاء**»، ذكر السرِّ أن ترى الله تعالى، لا بعينك ولكن بقلبك، فالله تعالى لا يُرى بالعين، وأن تشتاق إلى لقاء الله تعالى فتعيش معه حالة من الأُنس والعشق. اخْتَلِ بنفسك للحظات بعد صلاة الفجر، وادع الله تعالى دعاء الحزين، أو أي دعاء آخر، وتصوَّر أنك في حضرة من يسمعك ويراك في هذه اللحظات، وأنت بين يديه، كيف تكون مشاعرك في هذه الأجواء وأنت في حضرة الله تعالى. أنت بحاجة إلى قليلٍ من الجهد للخشوع والتأمل، لتشعر بأن الله تعالى يسمعك ويعطيك من بركاته ورحمته، إنَّه النور الذي يدخل إلى عقلك وقلبك وجوارحك، فيتحقق اللقاء. أو عندما تقرأ القرآن بتأنٍّ وانتباهٍ وتدبر، وكأن الله تعالى يتلقى الحمد منك، وأنت تتلقى منه التوجيهات والأوامر والنواهي، فتَأمَّل في عيش الرؤية واللقاء، ليتحقق ذِكرُ السِّر بينك وبين خالقك، بما لا يعلمه إلَّا أنت وهو.

خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقال: «**ارتعوا في رياض الجنة. قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس**

الذِّكر»[١]. كلُّ مجلسٍ يُذكرُ فيه الله تعالى روضةٌ من رياض الجنة، فذكرُ الله يستحضر الاستقامة والطهارة والطمأنينة وحسن الخلق والارتباط بالخالق... ما يجعل المجلس مجلساً للنور والهداية والخير، وهذه هي الروضة المعنوية الأرقى من الروضة المادية.

ويقول ﷺ: **«من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلَّتْ صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه، ومن عصى الله فقد نسيَ الله، وإن كثُرتْ صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه للقرآن»**[٢]. عندما تصلي تذكرُ الله تعالى، وعندما تصوم تذكرُ الله تعالى، وعندما تشتري وتبيع بالحلال تذكرُ الله تعالى، وعندما تأكل الطعام المذبوح شرعاً وكل محلَّل فأنت تذكر الله تعالى، وعندما تنام بعد طاعةٍ وتبدأ يومك بالطاعات فأنت تذكر الله تعالى. وبما أنَّ الطاعة لله تعالى في العبادات والمعاملات نتيجةُ الإيمان به والالتزام بأوامره، فحدودُها وضوابطُها تعبيرٌ عملي عن حضور الله الدائم في حياة الإنسان، وهذا هو الذِّكر.

وقال رسول الله ﷺ في خطبته في استقبال شهر رمضان المبارك: **«أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة»**[٣]، أي كأنك تقول **«سبحان الله»** بكلِّ نَفَسٍ فأنت في طاعةٍ مستمرة لحظة بلحظة خلال يوم كامل، وكذا في الأيام التالية، والنوم عبادة بين

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٧، ص: ٢٣١.
(٢) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص: ٣٩٩.
(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١٥٤.

طاعتين، قبل النوم وبعده، لتستمر الطاعة لحظة بلحظة خلال أربع وعشرين ساعة يومياً، فأنت في حالةِ ذكرِ لله تعالى لأنك لا تُقدِم على معصية وأنت في طاعة الله تعالى. فإذاً ذكر الله تعالى في كلّ شيء وليس بالكلمة فقط، وعلى كلّ حال، وفي كل وقت، لتمتلىء الحياة بذكر الله تعالى.

٣- الذِّكْرُ الكثير

حياتُنا بحاجة إلى ذكرٍ كثير للجم الشيطان وهجماته المستمرة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1]، وليس معنى ذلك أن نستبدل سبحان الله مائة مرة بخمسة آلف مرة، لا ليس هذا المقصود، وإنما المقصود هو الذِّكر بالطاعة لله تعالى، باللسان، والعين، والأذن. . .وكلّ الجوارح، وفي كل حالة من الحالات. فما الذي يمنع أن تكون مجالسنا عامرة بذكر الله تعالى، أكانت للرجال أم للنساء؟ قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

عن الإمام الصادقعليه السلام عن رسول اللهصلى الله عليه وآله: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ لَكُمْ، أَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ،**

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية: ٣٥.

وخَيْرٍ لَكُمْ مِنَ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَقْتُلُوهُمْ ويَقْتُلُوكُمْ.

فَقَالُوا: بَلَى.

فَقَالَ: ذِكْرُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ كَثِيراً.

ثُمَّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَسْجِدِ؟ فَقَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّه ذِكْراً»[١].

وسُئل الرسول ﷺ: **أيُّ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «الذاكرون الله كثيراً»**[٢]. ذكرُ الله عزَّ وجل يحصِّننا، ويمنعنا من ارتكاب الحرام، ويجعلنا نتوقف ونفكّر، ثم نختار، ومع مصاحبة هذه العملية لذكر الله تعالى، فسيكون النور الإلهي كاشفاً لكلِّ جوانب العمل، ما يساعدنا على القيام به بشكل سليم في طاعة الله تعالى.

تتحقَّق الثمار العظيمة للذكر في حياة الإنسان وآخرته، ومع استمرار وتواصل الذِّكر يتأصل القلب على الإيمان والطاعة، فلا مكان للشيطان فيه.

في الحديث الشريف: **«جلاء هذه القلوب ذكر الله، وتلاوة القرآن»**[٣]. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«ذكر الله دعامة الإيمان**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٤٩٩.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٣، ص: ٧٥.

(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ٢٦١٦.

وعصمة من الشيطان»[1]. وفي الحديث الشريف: **«سبعة يظلّهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظلَّ إلَّا ظلّه: . . . ورجل ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله»**[2].

روي عن الرسول ﷺ: **«اعلموا أنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ وأَزْكَاهَا وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وخيرَ ما طلعَتْ عليه الشَّمْسُ، ذِكْرُ اللَّه سُبْحانَهُ وتعَالى، فإنَّه أخبَرَ عن نفسِه قال: أنا جليسُ من ذَكَرَني»**[3].

إذا كان قلبك مطمئناً تلقَّيتَ كلَّ شيء براحة واستقرار، ومهما كان البلاء عظيماً فأنت مع الله، ومهما كانت الصعوبات كبيرة فأنت مع الله، ومهما كان المرض فتَّاكاً فأنت مع الله، ومهما ضاقت بك الحياة فأنت مع الله، إنْ ذكرتَه ذكرَك، وإن دعوتَه أجابَك، وإن قلتَ يا رب قال أنا معك يا عبدي، أُعطيك حتى تطمئن، أُكافئك حتى ترضى.

ندعو الله بدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام **«يَا مَنْ ذِكْرُه شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، ويَا مَنْ شُكْرُه فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ، ويَا مَنْ طَاعَتُه نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، واشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ»**[4].

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٥٦.
(٢) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٣٤٣.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٧، ص: ١٦٢.
(٤) الصحيفة السجادية، ص: ٦٢.

وفي المناجاة الشعبانية: «**إِلهِي وَأَلْهِمْنِي وَلَها بِذِكْرِكَ إِلى ذِكْرِك**»(١).

٤- الغَفْلَةُ عن ذِكْرِ الله تعالى

احذر الغَفْلَةَ عن ذِكْرِ الله، فخسائرها لا تُحصى ولا تُعد. احذر الغَفْلَةَ اللفظية والعملية، وكل ما يؤدي إليها، فإذا تجنَّبتَ المعاصي حَمَيْتَ نفسَكَ من الغَفْلَةِ وإلَّا وقعت فيها وفي نتائجها. وهذه بعض النصائح لتجنُّب الغَفْلَة وعدم الابتعاد عن ذكر الله تعالى:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾(٢).

٢- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٣).

٣- ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٤).

٤- قال المسيح عليه السلام: «**لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ فِي غَيْرِ ذِكْرِ اللَّه،**

---

(١) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ٢٦٥.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩١.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

فَإِنَّ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ ذِكْرِ اللَّه قَاسِيَةٌ قُلُوبُهُمْ، ولَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ»[١].

٥- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٢].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١١٤.

(٢) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٦.

٧- الإخلاص

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (الحجر ٣٦-٤٢).

المفتاح

الإخلاصُ لبُّ العبادة، يُوحِّدُ مرجعيةَ العقلِ والقَلب، وهو يَنتُجُ عن العبوديةِ لله تعالى وتطبيقِ الشَّريعة المقدَّسة، توخياً للأجر ومرضاةِ الله عزَّ وجلَّ، وهو عظيم.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، القول لإبليس(لعنه الله)، بعد أن طرده الله تعالى من رحمته، لأنَّه تكبَّر وتجبَّر ورفض السجود لآدم عليه السلام، ولأنَّه لم ينفِّذ أمر الله تعالى، رغم العبادة السابقة التي كان عليها، فلا أمل منه، والله تعالى يعلم ذلك علمه للغيب. طلب إبليس من ربه أن يتركه على قيد الحياة إلى يوم القيامة، أي أن يُطيل عمره خلال وجود الحياة على الأرض، فوافق تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾، لن تموت في هذه الحياة الدنيا وستبقى حياً إلى يوم القيامة.

عندها كشف إبليس عن سريرته السيئة والسلبية: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، أي سأُريهم الباطل حقّاً، والقبيح جميلاً، والسوء حسناً، وأدعوهم بجاذبيةٍ إلى المحرمات حتى يُقبلوا عليها، وقد حذَّرنا الله تعالى من الزينة المضلِّلة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[1]. فالزينة مقدمة للغواية، والغواية تجذب إلى الحرام، وليس معنى الغواية أن يسيطر أحدٌ على أحد، فالشيطان يعرض ما عنده ولا يسيطر على أحد، ولا يفرض شيئاً على أحد،ولا يملك عقل أحد، ولا يملك قلب أحد، ولا يستطيع أن يُمسك بيد أحد، ولا أن يقود

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

أحداً إلى أي مكان، إنما يقوم بحركاتٍ وأقوالٍ وأفعال، ويعرضها على الناس، فمن يميل إليه يكون قد غُوي بغواية إبليس، وهو الذي يتحمَّل مسؤولية الوقوع في الغواية.

لكنَّ ابليس لا يستطيع إغواء عباد الله المخلصين، ليس مِنَّة منه عليهم، بل لأنَّهم محصَّنون بالإيمان، فلا تؤثِّر فيهم غوايته، ولا يلتفتون الى الزينة التي يعرضها عليهم، ولا يبالون بوسوساته الشيطانية، فهم صامدون بسبب إيمانهم وإخلاصهم لله تعالى..

لماذا تحدث رب العالمين عن ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ولم يقل «**الْمُخْلِصِينَ**»؟ تحدث أهل اللغة والمفسرون عن لفتة كريم، بالتمييز بين «الْمُخْلِص» و«الْمُخْلَص».

الْمُخْلِص: هو الذي أخلَصَ نفسه لله تعالى، ونفذ أوامر الله تعالى، وكانت أعماله كلها طاعة له عزَّ وجل وفي سبيله، خالصةً لوجهه. فأقام الصلاة قربةً إلى الله تعالى، وبذل الصدقة قربةً إلى الله تعالى، وقام بواجبه تجاه عياله بالإنفاق عليهم فلم يحرمهم ولم يظلمهم ولم يؤذهم، والتزم بالضوابط الشرعية في مسائل الحلال والحرام. فالمخلِص من يقوم بالعبادة والعمل قربةً الى الله تعالى، من دون شائبةِ رياءٍ أو شركٍ أو انحرافٍ أو معصية.

الْمُخْلَص: من يستخلصه الله تعالى ويختاره لأنَّه أحسن في إخلاصه لله تعالى، فهي حالة ينتقل فيها المؤمن من «الْمُخْلِص» إلى «الْمُخْلَص»، فأنت مُخلِصٌ بعملك، وأنت مُخلَصٌ باختيار الله

تعالى لك. يختارك الله من بين الناس فيستخلصُك لنفسه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[(١)]. فالْمُخْلِص: هو الذي يؤدي عمله بإخلاص لمن أخلَصَ له، والْمُخْلَص: هو الذي استخلصه الله تعالى لنفسه بناءً لإخلاصه، ولا يكون مُخلَصاً باختيار الله تعالى له، إلَّا بعد أن يكون مُخلِصاً.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾، إنَّ عباد الله تعالى (مؤمنهم وكافرهم) على مستوى جميع البشر، لا يتحكم بهم إبليس، ولا يستطيع أن يحرفهم عن الطريق إلَّا بإرادتهم، ولا يستطيع أن يمنع عنهم الهداية، إلَّا الذين اتبعوه، فقد اختاروا الضلال والانحراف.

١- طريقُ الإخلاص

توحيدُ الله تعالى أساس طريق الإخلاص، عبَّرتْ عنه سورة الإخلاص، أو سورة التوحيد، والبعض يسمونها: سورة (قل هو الله أحد): ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[(٢)]. اسمها سورة الإخلاص لأنَّها تُعبِّر عن توحيد الله تعالى، الذي لا شريك له، الذي لا يُعادله ولا يُساويه أحد، وليس محدوداً بحدٍّ، فهو مطلقُ الصفات كلها، وهو الله الخالق الواحد الأحد، أصل الوجود بذاته من دون أن

---

(١) سورة يوسف، من الآية: ٢٤.

(٢) سورة الإخلاص.

يولد، الذي خلق كلَّ المخلوقات وكلَّ الحياة وما في الدنيا والآخرة بالإيجاد من العدم من دون أن يلِد، فالتوحيد هو التزامٌ بأن الله تعالى هو المعبود ولا معبود سواه، فتخضع أعمالك لهذا الإيمان، وتكون عبادتك خالصة له جلَّ وعلا، عندها تصبح مخلِصاً، لأنك عبدت الله ولم تعبد أحداً، وأطعته ولم تطع إلَّا الله جلَّ وعلا.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في أول خطبة من نهج البلاغة: **«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه، وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَه، وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه»**[١]. أوَّلُ خطوةٍ معرفةُ الله تعالى، التي تكون كاملة بالتصديق به، فلا تكفي المعرفة الناقصة أو المشككة، وأن يصدِّق بأن الله تعالى هو الخالق الواحد الأحد، لا شريك له. ثم يكون كمالُ التوحيد بالإخلاص لله تعالى، فما يقوله جلَّ وعلا تلتزم به وتنفِّذه، وما ينهى عنه تنتهي عنه، ولا تستمع لأحدٍ إلَّا أن يكون كلامه منسجماً مع ما أمر الله تعالى، عندها تكون موحِّداً حقيقياً للخالق، فإذا كنت موحِّداً كنت مخلِصاً، وإذا كنت مخلِصاً تصبح مخلَصاً، عندها لا يمكن للشيطان أن يؤثِّر فيك في هذه الحياة الدنيا.

يترجم المؤمن الإخلاص بعبادة الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٢]. وقد أرسل الله تعالى النبي محمداً صلى الله عليه وآله،

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٩.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١١.

وتابع من بعده الأئمة الأطهار عليهم السلام يفصّلون ويفسّرون، وبين أيدينا القرآن الكريم والسنة الشريفة، لنعرف الحلال والحرام، والواجب والمحرم، فإذا التزمت في بيتك بالواجبات وامتنعت عن الحرام، وفي الشارع كذلك، وفي المدرسة، ومكان العمل أيضاً، وفي العلاقة مع الآخرين، وفي التجارة أيضاً، عندها تكون أعمالك وفق أوامر الله تعالى، وإعراضك عما نهى الله تعالى عنه، وهذا هو طريق الاخلاص، فالإخلاص هو باتّباع الدين.

وتجنب المعاصي هو طريق الإخلاص، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«تمام الإخلاص تجنب المعاصي»**(١)، فعندما تمتنع عن المحرمات تجد نفسك على طريق الإخلاص، بل تصل إلى أرقى مستويات الإخلاص، فكلُّ الأمور تدور حول الطاعة لله تعالى، ومحورها الالتزام بالأوامر، والابتعاد عن المعاصي، للقيام بالتكليف الشرعي، بل قال بعض العرفاء بأن فعل الواجبات يعود إلى تجنُّب المعاصي، وهذا ما يساعد على سموِّ القلب بإخلاصه لله تعالى.

٢- الإخلاصُ ثمرةُ العبادة

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«الإخلاص ثمرة العبادة»**(٢)، فعندما تتعَّبد لله عزَّ وجل تصل إلى الإخلاص، الصلاة توصل إلى

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٧٥٧.
(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٣٨.

الإخلاص، والصوم يوصل إلى الإخلاص، والحج يوصل إلى الإخلاص، والخُمس يوصل إلى الإخلاص، وكلُّ العبادات المقرّرة في الإسلام توصل إلى الإخلاص، فإذا أدَّيتها بحسب الضوابط الصحيحة وصلت إلى التقوى، وهي طريق الإخلاص.

تقول السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها: **«والصيام تثبيتاً للإخلاص»**[1]، لأن الصوم امتناع عن الطعام والشراب بشكل طوعي، ولا يعرف أحد صدق صيامك إلَّا الله تعالى، فلا تشرب ولا تأكل ولو لم يرك أحدٌ من الناس، تنفيذاً لأمر الله تعالى في الامتناع عن الحلال لتقوية إرادتك، ما يُثبِّتُ الإخلاص في عملك.

لنتعرف على المخلص، من قول الرسول صلى الله عليه وآله: **«وأمّا علامة المخلص فأربعة:**

١- **يُسلِمُ قلبه**: تسليم القلب لله عزَّ وجل، فليس فيه حب وطاعة لغير الله تعالى ومن يسير على دربه، وليس فيه كرهٌ إلَّا للفساد والظلم والانحراف، فالحبُّ في الله والكرهُ في الله، وصِلَتُنا بالله تعالى هي الأساس لكلِّ علاقاتنا ومحبتنا وتقييمنا، فالخير والصلاح من الله تعالى ومعه جلَّ وعلا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحبُّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ لا يحبّ إلَّا في الله، وأن يبغض لا يبغض إلَّا في الله»**[2].

---

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ١، ص: ٢٤٨.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٢١.

٢- **وتُسْلِمُ جوارحه**: الجوارح جمع جارحة، وهي الحواس الخمس، يضاف إليها البطن والفرج فتصبح سبعاً. الجارحة هي التي تجترح العمل كاليد والعين والأذن، وعندما تُسلم الجوارح لله تعالى، تتصرف بما أمر الله تعالى، فتتحرك يدك في سبيل الله، فتقبض المال الحلال ولا تسرق، ولا تنظر بعينيك إلَّا إلى ما أحلَّ الله تعالى، فإذا لمحت حراماً غضضت بصرك، ولا تسمع أذناك إلَّا الحلال فإذا ذُكرت غيبة ابتعدت عنها ورفضت أن تسمعها وطلبت التوقف عن التكلم عنها، وهكذا..

٣- **وبَذَلَ خيرَه**: فهو يعطي دائماً الخير ويبذله، ويتكلم الكلام الطيب، ويُساعد الناس، ويُصلح بينهم...، فالخير صادرٌ عنه في كلِّ المجالات وبشكل دائم.

٤- **وكَفَّ شرَّه**: أي امتنع عن الإضرار بالناس بكل أنواع الشرور، صغيرها وكبيرها، بحيث لا يؤذي أحداً بقولٍ أو فعل، ولا يتسبب بمشكلةٍ لأحد.

«**وأمَّا علامة المخلص فأربعة: يُسلِمُ قلبه، وتُسْلِمُ جوارحه، وبَذَلَ خيره، وكَفَّ شرَّه**»[1].

ومما يوصل إلى الإخلاص، ما قاله رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكلِّ حقٍّ حقيقة، وما بلغَ عبدٌ حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يُحمدَ**

(١) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٢١.

على شيءٍ من عمل لله تعالى»[١]. فإذا قمتَ بأعمالٍ حسنة، فأنت لا تنتظر أن يقول لك أحد: أحسنت، ولا ترجو من الناس الشكر. فالمخلِص يُعطي باليد اليمنى فلا تعرف اليسرى، ويؤدي قربةً إلى الله تعالى عرف الناس أو لم يعرفوا، ويقوم بواجبه تجاه الآخرين أشادوا به أم لم يشيدوا، فهو يبتغي الأجر عند الله تعالى، والملائكة يسجلون أعماله الصالحة، ولا جائزة تعادل رضوان الله تعالى والجنة في يوم القيامة.

قصة لطيفة عن النبي موسى عليه السلام تبيِّن مستوى الإخلاص لله تعالى: «عندما هاجر النبي موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، ورأى ابنتي النبي شعيب عليه السلام غير قادرتين على أن تسقيا الأغنام، فسقى لهما، وعندما عادتا إلى المنزل، سردتا لوالدهما ما حصل معهما، فأرسل إحداهما لاستدعاء النبي موسى عليه السلام لشكره، ولما دخل على شعيب عليه السلام إذا هو بالعشاء مهيأ فقال له شعيب عليه السلام: اجلس يا شاب فتعشَّ.

فقال له موسى: أعوذ بالله. قال شعيب عليه السلام: ولِمَ ذاك؟ ألست بجائع؟ قال: بلى ولكن أخافُ أن يكون هذا عوضاً لما سقيتُ لهما، وإنَّا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً. فقال له شعيب عليه السلام: لا والله يا شاب، ولكنَّها عادتي وعادة آبائي، نُقري الضيف ونُطعم الطعام. فجلس موسى يأكل»[٢].

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١، ص: ١٠٠.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٣، ص: ٢١.

٣- نتائجُ الإخلاص

نصرُ الأمة من نتائج الإخلاص، فعن النبي محمد ﷺ: «**إنما نصرَ الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم**»[١]، لا أحد يصدق ولو للحظة واحدة بأنَّ المقاومين المجاهدين من أبناء حزب الله- لبنان انتصروا على إسرائيل في عدوان تموز ٢٠٠٦ بسبب السلاح والعدد والتقنيات والإمكانيات، لقد كانوا مخلصين لله تعالى فأعطوا كلَّ ما عندهم قربةً إليه، ولذلك نصرهم نصراً عزيزاً.

النطق بالحكمة والتصرف على أساسها من نتائج الإخلاص لله تعالى، قال النبي ﷺ: «**ما أخلصَ عبدٌ لله عزَّ وجل أربعين صباحاً إلَّا جَرَتْ ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه**»[٢]، أدعوكم للتجربة في هذا الأمر، والابتعاد عن الذنوب الصغيرة والكبيرة، والقيام بكلِّ العبادات، والاستمرار بذكر الله تعالى، فسيكتشف الواحد منكم بعد أربعين صباحاً ما وعد به رسول الله ﷺ، بأنَّه ينطق بكلمات، ويتحدث عن أفكارٍ ومفاهيم، ويعطي آراءً، ويعالج بعض القضايا، بخطوات مليئة بالحكمة، لأن ينابيع الحكمة تفجَّرت من قلبه على لسانه بسبب إخلاصه لله تعالى.

الإخلاصُ طريق كفاية الله لعبده في الدنيا والآخرة، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام يتحدث عن حق الله على العباد: «**فأمَّا حقُّ الله**

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٧٥٥.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص: ٧٤.

الأكبر، فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلتَ ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، وأن يحفظ لك ما تحب منها»[١]. فالله عزَّ وجل مصدر كل نعمة وعطاء، يرزق من يشاء ويقدِّر ما يشاء، وهو لا يترك مخلوقاً إلَّا أعطاه، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[٢]، والأولى أن يكون العطاء للمؤمن، ليرضى من رِزْقِ الله بما أعطاه، وقد أكدت الروايات على تخصيص الخالق لعبده المؤمن بعطاءات إضافية في الدنيا من المال والصحة والعمر والنِّعَم، وهو تكريمٌ له في الدنيا قبل الآخرة.

ليس الإخلاصُ عبثاً بل هو سبيل الراحة والاستقرار، ومعه يكفي القليل من العمل، قال النبي محمد ﷺ: **«أخلص يكفك القليل من العمل»**[٣].

٤- عوائق الإخلاص

العائق الأساس للإخلاص هو حبُّ الدنيا، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«آفةُ النَّفس الولَهُ بالدنيا»**[٤]، والتمسك بها والتعلق بحرامها.

ومنه الاستخفاف بالأحكام الشرعية وعدم التدقيق والتمييز بين الحلال والحرام، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ولَا تُرَخِّصُوا لأنْفُسِكُمْ**

(١) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٢٥٦.
(٢) سورة هود، من الآية: ٦.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٠، ص: ١٧٥.
(٤) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص: ٣٣٣٥.

فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ، ولَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُم الإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ»[١]. انتبه فلا تشرِّع لنفسك ما لم يشرِّعه الله تعالى، ولا تساير أو تداهن أهل المعاصي للذةٍ عابرة فتتراخى عن الحدِّ الشرعي أو تقع في المعصية والحرام.

ومنه القيام بالأعمال رياء للناس والمظاهر وليس قربة الى الله تعالى أو تنفيذاً لأمره، فقد يتبرع متبرِّع لمسجد ولكنه يريد السمعة بين الناس، وقد يُطعم الفقراء ولكنه يريد التأمر عليهم، وقد يؤدي بعض الخدمات ولكنها من أجل المنصب والموقع، هذه الأعمال فيها رياءٌ يُسقط العمل، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[٢].

يشمل امتحان الإخلاص جميع المؤمنين، كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، ولكنه يشتد مع العلم والعمل، فعن رسول الله ﷺ: **«العلماء كلهم هلكى إلّا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلّا المخلصون، والمخلصون في خطرٍ عظيم»**[٣]. ويحتاج الإخلاص إلى بذل الجهد والتعب، لكنَّ ثماره عظيمة، فهي تحمي من شياطين الإنس والجن، وترقى بالمؤمن إلى أعلى الدرجات مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين.

---

(١) نهج البلاغة، ص: ١١٧.

(٢) سورة الماعون، الآيات: ٤-٧.

(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٧٥٦.

٨ - التَّقوى

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف ٢٦).

المفتاح

التقوى قوةٌ روحيةٌ تتحوَّل بالمجاهدة إلى مَلَكَة، نعيشُ معها الأُنْسَ بطاعةِ الله تعالى، وتحمينا من الانزلاقِ إلى المحرَّمات والمعاصي.

تُجري الآية الكريمة مقارنة بين نوعين من اللباس، اللباس الظاهري وهو الثياب، واللباس الباطني وهو التقوى، فتؤكد أهمية اللباس الباطني، وأنَّه خير من اللباس الظاهري من حيث الآثار والنتائج.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾، اللباس الظاهري عند الله تعالى، فالثوب الذي تلبسه مصنوعٌ من القطن أو الصوف أو نسيج آخر، والقطن من الزرع، والصوف من الخروف، فالزرع من خلق الله تعالى، والخروف حيوانٌ خلقه الله تعالى، وكلُّ مقدمات اللباس مخلوقةٌ من الله تعالى، لذلك قال تعالى: ﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾، أي خلقنا جميع المقدمات التي تُهيِّىء لكم هذا اللباس، الذي يستر عوراتكم وسوآتكم، وتحتاجونه ليقيكم الحرّ والبرد، ولتتلاقوا بزينتكم بين الناس، فالله تعالى أنزل اللباس بكلِّ مقدماته، وهو الذي أطعمكم وسقاكم، وكما نقل تعالى عن النبي إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[1]، فهو الذي أوجد كلَّ مقدمات الطعام، وكلَّ مقدمات الشراب، وكذلك عندما يخيط الخياط الثوب، فلولا أنَّ الله تعالى خلق الإنسان الذي تعلَّم الخياطة، واستخدم المواد الأولية التي خلقها الله تعالى، لما تمّ إنجاز الثوب للباس، فهو الذي أنزل اللباس.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٧٩ و ٨٠.

﴿لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ﴾، سوآتكم جمع سوأة، والسوأة هي العورة، التي يسوء الإنسان أن تنكشف أمام الآخرين، فهو لا يرغب بظهورها وانكشافها، فهي عورة.

﴿وَرِيشًا﴾، ورد في الروايات أنَّ الريش يعني المال، والغنى، والجمال، وما يرتبط بقيمة اللباس وشكله، فاللباس هو شكل الثوب، والريش هي الإضافات الأخرى التي تُزيِّن وتُجمِّل اللباس، وفي المجموع فاللباس الذي يُواري سوآتكم مع الريش هو اللباس الظاهري الذي يستر البدن، وهو من خلق الله تعالى.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، لباسٌ آخر من خلق الله تعالى، لأن الله عزَّ وجل هو الذي وضع لنا التشريعات التي توصل إلى التقوى، وهو الذي أوجد فينا القابلية لنتفاعل مع أوامره ونواهيه، وهو الذي رسم لنا طريق الهداية التي توصل إلى التقوى. التقوى من اتقى، واتقى أي اجتنب وعاش الحذر وتجنّب هذا الأمر، فالإنسان المتقي هو الذي يتجنَّب المعاصي والمنكرات، التي تعتبر عورةً معنوية، وسوآت معنوية، لأنها رذائل، فعندما يكون الإنسان تقياً يتجنب الرذائل، فكأنه لَبِسَ التقوى فمنعت ارتكابه الرذائل، فتجنَّبَ حدوث العورات المعنوية.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، لأن الامتناع عن الرذائل المعنوية أخطر وأصعب وأهم، فعندما يمتنع الإنسان عن المنكرات والمحرمات والشهوات والمفاسد فقد

حمى نفسه، والحماية المعنوية أعظم من الحماية المادية، ولذا لباس التقوى خيرٌ وأهم من لباس الظاهر.

بعد هذه المقدمات، لعلَّ بني آدم يتذكرون بأن الله تعالى هو الخالق، وأنهم مسؤولون في يوم القيامة عن اللباسين المعنوي والمادي، على أنَّ اللباس المعنوي أهم من اللباس المادي، والمفروض عدم الاكتفاء بالحماية الظاهرية للجسد، وإنما بحقائق الأمور وبواطنها التي توصلنا إلى التقوى.

فسَّر الإمام الباقر عليه السلام هذه الآية الكريمة بقوله: «**فأمَّا اللباسُ فالثياب التي يلبسون، وأمَّا الرياش فالمتاع والمال، وأمَّا لباسُ التقوى فالعفاف، لأنَّ العفيف لا تبدو له عورة وإنْ كان عارياً من اللباس، والفاجر بادي العورة وإنْ كان كاسياً من اللباس**»[(١)]، فالتقوى تحمي الإنسان من العورات والرذائل المعنوية، وهي اللباس الحقيقي، ولا يعني ذلك الدعوة إلى عدم الاهتمام باللباس الظاهري، فالمقارنة لإبراز الأهمية، إذ ما ينفع الإنسان المتمسك بالرذائل ارتداؤه لأفضل ثيابه وأجملها، إذا برزَ سلوكُهُ مُحاطاً بالرذائل والمعاصي؟

اختصر الإمام علي عليه السلام تعريف التقوى بقوله: «**التقوى أن يتقي المرء كلّ ما يؤثمه**»[(٢)]، بحيث يكون اجتناب المعاصي

---

(١) الشيخ القمي، تفسير القمي، ج ١، ص: ٢٢٦.
(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص: ٣٦٣٨.

والآثام، صغيرة كانت أم كبيرة، طريقاً تُراكم رصيداً من تزكية النفس وطهارة الأعمال، فيصل الإنسان إلى درجة من درجات التقوى، تتحول بعد ذلك إلى مَلَكَةٍ تُمكِّنه من رفض أي منكر مهما كان إغراؤه ومكاسبُه الآنية.

يعطي الإمام الصادق عليه السلام تفسيراً رائعاً عن التقوى: «**التقوى أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك**»[1]. أمرك الله تعالى بالصلاة فهو يراك تصلي، وأمرك بالصوم فيراك تصوم، وأمرك بالخُمس فيراك تخمِّس، فهو لا يفقدك في مواطن الطاعة، بحيث تكون حاضراً فيها. وأن لا يراك حيث نهاك، نهاك عن شرب الخمر، ونهاك عن السرقة، ونهاك عن القمار، وعن الانحرافات المختلفة، فلا يراك في مواطن المعصية، فإذا كان يراك حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك فأنت تقيٌّ، لأنك تلتزم بطاعة الله تعالى.

أرسل أمير المؤمنين علي عليه السلام لواليه عثمان بن حنيف رسالة، ذكر فيها مجموعة من النصائح، منها: «**وإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوّضُهَا بِالتَّقْوَى**»[2]، أعمل دائماً على نفسي، وأستخدم الرياضة الروحية لترويضها وتوجيهها إلى المسار الصحيح، فالنفس فتَّانة وطامحة ومنجذبة بالملذات والمنكرات، وإنما يكون ترويضها بالتقوى كي

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص: ٣٦٣٨.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٤١٧.

تحذر من عذاب الله تعالى، وتلتفت إلى رقابته تعالى، فتنضبط ثم تستقيم، فتجتنب المعاصي والمنكرات المختلفة.

انتهت المعركة في صفين وكانت لصالح أمير المؤمنين علي عليه السلام وجيشه، وعندما كان بظاهر الكوفة وقف أمام قبور مخالفيه يخاطبهم، وهم يسمعون ولكن لا يتحركون، قال عليه السلام: **«أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ، لأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى»**(١).

يحدثنا الله تعالى عن الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢). الحج وكلُّ العبادات، التي أمرنا الله تعالى بها تساعد الإنسان على أن يتزوَّد ليحمي نفسه، فيتمكن بالتقوى من اجتناب المعاصي.

١- الأعمالُ التي تؤدي إلى التَّقوى

طبيعةُ الإسلام طبيعةٌ يسيرة، فهو دين اليسر، ولكن على الإنسان أن يخطو الخطوات الصحيحة التي توصله إلى التقوى، ومنها:

أولاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١]. الصيام يوصلكم إلى التقوى، إذا ما أديتموه بشكل صحيح، فقد ينتهي البعض في صيامهم إلى الجوع والعطش، ففي الحديث الشريف: **«كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلَّا الجوع والعطش»**[٢]، فالجوع والعطش مقدمة لترويض النفس ليصبح الإنسان قادراً على الوصول إلى درجة التقوى، لذلك قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إذا عرفتم كيف تصومون، فتصومون قربة إلى الله تعالى، مع الدعاء والتعقيبات وقراءة القرآن والنوافل، والتوكل على الله تعالى، للاستفادة من الأجواء الروحية التي تُساعد على تهذيب النفس لامتلاكها ومنعها من ارتكاب المحرمات والمنكرات.

ثانياً: يقول تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[٣]، فالعدلُ طريقٌ للتقوى. إذا أنصفتَ الناس من نفسك، وعدَلتَ بين أولادك، وأعطيتَ كلَّ ذي حقٍّ حقه، وإذا حكَمتَ في الأمور محل الخلاف بما أمكنك بالعدل، فأنت عادل، والإنسان العادل يسير عملياً في طريق التقوى.

ثالثاً: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[٤]، فإذا وقع خلافٌ مع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٣، ص: ٢٩٤.
(٣) سورة المائدة، من الآية: ٨.
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧.

آخرين، داخل البيت أو خارجه، وكان الحقُّ الى جانبك، فسامحتَ، واخترتَ طريق العفو، فهي خطوة تقرِّبُ من التقوى.

رابعاً: يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[1]، تعظيمُ الشعائر كشعيرة الحج، وتعظيمُ ولادة النبي ﷺ، وذكرى عاشوراء والإمام الحسين عليه السلام، وولادات الأئمة عليهم السلام ..، يؤدي إلى إحياء الدين، وكذلك تعظيم شعيرة إقامة الجماعة، وإحياء المساجد . . .الخ. فالاهتمام بهذه الشعائر وإعطاؤها حقها وقدسيتها ودورها جزءٌ من التقوى.

خامساً: يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**رأس التقوى ترك الشهوة**»[2]، فإذا أردت أن تصل إلى الرأس أي إلى المرتبة الأعلى، فاترك شهوتك بخياراتها المحرَّمة، فالحلال متاحٌ لك. ولا تندفع وراء جاذبية الشهوة الحرام مهما كان الإغراء والجذب، لتتمكن من سلوك طريق التقوى.

سادساً: الجهاد بابٌ من أبواب التقوى، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَه اللَّه لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِه، وهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، ودِرْعُ اللَّه الْحَصِينَةُ، وجُنَّتُه الْوَثِيقَةُ**»[3]، فالجهادُ لباسُ التقوى، فالذين يجاهدون ويقاتلون في

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٦٣.

(٣) نهج البلاغة، ص: ٦٩.

سبيل الله هم في الموقع العظيم من التقوى، يلبسونها ويعيشونها، وقد باعوا أنفسهم لله تعالى، وآثروا أن يقدِّموها قربةً إلى الله تعالى، فضحُّوا بها وتركوا ملذات الدنيا. التقوى توصل إلى الاستقامة، وإلى الجهاد، والدفاع عن بيضة الإسلام، وإلى المقام العظيم الذي يؤدي إلى رفع راية الدين، ونصرة المظلوم...

لو فتشنا عن رابط بين الأمور الستة التي مرَّت: الصوم، والعدل، والعفو، وتعظيم الشعائر، وترك الشهوة، والتقوى، والجهاد، لوجدناها معبِّرةً عن الأوامر الإلهية التي ترفع مكانة الإنسان، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: «**جُماع التقوى في قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾. وقال: اتَّقِ الله فإنَّه جُماع الخير»[١].

وقد لخَّص رسول الله ﷺ كل هذا المسار بقوله ﷺ: «**اعْمَلْ بِفَرَائِضِ اللَّه تَكُنْ أَتْقَى النَّاسِ**»[٢]، فقد فرض الله تعالى الصلاة، والصوم، والحج عند الاستطاعة، والانتهاء عن المحرمات، أي أن تلتزم بالأوامر والنواهي، فإذا سلكتَ هذه الطريق كنتَ من أتقى الناس إن شاء الله تعالى. فالأمور ليست معقَّدة، ولكن عليك أن تسلك هذه الطريق التي أمر الله تعالى بها، للوصول إلى الهدف المنشود وهو التقوى.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**التقوى ثمرة الدين، وإمارة**

---

(١) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٤، ص: ٢٥٩.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٨٢.

اليقين»[١]، فالتقوى ليست أمراً زائداً نسعى له، وليست أمراً موجوداً في مكان آخر نتجه نحوه! بل التقوى حالةٌ نفسية ومعنوية وإيمانية يعيشها الإنسان، تصبحُ مَلَكَةً في حياة المؤمن الذي يلتزم بفرائض الله تعالى فيصبح تقياً، فلا يصدر عنه أي سلوك إلّا بما يُرضي الله تعالى، من دون تكلُّفٍ أو عناء، فقد لبسَ لباسَ التقوى، ولباسُ التقوى ذلك خير.

فلنلتفت إلى كلام الإمام الخميني(قده) أعظم رجل في القرن العشرين، والإمام(قده) من الرجال النادرين جداً، وهو القائد العرفاني الذي ذاب في الله تعالى، يقول(قده): «**واعلم... أنَّ طيَّ أي طريق في المعارف الالهية، لا يمكن إلّا بالبدء بظاهر الشريعة، وما لم يتأدَّب الإنسان بآداب الشريعة الحقَّة، لا يحصل له شيءٌ من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلّى في قلبه نور المعرفة وتنكشف العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعارف في قلبه، سيستمر أيضاً في تأدُبه بالآداب الشرعية الظاهرية**»[٢]. ما هو ظاهر الشريعة؟ هو الفرائض والمحرمات، كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والخُمس، والأوامر والنواهي، فلا حاجة لطقوس وخطوات سوى ما أمر الله تعالى به، فقم بما أمرك به، ترى النور يُرشد عقلك وروحك، ويوصلك إلى التقوى.

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٥٢.
(٢) الإمام الخميني(قده)، الاربعون حديثاً، ص: ٣١.

٢- الأعمالُ التي تُفْسِدُ التَّقوى

تتمحور الأعمال التي تُفسد التقوى حول الشهوة، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لا يُفسد التقوى إلَّا غلبة الشهوة**»[١]. تذهب لذة الشهوة سريعاً وتبقى آثارها تلاحق الإنسان وتُدمره في بعض الأحيان، وهي المسار المعاكس للتقوى. يوجهنا رب العالمين للمعالجة: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]. كيف نستعيذ بالله تعالى؟ عُرضت عليك شهوة محرَّمة، مثلاً النظر إلى مشهد محرَّم، أو مصاحبة صديق إلى مكان محرم، أو عرضت عليك امرأة نفسها بالحرام، أو أي سبيل يوصل إلى الحرام بالنظر، أو السير، أو السمع... استعذ بالله تعالى في هذه اللحظة التي يُعرض فيها الحرام، والجأ إليه، ليعينك على الرفض والصبر، وقل: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، وغُضَّ بصرك عن الحرام، واستمر بالاستعاذة ما دمت في حالة المواجهة، فإذا ما نجحت، فقد مرَّت اللحظة، وستشعر بالقوة العظيمة التي لديك، وبالسعادة تغمرك بعد مواجهتك للحرام الذي عُرض عليك، فقد وقفت مستعيناً بالله تعالى ومتقرباً إليه، ونجحت في تحدي الشيطان ووسوساته.

نحن نمتلك القدرة التي تزداد عندما نستعين بالله تعالى، ونستعيذ به من الشيطان الرجيم. فالشيطان لا يمسك الإنسان بيده، ولا يسيطر عليه، إنما يتودد اليه ويُغريه ويُزيِّن له، فيجذب الكافرين

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٥٣٣.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

المنغمسين بالشهوات والانحرافات، ويجرهم من كفرٍ إلى كفر، ومن انحرافٍ إلى انحراف، بينما يتلقى الصدمات والصَّد من المؤمنين. اعلم أيها المؤمن أنك بحاجة إلى الموقف الأوَّلي الجريء، بأن تصبر، وتستعذ بالله، وتبتعد عن الحرام، ثم تقوى عليه تدريجياً، فييأس الشيطان منك.

٣- نتائجُ التَّقوى

من نتائج التقوى في الدنيا، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[١]، فلو اتقى الناس لأنزل الله تعالى عليهم الرزق والبركات من السماء والأرض.

وعلى مستوى الأفراد والجماعات يقول تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[٢]، فإذا كنت في مأزق فالله تعالى يفتح الطريق أمامك، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، هذا وعد الله تعالى، فاصبر واتقِ.

ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٣]. تؤدي التقوى إلى قدرة التفريق بين الحق والباطل،

---

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٩٦.
(٢) سورة الطلاق، من الآيتين ٢ و ٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

فتعرفون الحق من الباطل، فتسلكون طريق الحق وتبتعدون عن طريق الباطل. ويُكفِّر الله عنكم سيئاتكم التي ارتكبتموها سابقاً، ويغفر لكم كلَّ الذنوب التي ارتكبتموها، ثم يُعطيكم إضافة على ذلك فضلاً عظيماً في يوم القيامة، فتربح نتيجة التقوى أربعة أمور دفعة واحدة: الأول: قدرة التفريق بين الحق والباطل. والثاني: أن يُكفِّر عنك السيئات. والثالث: أن يغفر لك. والرابع: أن يعطيك من فضله العظيم. أرأيت إن أعطى الله تعالى فضلاً للإنسان من دون حسابٍ وهو الغني، هل يتوقف هذا الفضل عند حدٍّ معين؟ هنيئاً لمن أفاض الله تعالى عليه من فضله، وأرضاه في يوم القيامة. بالإضافة الى الجنات للمتقين، ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[١]، فالتقوى ربحٌ في الدنيا، وربحٌ في الآخرة.

٤- المتَّقون

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **للمتقي ثلاث علامات:**

إخلاص العمل. أن يخلص لله تعالى، فصلاتُه لله، وصدقتُه لله، وتربيتُه قربة إلى الله تعالى، وأخلاقه قربة لله تعالى، وكلُّ شيء يقوم به يريد به وجه الله تعالى وليس من أجل أحد، والله يعلم النوايا، «**إنما الأعمالُ بالنيات، ولكلِّ امرئٍ ما نوى**»[٢].

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١، ص: ٤٩.

وقصر الأمل. أَمَلُكَ في هذه الدنيا قصير، فلا تَقُلْ بأنَّ لديك عمراً طويلاً تعيشه! من يضمن لك ذلك؟ يمكن أن تعيش سنوات إضافية، ويمكن أن تموت غداً، فلا يعرف أحدٌ أجَلَه، لذا عليك أن تتصرف وكأنَّ عمرك قصير ولا وقت لديك، فالمتقي لا يؤجل عمله، بل يباشر أعماله وفرائضه قبل الفوت.

واغتنام المهل. المهل: جمع مهلة، والمهلة هي الفرصة، فاغتنم الفرص، لأن الله تعالى يُمهل ولا يُهمل، فإذا ارتكبتَ معصيةً خافيةً عن الناس، لم يعاقبك الله تعالى عليها، فهي مسجلةٌ في صحيفة أعمالك، وقد فتح الله لك باب التوبة، فإن تُبتَ محا لك هذه السيئة، وأبقاها خافية عن الناس، فتكون قد استفدت من المهلة قبل الحساب، ما يعزِّز التقوى في حياتك. قال الإمام الخميني(قده): «**أيُّها العزيز، انهضْ من نومِك، وتَنبَّه من غَفلتِك، واشدُد حيازيمَ الهمَّة، واغتنم الفرصةَ ما دامَ هناك مجال، وما دامَ في العمر بقيَّة، وما دامتْ قواكَ تحت تصرفك، وشبابك موجوداً، ولم تتغلَّب عليك - بعد - الأخلاقُ الفاسدة، ولم تتأصَّل فيكَ المَلَكَاتُ الرذيلة، فابحثْ عن العلاج، واعثُر على الدواء، لإزالةِ تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة، وتلمَّسْ سبيلاً لإطفاءِ نائرةِ الشهوةِ والغضب...**»[1].

---

(١) الإمام الخميني(قده)، الأربعون حديثاً، ص: ٤٩.

إذاً يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«للمتقي ثلاث علامات: إخلاص العمل، وقصر الأمل، واغتنام المهل»**[(١)].

أنصح بقراءة خطبة الأمير عليه السلام التي يذكر فيها صفات المتقين في نهج البلاغة، فهي خطبةٌ عظيمةُ الشأن، لها معانٍ راقية، وتهدي إلى النور والهداية، ومنها قول الأمير عليه السلام: **«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، ومَلْبَسُهُم الِاقْتِصَادُ، ومَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّه عَلَيْهِمْ، ووَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ، كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، ولَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّه عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَه فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ والْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وهُمْ والنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِه أَنْفُسَهُمْ ويَسْتَثِيرُونَ بِه دَوَاءَ دَائِهِمْ»**[(٢)].

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص: ٣٦٣٤.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٣٠٣.

٩ - التسليم والرضا

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٥٥-١٥٧).

المفتاح

لا نَستطيعُ دَفْعَ القضاءِ الذي لا يُردُّ ولا يُبدَّل، فلنُسَلِّم بالواقع ونرضى، لننطلق في حياتنا براحةٍ نفسيةٍ وطمأنينة، تُحيطُنَا رحمةُ الله وهدايتُه.

تتحدث الآيات الكريمة عن الصبر والتسليم والرضا بقضاء الله تعالى، عندما يواجه الإنسان المصائب المختلفة في هذه الحياة الدنيا، وهي مصائب يومية، يتعرَّض لها الإنسان، فقد بُنيت الحياة على وجود الابتلاءات والامتحانات والاختبارات المختلفة، وهنا قدَّم الله تعالى خمسة نماذج تشمل غالبية الابتلاءات، قال:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾، بأي سببٍ من الأسباب التي تؤدي إلى الخوف، أكان الخوف على الحياة أو المستقبل، أو على شيء، أو من شيء، فالخوفُ حاصلٌ عندما يواجه الإنسان بعض التحديات، أو يشعر بأنَّ شيئاً ما يهدده.

﴿وَالْجُوعِ﴾، بسبب الفقر، أو عدم الحصول على الطعام، أو بسبب أوضاعٍ صعبة حصلت في بلده، أو بسبب المجاعة والحروب، أو لأي سببٍ من الأسباب.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾، فيخسر أمواله في التجارة، أو يكون مدخوله الشهري غير كافٍ، أو لا يتمكن من تصريف محصوله الزراعي فيفسد، أو تقلّ قيمة بضائعه، أو يخسر ما ادَّخره من المال لحادث أو نفقات طارئة.

﴿وَالْأَنفُسِ﴾: كأن يموت ولده بمرض أو حادث، أو تموت زوجته، أو يفقد أحد أبويه أو أحبائه الذين يحيطون به، فهذا نقص في الأنفس.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾: توقَّع محصولاً في زراعته، فكانت النتيجة أقل، وهذا ما يشعر به المزارعون في مواسم القحط أو البرد الشديد أو العواصف، وهو من النقص الذي يُبتلى به الإنسان.

إذاً يحيط البلاء بشكل عام بكلِّ حياة الإنسان، ولذا يؤثّر فيه، فهو يخسر ويفقد ما يحب وما يسعى إليه وما يتعلق به، وأكثر ما يتعلق به الإنسان في الحياة: النفس والمال، لذا عندما عرض الله تعالى علينا أن نبايعه ونعاهده، تحدث عن المبادلة بهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ﴾[1]، فالأنفس والأموال تختصر كلّ شيء. تتضمن الأنفس رغبة الناس بطول الحياة، والصحة الجيدة، وامتلاك القدرة والقوة، والمال الوفير، والعيش الرغيد، والمعافاة من المرض والعجز والإعاقة والخوف... انتبهوا! ستُبتلون في حياتكم، بما تحبون، وهذا اختبار، والحياة الدنيا قائمة على الاختبار. فماذا نفعل أمام هذه الابتلاءات؟

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فالبشرى للذين يصبرون على هذه الابتلاءات. يُبتلى الإنسان فيكون في إحدى حالتين: أن يصبر أو لا يصبر. فإذا لم يصبر لموت ولده، وحزن حزناً شديداً، وجرح نفسه، ولطم خدَّه، وصرخ صراخاً عالياً، يمكن أن يُصاب بمرضٍ أو ضررٍ بسبب هذا الانفعال، لأنه رافضٌ لما حدث! فماذا ستكون

---

(١) سورة التوبة، من الآية: ١١١.

النتيجة؟ يزداد ألمه وضرره، وتسوء حالته النفسية والمعنوية، ولا إمكانية لديه لردِّ القضاء وحدثِ الموت، ولا يمكنه تغيير الواقع. وإذا خسر مالاً، فتهدَّم محله، أو خسر في التجارة، أو أنفقه على حادث، فتأثر كثيراً، وانزوى مهموماً، أو ضرب أولاده، أو حطَّم أثاث منزله، تعبيراً عن غضبه وعدم رضاه! فهل يرجع المال بهذه الطريقة؟! أبداً، بل تزداد مصيبته.

أمَّا إذا أُصيب بولدٍ أو مالٍ أو خوفٍ أو جوعٍ أو أي بلاء، فصبرَ ورضيَ بما قسم الله تعالى له وقضى به، وقال: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مقراً بذلك أنَّ من أعطى المال أخذه، ومن رزق بالولد استعاده، والموت بيد الله تعالى، ولا أحد يستطيع منع الحوادث أو إبرام القضاء، فكلمة «لو» و«يا ليت» لا تُعيد حياةً ولا تُرجع مالاً، والأمرُ ليس بيدنا، وسواء أكنا مقصرين أو غير مقصرين، قمنا بما علينا أم لم نقم بما علينا، فعندما يحصل القضاء لا مرد لأمر الله تعالى.

من سلَّم أمره إلى الله تعالى ورضي بقضائه، هداه الله تعالى الى الصواب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾، الذين يحصلون على الرحمة والهداية، أمَّا الرحمة فتخفِّف من وقع المصيبة وتُطمئِن وتعوِّض، وأمَّا الهداية فتُرشد إلى التصرف الصحيح الذي ينعكس راحة نفسية ورضا.

تُربينا هذه الآيات على التسليم والرضا، فالارتباط قائمٌ بين

الإيمان والرضا، إذ لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يسلم لقضاء الله ويرضى بما قسم، حيث لا ينفع الاعتراض والرفض، ولا يغيِّر من الواقع شيئاً، فالأفضل أن يستثمر المؤمن ما حصل بأجرٍ من عند الله تعالى نتيجة التسليم والرضا.

١- الإيمان والرضا

سأل الرسول ﷺ جبريل عليه السلام: **«ما تفسير الرضا؟**

قال: الراضي لا يسخط على سيِّده، أصاب من الدنيا أو لم يصب، ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل»[١]. ليست العبرة مقدار ما أعطى الله العبد، فعلى العبد أن يرضى في كلِّ الحالات، اذ ليس بيده شيء، ولا يستطيع أن يغيّر القضاء. وفي الرواية عنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: **«كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا وَرَدَ عَلَيْه أَمْرٌ يَسُرُّه، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّه عَلَى هَذِه النِّعْمَةِ، وإِذَا وَرَدَ عَلَيْه أَمْرٌ يَغْتَمُّ بِه، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّه عَلَى كُلِّ حَالٍ»**[٢].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«نعم قرين الإيمان الرضا»**[٣]، فنعم الصاحب للإيمان الرضا، الذي يعبِّر عن درجة عالية من درجات الإيمان.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«الرضا بمكروه القضاء من أعلى**

---

(١) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص: ٢٦١.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٩٧.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٩٤.

درجات اليقين»[1]، فهناك قضاء تستأنس به وآخر لا تستأنس به، فإذا قضى الله تعالى أمراً أعجبك، بأن رُزقتَ ولداً، أو شُفيتَ من مرض، فهو قضاءٌ حسن يجلب السرور. وإذا أصابك مكروه بأن خسرت شيئاً، أو مرضت، أو فشلت في عمل، فسلَّمتَ أمرك لله تعالى، ورضيتَ بهذه الخسارة أو الفقدان مع شدة الامتحان والبلاء، رغم كراهتك للنتيجة، فهذه درجة الرضا واليقين بالله تعالى وهي درجة عالية.

يعاني مريضٌ من اشتراكات لعدة أمراض، فيسألونه عن حاله؟ فيجيب بحمد الله تعالى أن ابتلاه بهذه الحدود وليس أكثر، والحمد لله الذي ساعده على التحمل، والحمد لله الذي اختبره بالمرض لعلَّه يتخلَّص من بعض الذنوب. . .، تشعر أنك أمام إنسان عظيم، يشكر الله تعالى راضياً ومسلِّماً للقضاء الذي أصابه، إنَّها درجةٌ عالية من اليقين.

لا تحتسب الخير على قياس ما ترغَب، فلعلَّهُ فيما لا ترغب، فأنتَ جاهلٌ بالغيب والأسرار الإلهية، وقد أخبرنا الله تعالى بأنَّ القتال الواجب كُرْهٌ لكم بسبب أعبائه وصعوباته والتضحيات المصاحبة له، ولكنَّه لخيركم، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٢، ص: ٤١٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

جاهد المسلمون في بدر، فهزموا الكفر وأقاموا دولة الإسلام الكبرى في المدينة المنورة، وكان شهداء بدر ثمناً لهذا النصر العظيم. وانتصرت المقاومة الإسلامية في مواجهة إسرائيل، فكان الشهداء والجرحى وغيرهم من الذين جاهدوا وقدموا وبذلوا وضحوا في سبيل الله تعالى قرابين لهذا النصر العظيم، الذي لا يمكن أن يتحقَّق بغير الجهاد. علماً بأنَّ الشهداء منتصرون أيضاً بهذه الخاتمة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾. وقدَّم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء نفسَهُ وخيرةَ أهل بيته وأصحابه، وعانت زينب عليها السلام والسبايا من الثكل والتنكيل والمحن العظيمة، لكنَّ نور الإسلام سطع نقياً في مواجهة الانحرافات، ونحن ننهل اليوم من عطاءات الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه(رض).

لعلَّ ما تتمنَّونه أحياناً يكون شراً لكم وسيئاً في نتائجه، خلافاً لتوقعاتكم، فالرفاه الذي حصل لبعض المؤمنين، وما أنعم الله تعالى عليهم من أموال وإمكانات، كان سبباً لفسادهم، فتبيَّنَ أنَّ ما أحبُّوه قد أضرَّ بهم، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

ارضَ بما قَسَمَ الله تعالى لَكَ، فهو الخير لَكَ مهما كانت نتائجه، ففي الحديث القدسي: «**وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلَّا بالفقر ولو أغنيتُه لأفسَدَه ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانُه إلَّا بالغَناء ولو أفقرتُه لأفسَدَه ذلك،**

وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صحَّحتُ جسمَهُ لأفسَدَه ذلك، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلَّا بالصحة ولو أسقمتُهُ لأفسَدَه ذلك. إني أدبِّرُ عبادي لعلمي بقلوبهم، فإني عليمٌ خبير»[١].

كلُّ الخير فيما وقع، فأنت لا تعرف مدى الخيرات التي يعطيك الله تعالى إيَّاها، ولعلَّ البطء في إجابة الدعاء وتلبية رغباتك هي الخير الواقعي لك، ففي دعاء الافتتاح يقول: **«فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً، وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأْنِساً، لاخائِفاً وَلا وَجِلاً، مُدِلاً عَلَيْكَ فِيما قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، فَإِنْ أَبْطأَ عَنِّي عَتِبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي، لِعِلْمِكَ بِعاقِبَةِ الأُمُورِ»**[٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّه أَرْضَاهُمْ بِقَضَاءِ اللَّه عَزَّ وجَلَّ»**[٣]. إذا أردت قياس درجة علمك، فانظر إلى القضاء الذي ابتُليت به في حياتك، وكيف تصرفتَ حال حدوثه؟ ليس الأعلم من يحفظ الكتب، وينسّق الأفكار، ولا من يُعطي المواعظ للناس، ولا من يحفظ العدد الكبير من الآيات والروايات، بل الأعلم بالله تعالى هو أرضاهم بقضائه، لماذا؟ لأنَّه عندما يصل إلى درجةٍ عالية من الرضا بقضاء الله تعالى، فقد

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٤٠٠.
(٢) الشيخ القمي، مفاتيح الجنان، ص: ٢٩١.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٦٠.

وصل إلى سرِّ العلم، وسرِّ المعرفة الحقيقية، متقبِّلاً لاختبارات الحبيب، راضياً ببلائه، متفاعلاً معه وقريباً منه بذكره الدائم، يعيش اليقين ولا يغضب، ويتقبّل المصيبة فلا يشكو إلى أحد، إنَّه من أعظم الناس، لأنه عاش حالة الرضا مع الله تعالى.

والمدخل لهذا كله، هو الثقة بالله تعالى، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أصل الرضا حُسن الثقة بالله**»[1]. نتحدَّث كثيراً عن الثقة بالله، والتوكل عليه، والتسليم بقضائه، ثم ينكشف الخلل عند الاختبار، حيث يكون اتكالنا على العباد، وعلى أنفسنا وليس على الله تعالى! يقول الرجل: أنا قمتُ بكلِّ شيء وخسرت، كيف أخسر وأنا متوكلٌ على الله تعالى! وكيف يتركني الله! هذا التصرف لا يُعبِّر عن التوكل على الله تعالى. لديك جار، مستواه العلمي أضعف من مستواك، وجماله أقل من جمالك، وذكاءُ أولاده أقل من ذكاء أولادك، ولكنَّ نعمتَه أوفر من نعمتك، وماله أكثر، تقارن بين مواصفاتك ومواصفاته، فتقول «يعطي الله الحلاوة لمن لا يملك أسناناً»! هذا القول مسيء، وفيه خللٌ إيماني، فمعناه اعتراضك على توزيع عطاءات الله تعالى وتقديره لأرزاق العباد! انتبه، فالله حرٌّ في تقديره، وهو عادلٌ في توزيعه وحسابه، وقد ابتلاك واختبرك بالفقر واختبره بالغنى، اختبرك بالذكاء واختبره بالغباء، اختبرك بالأولاد النجباء واختبره بالأولاد غير النجباء، فكن على قدر الابتلاء، واطلب رحمة الله الواسعة لتشملك،

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص: ١٠٩٣.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(١)]، واعلم أنَّ ما قدَّره الله تعالى هو الخير والصواب.

الرضا مرتبط بدرجة الإيمان، فكلما كان رضانا عن القضاء الإلهي أعلى كلما كانت درجة إيماننا أكبر، لا يعني هذا أن لا ينزعج الإنسان أو يحزن عند خسارة شيء، ولكن يجب أن لا يؤدي حزنه إلى اليأس من روح الله تعالى، بل يستمر بحمده، ويسلِّم أمره لله رب العالمين. نحن مستخلفون في الأرض، ومؤتمنون على عطاءاته، فكلٌّ ما لدينا بمثابة الإعارة المؤقتة، والحياة الدنيا متاع مؤقت وزائل.

الرضا طريقٌ إلى الدرجات العليا، ورسول الله ﷺ قدوتنا في هذا المقام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ لِشَيْءٍ قَدْ مَضَى لَوْ كَانَ غَيْرُه**»[(٢)]، فكلمة «لو» و«يا ليت» لا تنفع، فالذي ذهب لن يعود، فاستقبل من أمرك ما يأتي، لتنال به الحسنة والرضوان.

فسَّر الإمام الباقر عليه السلام الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، بقوله: «**التسليم: الرضا، والقنوع بقضائه**»[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٦.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٦٣.
(٣) البرقي، المحاسن، ج ١، ص: ٢٧١.

٢- الرضا اصطفاء

عن الرسول ﷺ: **«إذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه، فإنْ صبَرَ اجتباه، وإنْ رضيَ اصطفاه»**[١]. حياةُ الأنبياء والأئمة عليهم السلام مليئةٌ بالصعوبات والعقبات والتعقيدات والتكذيب والقتل، وما اصطفاؤهم واختيارهم لدورهم العظيم إلَّا لصبرهم وتحملهم ورضاهم وتسليمهم، فقد أثبتوا أهليتهم للنبوة والإمامة فاختارهم الله تعالى لها. فمن صبر أكثر، وتحمَّل أكثر، فمقامه أعلى بالاختبار. فإذا اختبرك الله تعالى فهو يُريدك ويحبك، ومع نجاحك فيه تقترب من الله تعالى أكثر، لتنتقل إلى الاجتباء، ثم إلى الاصطفاء.

عندما اجتمعت الأحزاب لقتال المؤمنين، اعتقدوا أن المسلمين سيخافون منهم لكثرتهم ووقوف الكفر كلّه ضدّ الحق، بينما تصرف المؤمنون مع رسول الله ﷺ بطريقة مختلفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[٢]، استبشروا بالخير عندما رأوا كلّ هذه الأحزاب مجتمعة لقتالهم، فلم يخافوا، بل رأوا في هذا الابتلاء اختباراً لرفع مقاماتهم عند الله تعالى.

نصحنا رسول الله ﷺ بقوله: **«ارضَ بقسم الله تكن أرغَدَ**

---

(١) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٢، ص: ٤٢٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

الناس»[1]، فهذه هي حصتك التي قسمها الله تعالى لك، ولن تغيِّر شيئاً إذا لم تتقبلها، وربما ازدادت حياتك سوءاً بسبب موقفك. وإذا قبلتها قبولاً حسناً، فسترتاح نفسياً، وترتقي درجاتٍ عند الله تعالى، وتمتلئ صحيفة أعمالك بالخير، والله وحده يعلم مدى الخيرات التي ستحصُل عليها بسبب صبرك وتسليمك ورضاك، فاسلك مسار الرضا فإنَّه طريقُ الغنى الوافر.

أوحى الله تعالى إلى النبي داوود عليه السلام: **«يا داوود تريدُ وأُريد، ولا يكونُ إلَّا ما أُريد، فإنْ أسلمتَ لما أُريد أعطيتُكَ ما تُريد، وإنْ لم تُسلم لما أُريد، أتعبتُك فيما تُريد، ثم لا يكونُ إلَّا ما أُريد»**[2]. قُم بما عليك، وارضَ بالمقسوم، فالله تعالى هو الموفق والمعين. لكلِّ إنسان نصيبه في هذه الدنيا، يحصل عليه بالحلال أو بالحرام، فالأفضل أن يصبر ليأخذه بالحلال ولو تأخر عنه، فليطمئن لأنه سيحصل على ما كتبه الله له، أما إذا استعجل الحرام، فلن يزداد نصيبه ورزقه، وسيتحمل وزر ما قام به.

الرضا بالقضاء ربحٌ خالص، فهو يريح النفس في الدنيا، وله أجرٌ عند الله تعالى في يوم القيامة، قال الإمام الباقر عليه السلام: **«من رضيَ القضاء، أتى عليه القضاءُ وأعظمَ اللَّه أجرَه، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاءُ وأحبطَ الله أجرَه»**[3]. ومع السخط على

---

(١) الكوفي، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج ٢، ص: ٢٧٦.
(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٣٣٧.
(٣) الحر العاملي، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ج ١، ص: ٣٢٥.

القضاء فالخسارة مضاعفة، فلا يحصل على ما يريد، ولا أجر له في الآخرة.

واعلم أنك إذا أردت أن ترتاح وتطمئن وتزيل هموم الدنيا ومتطلباتها، فاتبع قول الأمير عليه السلام: **«نِعْمَ الطاردُ للْهَمِّ الرضا بالقضاء»**(١).

سأل النبي موسى عليه السلام ربَّه: **«يا رب: أخبرني عن آية رضاك عن عبدك؟**

فأوحى الله تعالى إليه: إذا رأيتَني أُهيئ عبدي لطاعتي، وأصرفه عن معصيتي، فذلك آيةُ رضاي»(٢)، وهذا مؤشرٌ يدلُّ على الرضا، باستمرار التوفيق للطاعة والامتناع عن المعصية، وهما أمران بحاجة إلى جهدٍ وعناءٍ وصبر، فهنيئاً لمن رضي بما أعطاه الله تعالى، وأرضى ربَّه بالتسليم لقضائه.

لا تُحصى خيرات الرضا ولا تُعدّ، أبرزها ثلاثة، ففي حديث المعراج: **«فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال: أُعرِّفُه شكراً لا يُخالطه الجهل، وذكراً لا يُخالطه النسيان، ومحبةً لا يؤثِرُ على محبتي محبةَ المخلوقين»**(٣).

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٩٤.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص: ٢٦.
(٣) المصدر نفسه، ج ٧٤، ص: ٢٨.

١٠ - الأجر والثواب

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ (الأحزاب ٤١ - ٤٤).

المفتاح

الأجرُ والثوابُ ربحٌ خالدٌ، لا يُقارَن بأي ربحٍ دنيويٍ عابر، وهو رصيدٌ يحتاجه الإنسان يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون.

يوجِّه الله المؤمنين لعباداتٍ وأعمالٍ تتراكم لمصلحتهم في الآخرة أجراً وثواباً، فيدعوهم إلى الذكر الكثير الذي يُشكِّل حماية لهم بوجود الرقابة الدائمة لله تعالى، وإلى التسبيح بُكرَةً في الفترة الصباحية، وأصيلاً في فترة ما بعد الظهر إلى المساء، أي في زحمة العمل المعيشي والحركة النهارية للإنسان، وهو شكلٌ من أشكال الذِّكر ويحقِّق أهدافه.

إنَّ رعاية الله للمؤمنين حاضرة دائماً، فهو يُصلِّي عليهم أي يرحمهم، والملائكة تُصلّي عليهم أي تُزكِّيهم، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«صلاةُ الله رحمةٌ من الله، وصلاةُ ملائكته تزكيةٌ منهم له، وصلاةُ المؤمنين دعاءٌ منهم له»**[2].

يُبيِّن لنا الإمام الصادق عليه السلام مدى سعة الذِّكر، فيقول: **«مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا ولَه حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْه، إِلَّا الذِّكْرَ فَلَيْسَ لَه حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْه، فَرَضَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ الْفَرَائِضَ فَمَنْ أَدَّاهُنَّ فَهُوَ حَدُّهُنَّ، وشَهْرَ رَمَضَانَ فَمَنْ صَامَه فَهُوَ حَدُّه، والْحَجَّ فَمَنْ حَجَّ فَهُوَ حَدُّه، إِلَّا الذِّكْرَ فَإِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ لَمْ يَرْضَ مِنْه بِالْقَلِيلِ، ولَمْ يَجْعَلْ لَه حَدّاً يَنْتَهِي**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٢) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص: ١٥٦.

إِلَيْه، ثُمَّ تَلَا هَذِه الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾»[1].

تُترجَمُ الرحمةُ الإلهية هدايةً، قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، أي ليهديكم إلى الصراط المستقيم، فالكُفر والانحراف ظلمات، والطاعة لله تعالى نور، فبرحمة الله تعالى يخرُجُ المؤمنون من الظلمات إلى النور في الدنيا بالهداية، ثم ينالون الأجر الكبير يوم القيامة.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، التحية بينهم وبين الله تعالى يوم القيامة هي السلام، السلامُ في يوم القيامة يختلف عن السلام في الدنيا، فعندما نُلقي السلام بيننا في الدنيا، يعني تجنب المشاكل وعدم الاعتداء، أمَّا سلام الآخرة فهو أُنسٌ، وجنة، وخلود، واطمئنان، وراحةٌ نفسية وجسدية تامة للمؤمنين، وهو عطاءٌ مفتوحٌ ومريح لا تمنعه أي عقبة.

١ - فلسفة الأجر

تقوم فلسفة الأجر على عدم البدلية المباشرة للأعمال في الدنيا، بل على الثواب المؤجل إلى يوم القيامة، يمنحه الله تعالى مقابل الأعمال الحسنة فيها. وهي رؤية مختلفة تماماً عن نظرية المنفعة والمصلحة المباشرة كبدلٍ لأي عمل، والتي تنطلق من الرؤية المادية والظرفية لمعاملات الناس مع بعضهم، ولو أدَّى ذلك

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٤٩٨.

إلى ظلم الآخرين أو فساد وحرمة هذه المعاملات، من دون أن تلحظ تلك الرؤية المعنويات والتضحية والإحسان وتأجيل المكافأة.

فلسفةُ الأجر مبنيةٌ على أنَّ قيمة الإنسان بإيمانه وعمله، وليس بإمكاناته ومكانته الاجتماعية، ومن يبتغي الأجر يعمل لدرجةٍ من درجات التقوى، التي ترتقي إلى الأتقى، فيتدرج الإكرام والأجر بمستوياته المختلفة إلى الأكرم، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. إنَّ التركيز على القربة من الله تعالى، هي الترجمة العملية لفلسفة الأجر، تقول: أُصلي قربةً إلى الله تعالى، وأَصوم قربةً إلى الله تعالى، وأَحج قربةً إلى الله تعالى، وأُسلِّم قربةً إلى الله تعالى، وأُسامح قربةً إلى الله تعالى، وأَصبر قربةً إلى الله تعالى. . .، وكل الأعمال قربةً إلى الله تعالى، ما يُرتِّبُ أجراً من عند الله تعالى، وهو ما وعدنا الله تعالى به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

تختلفُ حركةُ الإنسان الذي يتوقع الأجر من عند الله تعالى، عن المستعجل لاستثمارها مباشرة بالحرام، فالفرقُ كبيرٌ بين عملٍ يبتغي الأجر، وعملٍ يبحث عن اللذة والهوى، قال أمير المؤمنين

(١) سورة الحجرات من: ١٣
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩.

علي عليه السلام: **«شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ، عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُه وتَبْقَى تَبِعَتُه، وعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُه ويَبْقَى أَجْرُه»**[1]، فالتعب والعناء موجودان على كلِّ حال، ولكن الفرق هو استقرار العقاب يوم القيامة بسبب اللذة العابرة المحرمة، مقابل اللذة المعنوية بالانتصار على الحرام في الدنيا، وانتظار الثواب في يوم القيامة.

تتكرَّر الحالة بصورة أخرى، عندما يحلُّ القضاء بمصيبة على الإنسان، فإذا ما تقبَّلَها كان مأجوراً، وإذا ما عاندها فلن يغيِّر شيئاً، ثم يتحمَّل تبِعات هذا الرفض. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْجُورٌ، وإِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وأَنْتَ مَأْزُورٌ»**[2]، فلنصبر على ما أصابنا قربةً إلى الله تعالى، فنأخذ الثواب والأجر في الآخرة على ما صبرنا عليه.

انطلقت دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله لهداية البشر، وابتغاء مرضاة الله تعالى والأجر منه، ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].. وهكذا فعل جميع الأنبياء الذين عانوا الكثير مع أقوامهم، ودعوهم ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهاراً، ابتغاء مرضاة الله تعالى.

نذر أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام أن يصوما لله تعالى ثلاثة أيام إذا شفى الله تعالى الحسن والحسين عليهما السلام، وكذلك نذرت

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٩٠.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٢٧.
(٣) سورة هود، الآية: ٥١.

فضة، فشفاهما الله تعالى، فصاموا وفاءً للنذر، وما أن أشرف اليوم الأول على نهايته قريب الإفطار، حتى طرق باب منزلهم مسكين طالباً المساعدة، فأعطوه الأرغفة الخمسة من الشعير والتي أُعدت للإفطار، ولم يذوقوا إلّا الماء»[١]. وتكرَّر الأمر في اليوم التالي مع يتيم، ثم في اليوم الثالث مع أسير، فنزلت آيات من سورة الدهر تُحيي موقف بيت الإمامة الذي يُعبِّر عن قمة الإيمان والأخلاق والإنسانية، بقوله جلَّ وعلا عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[٢].

الأجر من الله تعالى، لا يُعادله أي بدل، قال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[٣].

وصّى أمير المؤمنين علي عليه السلام الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ومما قاله لهما: **«قُولَا بِالْحَقِّ واعْمَلا لِلأَجْرِ»**[٤].

ووصف المتقين، في خطبة المتقين، بقوله عليه السلام: **«ولَوْلا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّه عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ»**[٥]، فالمتقون

---

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص: ٢٠٩.

(٢) سورة الإنسان، الآيات: ٥- ٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٧.

(٤) نهج البلاغة، ص: ٤٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٠٣.

يبتغون الأجر من عند الله تعالى، ويتشوقون إلى الموت، ليحصلوا على ثواب الله تعالى في الآخرة.

يروى أن المنصور - الخليفة العباسي في زمن الإمام الصادق عليه السلام - عاد من السفر، فالتفَّتْ حوله الحاشية والرعية وهنأته بالعودة، إلَّا الإمام الصادق عليه السلام لم يأتِ إليه، فكتب المنصور اليه: «**لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟**

فأجابه: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟

فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا.

فأجابه عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك»(١). فالهدف هو القربة إلى الله تعالى، لتحصيل الأجر، وهو غير موجود عند المنصور في تلك الظروف.

٢ - جزيل الثواب

يتوقع المؤمن أجراً كبيراً في بعض الحالات بناءً على الروايات التي تتحدَّث عن آلاف وعشرات آلاف الحسنات على عملٍ ما، وقد ناقش الفقهاء هذه الروايات، وخلصوا في الغالب الأعم إلى ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من بلَغَهُ عن النبي صلى الله عليه وآله**

---

(١) الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص: ٤٢٧.

شيءٌ فيه الثواب ففعل ذلك، طلب قول النبي ﷺ، كان له ذلك الثواب وإن كان النبي ﷺ لم يقله»[١]، إكراماً لمن توقع الأجر الكبير، وتشجيعاً على القيام بالمستحبات.

مواردُ الأجر متنوعة، ويزداد ثوابه بقدر المشقة، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ثواب العمل على قدر المشقة فيه**». وأعظم الثواب للجهاد في سبيل الله تعالى، لما فيه من تضحيةٍ عظيمةٍ، فعن علي عليه السلام: «**ثواب الجهاد أعظم الثواب**»[٢].

ومن موارده الصبر على المصائب، فعن الإمام الحسن عليه السلام: «**المصائب مفاتيح الأجر**»[٣].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لو يعلم المؤمن ما له في المصائب من الأجر، لتمنّى أن يُقرَض بالمقاريض**»[٤].

يُعطي الله تعالى الأجر بمراتب مختلفة، وزيادات متفاوتة، وفي كلِّ الأحوال يكون أضعافاً مضاعفة، فمن الأجر ما يكون عشرة أضعاف الحسنة مقابل احتساب السيئة بواحدة، قال تعالى: **﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[٥].

---

(١) البرقي، المحاسن، ج ١، ص: ٢٥.
(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٣٥٠.
(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص: ١٦٧٢.
(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٤، ص: ٢٤٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

ومنه ما يكون سبعمائة ضعف وزيادة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ويكون الأجر بأحسن عمل من مجموع الأعمال المتشابهة، فيُحتسَب أجر الصلوات في حياة المؤمن على أساس أفضل صلاة صلَّاها، وأجر الأعمال على أساس أفضل عمل قام به: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

ويكون الأجر بلا حدود، فهو مفتوحٌ إلى درجة الإغراق في العطاء الإلهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(٣)، فالأجرُ مستمرٌ، لا يتوقف ولا ينقطع، ويتضمَّن ما يشتهيه المؤمن ويريده، مما يعرفه ومما لا يعرفه.

يدعم الله تعالى المؤمنين المتقين بتخليصهم من أسوأ سيئاتهم، ويُجزيهم بحسناتهم بلحاظ أحسنها، قال تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٥.

انظر إلى موارد الأجر التي تتسع لكلِّ شيء، وإلى مستوى العطاء الذي يفوق التصور، ففي خطبة الرسول الأكرم ﷺ في استقبال شهر رمضان المبارك: «**أنفاسُكم فيه تسبيح، ونومُكم فيه عبادة، وعملُكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، . . . ومن تطوَّعَ فيه بصلاةٍ كتَبَ الله له براءةً من النار، ومن أدَّى فيه فرضاً كان له ثوابَ من أدَّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثَرَ فيه من الصلاة عليَّ ثقَّلَ الله ميزانَه يوم تخفُّ الموازين، ومن تلا فيه آيةً من القرآن كان له مثل أجر من ختَمَ القرآن في غيره من الشهور**»[١]، الشهيقُ والزفيرُ خلال التنفس بطريقة لا إرادية تسبيحٌ لله تعالى، والنومُ الذي لا حركة فيه ولا عمل عبادة، وهكذا . . . يتراكم الأجر بسرعة كبيرة، فماذا يريد الإنسان أكثر من هذا اللطف والفيض؟.

كلُّ هذا العطاء يستدعي الشكر لله تعالى، ولكن الإنسان عاجز عن المستوى اللائق والمناسب للشكر، وفي بعض الأدعية: «**وارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسْرِ والْعُسْرِ والصِّحَّةِ والسَّقَم**»[٢]، لأني لا أعرف يا رب كيف أشكرك، فمهما شكرتك فقليلٌ جداً، لذا أتَّكِلُ عليك لتعزِّزَ حالة الشكر لدي.

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص: ٢٦٦.
(٢) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص: ١١٠.

١١ - المؤمن القوي

قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ (مريم١٢-١٥).

المفتاح

المؤمنُ قويٌّ في إيمانه وطاعتِه، وقويٌّ في مواجهةِ هواه، وقويٌّ في عملهِ الصالح، يُقيمُ دِينَ الله على الأرض.

خاطب جلَّ وعلا النبي يحيى عليه السلام بقوله: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾، خُذِ الكتاب الذي هو التوراة، وتوجد روايات أخرى بأنَّه كتاب سماوي خاص به. يا يحيى خُذِ الكتاب بمعارفه، خُذِ الكتاب وأنت واثقٌ من كلِّ ما أمرك الله تعالى به ونهاك عنه، خُذِ الكتاب واعمل بكلِّ شجاعة وجرأة، خُذِ الكتاب وارفع رأسك بأنك مع الله وتلتزم دين الله تعالى، فالقوة بمعناها الأوسع من قوة الجسد. خُذِ الكتاب بيدك بقوةٍ في العقل والقلب والإرادة، واعملْ وفق شرع الله تعالى، لا تَهَبْ ولا تَخَفْ أحداً، وأنت واثقٌ من نفسك فيما تُقدِم عليه وفيما تعمل له.

من صفات المتقين التي ذكرها أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ، أَنَّكَ تَرَى لَه قُوَّةً فِي دِينٍ، وحَزْماً فِي لِينٍ، وإِيمَاناً فِي يَقِينٍ...**»[1]، فمن علامة المتقين القوة في الدين، فالمؤمن لا يكون ضعيفاً في حجته ودليله وإيمانه، ولا يخجل بما يحمل، ويكون واثقاً بدين الله، فيواجه التحديات وهو مسلحٌ بهذه التعاليم الإلهية العظيمة.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، آتيناه المعارف الإلهية -كما ورد في التفاسير- وهو لم يزل صغيراً لم يبلغ الحلم، وهذا توفيق من الله تعالى للنبي يحيى عليه السلام.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾، بأنَّ أعطاه الله تعالى

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٠٥.

الحنان، والزكاة أي الطهارة والزيادة والنمو في طاعة الله تعالى، وكان بصفاته وسلوكه تقياً، بسبب هذا الإيمان وهذا الالتزام.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، برُّ الإنسان بوالديه من الصفات النبوية، يُحسن إليهما، ولا يظلم ولا يتجبَّر على الناس، ولا يعصي الله تعالى، فقد اختار طريق الإيمان.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ فسلام عليه يوم ولد في الدنيا، بأنْ يعيش الطمأنينة في طاعة الله تعالى، والسلام عليه يوم يموت وهو في القبر في فترة البرزخ، حيث يعيش أجواء الجنة، والسلام عليه يوم القيامة يوم يُبعثُ حيّاً عندما يبعث كلّ الناس ليوم الحساب.

١- مجالُ القوّة

﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾، القوةُ إمكانيةٌ أعطاها الله تعالى للإنسان، الذي يمكن أن يترجمها قوةً في الإرادة، والدفاع عن الدين، وفي مواجهة الأعداء، فهي كلُّ أشكال القوة التي يمتلكها الإنسان المؤمن.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**القدرة تظهر محمود الخصال ومذمومها**»[1]. فالقدرة التي أعطاك الله تعالى إياها يمكن أن تستخدمها للخصال الحسنة، كما يمكن أن تستخدمها للخصال

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ٢٥١٠.

السيئة. فأنت قويٌّ إذا حميتَ مظلوماً وهذا عملٌ حسن، وإذا دافعتَ عن الأرض بهذه القوة فهذا عملٌ حسن، وإذا منعتَ الظالم من أن يعتدي فهذا عملٌ حسن. . .، بينما إذا استخدمت هذه القوة لتظلم مستضعفاً، أو تعتدي على فقيرٍ أو عاجزٍ أو محتاجٍ، أو تعتدي على زوجك أو ولدك. . . .، فهذه قوةٌ سلبيةٌ مذمومة. إذا استفدت من قدرتك في طاعة الله فستسعد، واذا استخدمتها في معصية الله تعالى فستشقى، فكن حكيماً ولا تحوِّل نعمة الله تعالى إلى نقمة.

تبرزُ قوةُ المؤمن في دينه، فعن الرسول ﷺ: « **إِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ لَيُبْغِضُ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا دِينَ لَه. فَقِيلَ لَه: ومَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا دِينَ لَه؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ**»[(١)]. أنت قويٌّ عندما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فإن لم تفعل فأنت ضعيف، لأنك ترى المنكر أمامك ولا تنكره بأحد خيارات الإنكار، ففي الحديث: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعفُ الإيمان**»[(٢)]. فالقوةُ في الطاعة، يساعدكم عليها علوّ الدين الإسلامي، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٣)].

علينا أن نستفيد من هذه القوة، ولا نقع في الوهن، يقول تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٥٩.
(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ١٩٥٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

﴿فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾[١]. جاهدوا واعملوا بكلِّ عزم، وضحوا في سبيل الله تعالى، وارفعوا راية الإسلام، ليجتبيكم رب العالمين.

استخدم إيمانك بقوة، واستخدم إمكاناتك وطاقاتك لمصلحة الإيمان. أعطاك الله تعالى ذكاء فاستخدمه في طاعة الله تعالى، وأعطاك جسداً فاستخدمه في طاعة الله، وأعطاك قدرة على المحاورة والنقاش فاستخدمها في إقناع وجذب الناس إلى طاعة الله تعالى، وأعطاك وجهاً حسناً فاستخدمه ببشاشة لتنمية صِلاتك مع أقاربك وأصحابك.

واعلم أنَّ درجة المؤمن القوي أفضل من درجة المؤمن الضعيف، لأن المؤمن القوي يعطي أكثر، ففي الحديث الشريف: **«المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله عزَّ وجل من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير»**[٢]، فالمجاهد في سبيل الله الذي يُقاتل الأعداء ويدافع عن الأرض ويُحرر الكرامة والعزة أفضل ممن يكتفي بصلاته وصيامه، وله الدرجات العليا عند الله تعالى.

أين مجال استخدام القوة؟ يقول لقمان الحكيم: **«إذا دعتك القدرة إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك»**[٣]، لا تظلم الناس وتذكَّر بأن الله تعالى قادر على معاقبتك، وأنت مسؤول عن أعمالك.

---

(١) سورة المؤمنون، من الآية: ٧٨.
(٢) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٨، ص: ٥٦.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٣، ص: ٤٢٦.

٢- توجيهُ القوَّة

عندما أرسل الإمام علي عليه السلام مالكاً الأشتر والياً على مصر، كتب له كتاباً فيه توجيهات تربوية عملية عادلة لحكم مصر، قال عليه السلام في كيفية التعامل مع الرعية: «**فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وصَفْحِكَ، مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّه مِنْ عَفْوِه وصَفْحِه، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، ووَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، واللَّه فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ**»[1]. اصبر يا مالك على الناس عند أخطائهم وهفواتهم، واعطهم من عفوك كما تحب أن يصفح الله تعالى عنك ويُعطِكَ من حلمه وعفوه، فأنت الوالي عليهم بالتنصيب، لكن تذكَّر أني والٍ عليك، والله والٍ على من ولاك، فأمير المؤمنين عليه السلام فوقك، والله فوق الأمير، فالمسؤوليةُ كبيرة، والرقابةُ عظيمة، ولستَ مُطلَقَ اليد لتفعل ما تشاء وتتجاوز حدودك.

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «**التفريط مصيبة ذوي القدرة**»[2]، لأنَّ استخدامها من دون توازن، وبشكلٍ زائد عن الحدِّ المناسب، يترك آثاراً سلبية. إنما تكون القوة مؤثِّرة عندما يضبط الإنسان نفسه، فيستخدمها في محلها وبالحدود المناسبة.

والقوي من ضبط نفسه عند الغضب، ولم يتَّبع هواه في الظلم والانتقام، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**قوة الحلم عند الغضب**

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٢٨.
(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ٢٤٠٨.

أفضل من القوة على الانتقام»[١]. عندما يغضب الإنسان ويفقد توازنه، ويخضع لسيطرة الشيطان ووسوساته، ويستخدم يده فيضرب أو يجرح أو يقتل، فهو في قمة الضعف أمام المشاكل، وليست تصرفاته من القوة المحمودة في شيء.

كيف نوجِّه القوة التي أعطانا الله تعالى إياها حتى تكون قوة في الدين؟ المفتاح مخالفة هوى النفس، فعن النبي ﷺ: «**أشجع الناس من غلب هواه**»[٢]. يدفع الهوى إلى الرغبات والشهوات التي تؤدي إلى الانحراف والمعاصي، فعندما تغلب هواك وتوجهه إلى الحلال، يعني أنك شجاع ومُسيطرٌ على نفسك، وهذه هي القوة الحقيقية والمفيدة.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من قويَ على نفسه تناهى في القوة**»[٣]، أي لا حدود لقوته، لأنه امتلك نفسه فوجهها إلى ما يريد، من دون أن يقع أسير رغباته وشهواته، فلا شيء يشده إلى الأرض أو يذله فيها، ولا قوة قادرة على دفعه إلى الحرام والمعاصي، فهو عزيزٌ يُسيطر على نفسه وحياته.

مرّ الرسول ﷺ بقوم يتباهون فيما بينهم، هذا يقول بأنه القوي، وذاك يقول بأنه الأقوى، قال ﷺ: ما الخبر؟ قالوا: فينا رجل يرفع هذا الحجر، وهذا الحجر اسمه حجر الأشداء، ومن يرفع حجر

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٣٧٠.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٧٣.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٤٤.

الأشداء يكون الأقوى بيننا، ونحن نتنافس في هذا الأمر، ثم رفع هذا الحجر رجلٌ منهم فأُعجبوا به لقوته. فقال ﷺ: **«أفلا أخبركم بما هو أشد منه، رجلٌ سبَّهُ رجل، فحلُمَ عنه، فغلبَ نفسَهُ، وغلبَ شيطانَهُ، وشيطانَ صاحبِه»**[1] هذا هو حجر الأشداء وليس الحجر الأصم العادي، فعندما سبَّه فكر: فحلُمَ ولم يغضب، ولم يتصرف بردة فعل عاطفية، ولم ينساق إلى غريزته، فغلب نفسه. وفي الوقت نفسه، خسر المحرض اياه على الغضب فيكون قد غلب شيطانه. ولم يتصرف بما يستدرج ردة فعل صاحبه، ولم يعطه مبرراً للإساءة اليه من جديد، فيكون قد غلب شيطان صاحبه.

عندما عرج الله تعالى بالنبي ﷺ إلى السماء، في ليلة الإسراء والمعراج، رأى مشاهد كثيرة عن الأنبياء، وبعض الناس، ومشاهد من يوم القيامة، وأناساً في الجنة وآخرين في النار، ومما رآه ﷺ: **«رأيتُ ليلة أُسري بي قصوراً مستويةً مشرفةً على الجنَّة، فقلتُ: يا جبرائيل لمن هذا؟ فقال: لِلْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»**[2].

وعن الرسول ﷺ: **«من عفا عن مظلمة أبدله الله بها عزاً في الدنيا والآخرة»**[3].

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص: ٣٤٨٤.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص: ٣٧٥.
(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ١٨٢.

وعنه ﷺ: **«إذا أوقف العباد نادى منادٍ: ليقم من أجره على الله وليدخل الجنة، قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس»**[١].

الأفضل أن يكون العفو من دون شوائب، وأن لا يصاحبه مَنٌّ ولا أذى، وقد فسَّر الإمام الرضا عليه السلام قول الله تعالى: **«فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ»**، قال عليه السلام: **«هو العفو من غير عتاب»**[٢].

نخلص إلى أنَّ قوة المؤمن في دينه، تنعكس إيماناً في حياته. القوة في الدين تُبرِزُ عظمة أحكام الشريعة المقدسة وتوجيهاتها لاستثمار القوة في محلها الصحيح، فإذا كنت قوياً في دينك فأنت مجاهد في سبيل الله، وتستخدم قوتك في محلها الصحيح، فلا تظلم ولا تعتدي، وأنتَ صابرٌ تكظمُ الغيظ، ولا تعمل إلَّا بما أمر الله تعالى به، وتتنازل بِرّاً وإحساناً . . .وما يشجع المؤمن على اعتماد هذا السلوك الإيجابي، أنَّ الأمور تعود إلى الله العادل.

قال أعرابي: **يا رسولَ الله، من يُحاسبُ الخلقَ يومَ القيامة؟ قال** ﷺ: **«الله عزَّ وجلَّ. قال: نجونا ورب الكعبة. فقال** ﷺ: **وكيف ذاك يا أعرابي؟ قال: لأنَّ الكريمَ إذا قدرَ عفا»**[٣].

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص: ٣٧٤.
(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ١٣١.
(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ٢٠١٩.

١٢ - الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الحجرات ١٥).

المفتاح

الجهاد في سبيل الله من أعظم الطاعات، خصَّ الله به أولياءه، ووعَدَهم بإحدى الحُسنيين، ووعدهم الجنَّة والرضوان.

١- الجهاد بالمال والنفس

﴿إِنَّمَا﴾، للحصر، يعني أنَّ المؤمنين الصادقين حصراً هم الذين آمنوا بالله الواحد الأحد، وبرسوله محمدﷺ خاتم النبيين مرسلاً من عند الله تعالى بالرسالة الكاملة.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾، فلم يدخل الشك في عقولهم وقلوبهم من حقيقة الإيمان بالله ورسوله.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، أي دفعوا الأعداء والأخطار والانحرافات والإساءات والظُّلم ببذل أموالهم، وليس ببعض أموالهم فقط! ولماذا: بأموالهم كلها؟ من مستلزمات الإيمان بالله تعالى أن يبيع الإنسان نفسه وماله لله تعالى، أي أن يكون لديه الاستعداد الكامل للتضحية بكلِّ شيء حيث يقتضي المقام، ولا يعني هذا أن يفرِّط بنفسه أو ماله، فهو أمينٌ عليهما، ولكن لو ساقته الظروف إلى أن يكون بين الانحراف وماله، أو بين تضييع دينه وماله، يُقدِّم التضحية على ما عداها، فيبذل ماله قربةً إلى الله تعالى، انسجاماً مع إيمانه ومنهجه. وبذلك يكون قد تعامل مع المال بأنَّه أمانةٌ من الله تعالى بين يديه، وعندما اقتضى الموقف أن يُعيد هذه الأمانة فقد أعادها، لمصلحة أمانة أعظم وهي إقامة الدين في حياته.

والجهادُ بالنفس، بأن يكون لدى الإنسان استعداد ليموت في سبيل الله تعالى، ويتعرَّض للأخطار في سبيل الله، فلا تكون

المحافظة على حياته سبباً للتخاذل والاستسلام، وعندما يُهدِّد الكافرون المؤمنين بالتخلي عن دينهم وأرضهم وكرامتهم، مقابل الحياة الذليلة، أو التمسك بها مقابل القتال والقتل، يتمسك المؤمنون بالتضحية لحياةٍ عزيزة أو شهادة في سبيل الله، فالموت لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة، وهم لا يخضعون للتهديدات، ولا يخشون الموت. المؤمن لا يفرِّط بحياته، وهو مسؤولٌ عن حمايتها، ولكن في الموقف الحاسم يكون مستعداً لبذلها طاعة لله تعالى.

لاحظوا مشهد الصراع مع النفس في لحظة الحسم، والتوفيق الإلهي باتجاه خيار التضحية، لأحد أصحاب الحسين عليه السلام الحرّ الرياحي، هذا البطل المقدام وقف حائراً في لحظات الاختيار، فشاهده مهاجر بن أوس على حالة مُحيِّرة، وقال له: «**لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة؟ لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ فأجابه الحرّ: إني والله أُخيِّرُ نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعت وأُحرقت**»[1]. الجهاد بالنفس يعني الاستعداد الكامل للموت في سبيل الله تعالى عندما يتطلب الموقف ذلك.

من اجتمعت فيهم الصفات الخمس التالية: آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم، وجاهدوا بأنفسهم،

---

(١) الشيخ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص: ٩٩.

أولئك هم الصادقون، الذين تنطبق عليهم حقيقة الإيمان من دون ارتياب.

ركَّز الإسلام على الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى في آيات كثيرة في القرآن الكريم، ووردت روايات كثيرة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام تحثُّ على الجهاد وتُشيدُ بالمجاهدين ومكانتهم في الدنيا والآخرة. تُبرز أهمية الجهاد في أنَّه يحقِّق الحياة العزيزة، ويمنع الظالمين من أن يتسلطوا على المؤمنين، ويبيِّن مستوى المؤمن في محافظته على الفضائل بالدفاع عنها في مقابل الرذائل، فالجهادُ طريقٌ من طُرُق الامتحان لإحياء الدين والاستقامة والحياة الشريفة والعزيزة والسعيدة. ولولا الجهاد لما قام للدين قائمة، ولولا جهاد النبي ﷺ ومن معه من آل البيت عليهم السلام والأصحاب(رض) في المدينة المنورة، في مواجهة قوى الشرك المختلفة، عندما اجتمعت أحزابهم في غزوة الأحزاب، ومن بدر إلى أُحُد وإلى الخندق، وكل المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ، لما قامت للإسلام قائمة. ولولا جهادُ الإمام الحسين(ع) في كربلاء، لما استقام الدِّينُ في حياة الناس، ووصلَ الينا أصيلاً ونقيَّاً.

الجهادُ دفاعٌ عن الحق والأمة، دفاعٌ يحمي، ويُعيد الكرامة، الجهادُ مواجهةٌ للأعداء كي لا يتحكموا بحياتنا ومصيرنا. الجهادُ مسارُ الثَّبات على الموقف، واستعادة الحقوق، ومنع أهل الباطل من التحكم بمصائرنا، وتوفير الفرصة المناسبة لنعيش بعزةٍ وكرامةٍ وهناء.

٢- إحدى الحُسنيين

دعا الإسلام إلى الجهاد، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]. لاحظوا وضوح الدعوة إلى الجهاد ومستلزماته ونتائجه، فالله تعالى يريد أن يشتري من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بكاملها، مقابل الفوز العظيم الذي لا يُعادله فوز، فإذا قبلوا، تراوحت النتيجة بين أمرين: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾، وهي فوزٌ بالنصر أو بالشهادة، فعلى الذين يبيعون أنفسهم وأموالهم في سبيل الله أن يستعدوا للاحتمالين، وأن يتقبلوهما، لأنَّ الأساس هو خيارهم في سبيل الله، وهذا ما يجب التركيز عليه، وليس النتيجة الخاضعة لاعتبارات عديدة، والتي قد تكون نصراً أو شهادة، وهي بيد الله تعالى العالم بخفايا الأمور، فإذا ما حان الأجل أثناء الجهاد فهي شهادة، وإذا لم يحن وتوفرت بعض العوامل الضرورية للنصر كان النصر، وفي كلِّ الحالات فالمؤمنُ منتصرٌ لاختياره سبيل الله تعالى.

يخطئُ بعض المربين والأهل عندما يدعون الى الطاعة لله تعالى من أجل النجاح، أو الى الجهاد من أجل الانتصار، فهذه

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

النتيجة غير مضمونة بهذا الشكل من النجاح، وإنما بأشكال أخرى منها: النجاح بالقيام بالتكليف، أو بذل أقصى الوسع، أو الشهادة في حالة الجهاد. على المربين والأهل أن لا يربطوا بين أداء الصلاة والنجاح في المدرسة، أو الصوم والنجاح في العمل، أو قراءة القرآن والحصول على الرزق الوفير... فالصلاة والصوم وقراءة القرآن والجهاد توفيقٌ إلى سُبُل النجاح غير المحصورة بما يتوقعه الإنسان، ولكنَّه فوزٌ أكيدٌ بمعايير متفاوتة بين الناس بحسب ما اجتمع من عوامل، وبما قدَّر الله تعالى.

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، ترك ناقته من دون ربطها، فلم يجدها في مكانها عندما عاد اليها، فقال: يا رسول الله، توكلت فتركتها. فقال ﷺ: «**اعقِلْ وتوَكَّلْ**»[1]. قُم بما عليك وبعدها توكَّل على الله تعالى، فقد تحقَّق النجاح الذي ترغبه، وقد تكون مصلحتك في نتيجة أخرى، فاقبل النتيجة وهي نجاحك. هذا ما يُربينا عليه الإسلام عند الانطلاق إلى مجاهدة الأعداء، فنكون منتظرين للنصر أو الشهادة، أي لإحدى الحُسنيين: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[2].

يدعو الإسلام المؤمنين إلى الجهاد في سبيل الله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص: ٢٠١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[(١)]، لينطلقوا بما خفَّ حمله أو ثقُل، فلا يجوز التلكؤ والتباطؤ في مسيرة الجهاد.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**والله الله فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّه**»[(٢)]، فالجهاد يشمل كل شيء في حياة الإنسان بما فيها من أموال وأنفس وغير ذلك، فاللسان له جهاده أيضاً، بتبليغ الدعوة الإسلامية، ومقارعة الباطل بالحجة، والنطق بكلِّ ما من شأنه أن ينصر مسيرة الحق.

عندما بايعَ وفدُ يثرب من الأوس والخزرج رسولَ الله بيعةَ العقبة الثانية في مكة المكرمة، كانت بيعةَ الحرب والجهاد، «تكلَّمَ رسولُ الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّبَ في الاسلام، ثم قال: «**أُبايعُكُم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم**. فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق [نبيّاً]، لنمنعك مما نمنع منه أُزرنا، فبايِعنا يا رسول الله، فنحنُ والله أبناءُ الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كابراً [عن كابر]. فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنَّا قاطعوها -يعني اليهود- فهل عَسيتَ إنْ نحن فعلنا ذلك، ثم أظهَرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسَّمَ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٤٢٢.

رسولُ الله ﷺ، ثم قال: **بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكُم وأنتم مني، أُحاربُ من حاربتم، وأُسالم من سالمتم»**[١].

لا يكتمل الالتزام بالإسلام من دون الجهاد، بل المطلوب من النبي ﷺ أن يحثَّ المؤمنين عليه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾[٢]، ادفعهم أيُّها النبي للقتال، وعبِّئهم به، ليكون كل المجتمع الإسلامي مهيأً للقتال، ليدافع عن نفسه في مواجهة المعتدين. لاحظوا خسائر الأمة عندما تخلَّت عن الجهاد، ولاحظوا أرباحها عندما سلكت طريقه، علماً بأنَّ خسائر الجهاد أقل بكثير من خسائر التخاذل والاستسلام، وهذا ما أثبتته التجارب المختلفة.

إذا خاف المسلمون من قوة عدوّهم، وعدم التكافؤ معهم، فلن ينتصروا، ولن يغيِّروا الواقع الذي يعيشونه. أمَّا اذا سلكوا درب الجهاد، فتُفتحُ فرصُ النصر أمامهم، وقد حثَّهم الله تعالى على الإعداد للقوة بقدر الاستطاعة فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٣]. أعِدُّوا لهم بحسب إمكاناتكم، وانطلِقُوا بروحية الجهاد، تُرهبون عدوَّ الله وعدوَّكُم، وتفتحون الطريق أمام نصركم. لا تنتظروا عدةً تُشابه أو تتفوَّق على عدَّتهم، ولا تعتمدوا على الإمكانات المادية

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص: ٣٠٢.
(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٦٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

فقط، ولا تهابوا الموقف بسبب ضعفكم، ابدأوا بالإعداد بحسب استطاعتكم، فسيجتمع معه مَدَدُ الله تعالى، وقوةُ إيمانكم، وعواملُ الضعف الكثيرة الموجودة لدى أعدائكم. . . ما يحقِّق لكم النصر بإذن الله تعالى.

٣- التربيةُ على الجهاد

التربيةُ على الجهاد قوة في حياة المسلمين، وهي لا تقتصر على المواجهة المباشرة مع الأعداء، فهي حالةٌ تعبوية نفسية وعملية تشمل جميع الناس، وجميع الأوقات، وتتخذ أشكالاً مختلفة في التعبير عنها. فإذا لم يكن لديه مجالٌ للجهاد العسكري، أو لم يكن باستطاعة المؤمن أن يشارك في الجهاد بسبب مرضه أو كهولته أو لأي سببٍ آخر، فعلى أقل التقادير أن يحدِّثَ نفسه بالجهاد ويحب الجهاد والمجاهدين، قال رسول الله ﷺ: **«من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق»**[١].

قد لا تسمح قدرات البعض الجسدية والعملية للقيام بهذا الواجب، لكن بإمكانهم القيام بمساهمات عديدة تخدم الجهاد كالبذل في تجهيز المجاهدين. قال رسول الله ﷺ: **«من جهَّزَ غازياً بسِلكٍ أو إبرة، غفرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذنبه وما تأخر»**[٢].

وقد يكون البذل بأدنى المساهمة في الجهاد، وذلك بالرباط

---

(١) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٦، ص: ٤٩.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١١، ص: ٢٤.

والمراقبة وحماية الحدود، فعن رسول الله ﷺ: **«رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها»**(١).

للمجاهد مكانةٌ مميزةٌ عند الله تعالى، لأنَّه يقف في مواجهة الأعداء باذلاً نفسه في سبيل الله تعالى بكل ثقة وجرأة ويقين، قال النبي ﷺ: **«إن الله عزَّ وجلَّ يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله ملائكته، وهم يصلون عليه ما دام متقلده»**(٢).

النتيجةُ حتمية، فالنصر للمؤمنين، إلَّا أنَّ عليهم أن يقوموا بتكليفهم أولاً، فينصروا الله تعالى لينصرهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾(٣). وقد تحقَّقَ هذا الأمر في التاريخ على الرغم من القلة والضعف، فانتصر المسلمون في بدر على قِلَّتِهم وضعفهم، بأنْ أمدَّهم الله تعالى من عنده، ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(٤)، ونزَّل عليهم المطر للاستفادة من الماء في الطهارة والخدمات الأخرى، وثبَّتهم، في مقابل إلقاء الرُّعب في قلوب الكافرين، قال تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ۝١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٤، ص: ٢٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص: ٣٣٨.
(٣) سورة محمد، الآية: ٧.
(٤) سورة الأنفال، من الآية: ١٧.

قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[١].

ونصر الله حزب الله على إسرائيل في مواقع عدة، على الرغم من قلة العدد والعِدَّة، وتكالُب الأعداء من كلِّ حَدَبٍ وصوب، فأعطاهم الطمأنينة والثقة بنصره، وأمدَّهم بعونه، فتكلَّلَ جهادهم بالنجاح والفوز الباهر أمام مرأى العالم بأسره.

٤- شمولية الجهاد

الجهادُ هو الركنُ المقوِّمُ للحبِّ المتفاني في الله تعالى وفي سبيله، فهو متمِّمٌ لحب الله تعالى ورسوله محمدﷺ في مقابل حب الدنيا وما فيها من مالٍ وبنين وملذات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢].

يبدأُ الجهاد بجهاد النفس، ما يؤدي الى جهاد الأعداء، فالنجاحُ في جهاد النفس نجاحٌ في إقامة الدين والاستقامة في حياة المؤمن، ومعه يكون العطاء والتضحية بلا حساب، قال رسول اللهﷺ: **«أفضلُ الجهاد من جاهَدَ نَفْسَهُ التي بين جَنْبيه»**[٣].

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ١١ و ١٢.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٥٥٣.

هل يقتصر الجهاد على المؤمنين أم أنَّه يشمل المؤمنات؟ إنَّ أخواتنا المؤمنات مجاهداتٌ عظيماتٌ يشرِّفنَ مسيرة التضحية في سبيل الله تعالى، هنَّ يتمنَّينَ لو يحمِلنَ السلاح ويقاتِلنَ في المواقع الأمامية، ولكن ليس عليهنَّ قتال، إلَّا أنهن في مواقع جهادِهنَّ المطلوب، ويرتبط نجاحُهُنَّ بأداء دورِهن.

وفي الدر المنثور، أخرج البيهقي سؤال أسماء بنت يزيد الأنصارية النبي ﷺ وهو بين أصحابه، عن جهاد المرأة، فقالت: **«بأبي أنتَ وأمي إني وافدةُ النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنَّه ما من امرأةٍ كائنةٍ في شرق ولا غرب، سمعت بمخرجي هذا، إلَّا وهي على مثل رأيي. إنَّ الله بعثكَ بالحقِّ إلى الرجال والنساء، فآمنَّا بكَ وبإلهك الذي أرسلك، وإنَّا معشر النساء محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنَّكم معشر الرجال فُضِّلتُم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله. وإنَّ الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟**

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مقالةَ امرأةٍ قط أحسن من مساءلتها في أمرِ دِينها من هذه؟

فقالوا: يا رسول الله ما ظننَّا أنَّ امرأةً تهتدي إلى مثل هذا.

التفتَ النبيُّ ﷺ إليها، ثم قال: انصرفي أيَّتُها المرأة وأَعلِمي مَنْ خلفك من النساء: أنَّ حُسْنَ تبعل إحداكنَّ لزوجها، وطلبها مرضاته، واتِّباعها موافقته، يَعْدِلُ ذلك كله»[1]، فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً.

المؤمناتُ مجاهدات في سبيل الله تعالى، فهنَّ يقمن بدورهن في حُسْن التبعل، وتربية الأولاد على الطاعة، والحثِّ على الجهاد، ودعم المجاهدين، وتحمل أعباء الجهاد في الحياة، فمقياس نجاحها في جهادها، يكون بقيامها بدورها بشكل صحيح.

٥- آثار الجهاد

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2]. لا يوجد أحد يجاهد في سبيل الله إلَّا وتُفتح له الطريق، ففي سنة ١٩٨٢ عندما انطلق حزب الله بمقاومة إسرائيل، كان المجاهدون يُعدُّون بالعشرات والمئات، ولم يكن الكثيرون مقتنعين بإمكانية مواجهة إسرائيل والنصر عليها. لكنَّ الله تعالى فتح الطريق أمام النصر في التحرير الكبير في أيار ٢٠٠٠، وصد العدوان بهزيمة إسرائيل في تموز ٢٠٠٦.

لا تقتصر نتائج الجهاد على الربح العسكري، بل توجد أرباحٌ ثقافية ومعنوية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية، فضلاً عن تحرير

---

(١) العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٤، ص: ٣٥٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

الأرض والإنسان. ولا تقتصر أرباحه على جانب واحد، بل تفتح أمام الإنسان سبُلَ الهداية في الميادين كافة.

وعن رسول الله ﷺ: «**جَاهِدُوا تَغْنَمُوا**»(١)، عاجلاً أو آجلاً، في تحصيل الشهادة أو النصر، في العزة والكرامة والحرية، وفي عيش حياتكم سعداء بقوتكم المستمدة من قوة الله تعالى وإرادته، وفي حياتكم المطمئنة بطاعته.

٦- نتائج الجهاد

قال رسول الله ﷺ: «**لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَه بَابُ الْمُجَاهِدِينَ، يَمْضُونَ إِلَيْه، فَإِذَا هُوَ مَفْتُوحٌ، وهُمْ مُتَقَلِّدُونَ بِسُيُوفِهِمْ، والْجَمْعُ فِي الْمَوْقِفِ، والْمَلَائِكَةُ تُرَحِّبُ بِهِمْ**»(٢)، هذا هو الاستقبال الكبير الذي يتمناه كلُّ إنسان مؤمن في يوم القيامة، والمكانة العظيمة التي يأملها عند الله تعالى بدخول الجنة.

وقال رسول الله ﷺ: «**فَوْقَ كُلِّ ذِي بِرٍّ بَرٌّ، حَتَّى يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّه، فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه فَلَيْسَ فَوْقَه بِرٌّ**»(٣)، فلماذا لا يسعى الإنسان إلى هذا المقام العظيم؟.

بيَّنَ رسول الله ﷺ النتائج السلبية للتخلُّف عن الجهاد في سبيل الله تعالى، بالمقارنة مع عِزِّ المجاهدين: «**فَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ،**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٨.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٢.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٥٣.

أَلْبَسَه اللَّه عَزَّ وجَلَّ ذُلّاً وفَقْراً فِي مَعِيشَتِه، ومَحْقاً فِي دِينِه. إِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ أَغْنَى أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا ومَرَاكِزِ رِمَاحِهَا»[1]. فالمتخلِّف يعيش الذل والحقارة والفقر والانقياد الى الظالمين، فهو خاسرٌ من الجهات المختلفة، أمَّا المجاهد فعزيزٌ، تتحوَّلُ بين يديه أرجلُ الخيل ورؤوسُ الرماح قوةً فاعلة، تُقاتل في سبيل الله تعالى، وتُنجز انتصارات المسلمين.

وتحدَّثَ أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة عن نتائج الجهاد: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَه اللَّه لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِه، وهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، ودِرْعُ اللَّه الْحَصِينَةُ، وجُنَّتُه الْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَه رَغْبَةً عَنْه، أَلْبَسَه اللَّه ثَوْبَ الذُّلِّ، وشَمِلَه الْبَلَاءُ، ودُيِّثَ بِالصَّغَارِ والْقَمَاءَةِ، وضُرِبَ عَلَى قَلْبِه بِالإِسْهَابِ، وأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْه بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ، وسِيمَ الْخَسْفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ**»[2]، فالجهاد مظهرٌ من مظاهر التقوى، والتوفيق الإلهي، وثواب الجنة. أمَّا تركُهُ فذُلٌّ وخُسرانٌ مبين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**عينان لا تمسهما النار: عينٌ بَكَتْ من خشية الله، وعينٌ باتَتْ تَحرسُ في سبيل الله**»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «**لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخانٌ في جهنم**»[4].

---

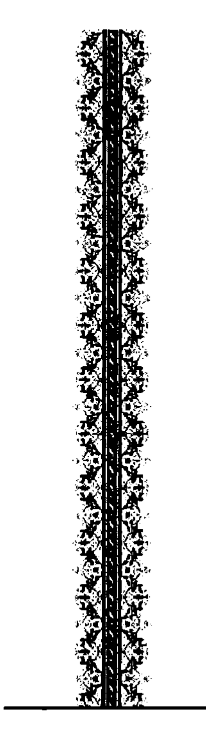
(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٢.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٦٩.
(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٤٤٩.
(٤) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١١، ص: ١٣.

واجبنا أن نُعدَّ أوضاعنا وأن نبني أنفسنا على الاستعداد الدائم للجهاد في سبيل الله، لندافع عن أنفسنا وأُمتنا وبلدنا وديننا وكرامتنا، فلا نصر لنا ولديننا إلَّا بالجهاد، ولا سعادة في حياتنا الدنيا إلَّا بأداء واجب الجهاد.

العالَمُ قائمٌ على الاحتلالات والعدوان والسيطرة والظلم، فالمستكبرون والظلمة لا يراعون حقوق البشر، فهم يتدخلون في حياة الناس، ويزرعون الرعب في البلدان، فماذا نفعل؟ الحلُّ بالجهاد، الذي يغلب عليه الطابع الدفاعي، وهو أمر الله تعالى للمؤمنين بحقهم في الدفاع، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[1]. ممنوع على المؤمن أن يكون ذليلاً، وممنوع عليه أن يخاف إلَّا من الله تعالى، وممنوع أن يتخلَّى عن كرامته وعزته، فإذا جاهَدَ في سبيل الله تعالى بنفسه وماله فالنصرُ حليفُه.

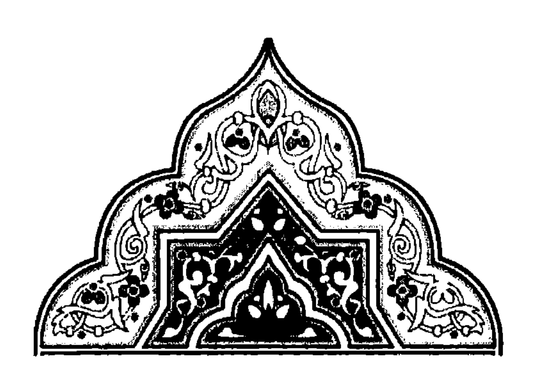
---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ و ٤٠.



الفصل الثالث

الدنيا دار بلاء



١ - الدُّنيا معبرٌ للآخرة

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (يس ٧٨-٨٣).

المفتاح

عَيْشُ الدنيا قصير، فَخُذْ من حَلالها، وارفُضْ لذَّاتها المحرَّمة، فالعناءُ يزول سريعاً، ولكنَّك تربحُ خيرات الدنيا وخلود الآخرة.

رُويَ أنَّ أُبيّ بن خلف، وفي رواية أخرى العاص بن وائل، أتى بعظمٍ بالٍ وفتَّته أمام النبيﷺ، متسائلاً باستنكار: من يحيي العظام وهي رميم؟ وهل يمكن لهذه العظام التي أصبحت بالية ثمَّ تفتَّتت أن تعود مجدداً إلى ما كانت عليه؟ ومن هو القادر أن يُعيدها؟ فنزلت الآيات القرآنية من سورة يس: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

تُبيِّن الآياتُ النقاشَ مع المشركين حول وجود الآخرة، والتي يُعتبر الإيمان بها أصلاً من أصول الدين، فلو آمن الإنسان بالله تعالى ومحمدﷺ وأنكر يوم القيامة، لا يكون مؤمناً، ولا يكون ملتزماً بأصول الدين، فالإيمان بيوم القيامة مقومٌ من المقومات الأساسية للإيمان.

ما هو الدليل على وجود يوم القيامة؟ بيَّن الكافر دليلاً واهياً ظنَّه قوياً عندما أتى بالعظام وفتَّتها، قائلاً: من يحيي العظام وهي رميم؟ فجاءه الجواب المفحم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾، فالذي خلق العظام وكساها باللحم أوَّل مرة من العدم، قادر على خلقها مرة ثانية وثالثة ومتى يشاء.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾، فلينظر الكافر إلى نفسه، وإلى الدقة في خلقه، وإلى النِّعَم التي منحه الله تعالى إياها، والحياة التي أعطاه إياها! فالإنسان مخلوقٌ مميز، وفيه أسرارٌ لا تُحصى ولا تُعد، ومع كلِّ الاكتشافات المعاصرة حول تكوين الإنسان، لا يزال العلم اليوم عاجزاً عن الإلمام بالكثير من أسرار خلقه، فالعلماء يتخصَّصون في الجامعات لمعالجة جزءٍ من عضوٍ من أعضاء الإنسان (كالعين مثلاً)، ويدرسون سنوات وسنوات في هذا الاختصاص، ويجربون حالات كثيرة، وتبقى الحقائق المجهولة أكثر من المعلوم، هذا الإنسان هو من خلقِ الله تعالى.

قرَّر الله تعالى أن يُعيد الحياة للخلق مرة ثانية في يوم القيامة، وأن يجعل الآخرة للحساب، يجتمع فيها الناس منذ بدء الخليقة، في يومٍ واحد، وفي محضر واحد، للجزاء عن أعمال الدنيا، فالإيمان بهذا اليوم أصلٌ من أصول الدين في كل دعوات الأنبياء.

أيها الإنسان، انظر الى ما حولك: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾، يُروى في تفسير هذه الآية: يوجد نوعان من الشجر في الجزيرة العربية: نوع اسمه **المَرْخ** ونوع اسمه **العَفار**، لونهما أخضر، فإذا حككناهما ببعضهما يتولد النار، وهذا هو المقصود بأنَّ الشجر الأخضر الظاهر في قابليته لعدم الاشتعال، قد جعل الله تعالى فيه قدرة الاشتعال بالاحتكاك.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فانظر أيها الإنسان إلى الأرض والسماوات، وما تحويه من كواكب ومجرات ونجوم . . .الخ، وإلى دقة وعظمة واتساع الخلق، التي لا نعرف عنها إلَّا القليل القليل مما في السماوات، والقليل القليل مما في الأرض، مع كلِّ الاكتشافات والاختراعات، فأسرار الكون عظيمة، والذي خلق السماوات والأرض قادرٌ على أن يعيد خلقهما مرة ثانية وثالثة ورابعة.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. عندما نقرأ هذه الآية نتصوَّر بأن الله تعالى يشير بيده، أو يلفظ: كُنْ فَيَكُونُ! لا ، فالكلام في الآية من أجل أن نفهم المقصود، فبمجرد أن توجد الإرادة عند الله تعالى، يحصل الشيء ويكون، من دون كلام ولا إشارة. فالله تعالى الذي قدَّر وأراد وخلق، أراد يوم القيامة للحساب، إلى الجنة أو النار، وأراد الدنيا معبراً للآخرة، نعيش فيها سنوات معدودة، ثم ننتقل إلى خلود الآخرة، فعلى ضوء أعمال الدنيا ينتقل الإنسان إلى الجنة التي يعيش فيها السعادة من دون عناءٍ أو تعب، أو يذهب إلى النار حيث الشقاء والعذاب والألم والمرارة، هذه هي إرادة الله تعالى، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١- حصادُ الدُّنيا في الآخرة

الدنيا معبرٌ مؤقت إلى الهدف النهائي أي الى يوم القيامة، فعليك أن تعمل لتحمل رصيد أعمالك إلى الآخرة، وأن تجهِّز لها فلا تتعلق بالدنيا الفانية، فإذا كان زادك جيداً في الدنيا فزتَ في الآخرة، وإذا لم يكن كذلك فالنتيجة سلبية، فاغتنم الفرصة، واستفد بما نقله الإمام الصادق عليه السلام مما وعظ به لقمان الحكيم ابنه: «**يَا بُنَيَّ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا قَبْلَكَ لأَوْلَادِهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَا جَمَعُوا، ولَمْ يَبْقَ مَنْ جَمَعُوا لَه. وإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مُسْتَأْجَرٌ، قَدْ أُمِرْتَ بِعَمَلٍ ووُعِدْتَ عَلَيْه أَجْراً، فَأَوْفِ عَمَلَكَ واسْتَوْفِ أَجْرَكَ. ولَا تَكُنْ فِي هَذِه الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ شَاةٍ وَقَعَتْ فِي زَرْعٍ أَخْضَرَ، فَأَكَلَتْ حَتَّى سَمِنَتْ، فَكَانَ حَتْفُهَا عِنْدَ سِمَنِهَا، ولَكِنِ اجْعَلِ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ قَنْطَرَةٍ عَلَى نَهَرٍ جُزْتَ عَلَيْهَا وتَرَكْتَهَا، ولَمْ تَرْجِعْ إِلَيْهَا آخِرَ الدَّهْرِ**»[1].

إذا كنت مؤمناً في الدنيا، وأحسنتَ الاستفادة منها بطاعة الله تعالى، فلا بدَّ أن تشعر فيها بحالةٍ من السعادة والاطمئنان، وهذا خير، ثم تأخذ مكافأتك يوم القيامة.

إنَّ ما يحصل في الدنيا بصورة إيجابية ينعكس إيجاباً في الآخرة، وما يحصل فيها بصورة سلبية تكون نتيجته سلبية في الآخرة. قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١٣٤ و ١٣٥.

يَشَآءُ﴾[١]، فإذا ثبّتك الله في الدنيا فأنت ثابتٌ في الآخرة، وإذا كنت موفقاً في الدنيا فأنت موفقٌ في الآخرة، وإذا اهتديتَ في الدنيا فهدايتُك الى جنة الخُلد في الآخرة إن شاء الله تعالى. تختلف صورة الدنيا الإيجابية عن صورة الآخرة الإيجابية، ففي الآخرة راحةٌ كاملة، واطمئنانٌ كامل، من دون تكاليف أو عمل، والسعادة فيها أبدية.

قال تعالى لرسوله ﷺ وهو توجيهٌ لنا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢]. زينةُ الدنيا وطيباتُها مشروعة لك شرط أن لا تكون حراماً، فالحلالُ من الطعام والشراب مشروعٌ لك، والصدقات وصلة الرحم والأعمال الصالحة، كلها أمور خيِّرة ومستحبة، ولكن لا تصحب رفقاء السوء، أو تقطع الرحم، أو تعاقر الخمر...، فإذا حصلت على زينة وطيبات الدنيا في طاعة الله تعالى، فستحصل على المكافأة يوم القيامة، لأنك أحسنت بما فعلت في الدنيا، فالحسنُ في الدنيا حسنٌ في الآخرة.

أمَّا الإنسان الذي يسيء في الدنيا، فيختار السرقة والاحتيال والكذب والغصب والظلم والانحراف والفساد، فلن يكون سعيداً

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

في الدنيا، وسيعاني الكثير، وقد تتحول حياته إلى جحيم، ولو كان مظهره العام مظهرَ ترفٍ وسلطة، ولن يكون مطمئن النفس، ثم يعاقب يوم القيامة، فيكون خاسراً للدنيا والآخرة.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من ابتاع آخرته بدنياه ربحهما، من باع آخرته بدنياه خسرهما**»[١]، فالذي يقبل أن يضحي بالدنيا وملذاتها المحرَّمة لمصلحة الآخرة، يربحهما، والذي يبيع آخرته بعدم الإعداد لها، ويغرق في وحول الدنيا، يخسرهما.

كتب أمير المؤمنين علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر عندما قلده والياً على مصر: «**واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه، أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وآجِلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، ولَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ. سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِه الْمُتْرَفُونَ، وأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَه الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ والْمَتْجَرِ الرَّابِحِ. أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّه غَداً فِي آخِرَتِهِمْ**»[٢].

كسب المتَّقون الدنيا والآخرة، فأخذوا من الدنيا حلالها وأفضل ما فيها، ولم يُحرموا إلَّا من حرامها، وهو لذةٌ مؤقتة لها آثارٌ وخيمة، وأضرارٌ عظيمة، فهم لم يُحرموا عملياً، بل حموا

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٣٤.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٣٨٣ و ٣٨٤.

أنفسهم ومستقبلهم من الانزلاق والخسران، ثم يُكافؤون لأنَّهم أحسنوا الاختيار. المتقون منصورون في الدنيا، ينتصرون على إسرائيل، ويقيمون دولة الإسلام، ويتربعون المواقع، وينجزون التقدُّم العلمي، ويبنون الحضارة والمدنية، ويتفوَّقون في مساراتهم الدنيوية، وينجحون في تربية أولادهم، ويتلذذون بنعيم الدنيا الحلال، ويعيشون الحالة المعنوية الرائعة في علاقتهم بالله تعالى، إنَّهم رابحون في الدنيا ورابحون في الآخرة.

ترتبط نتائج الأعمال ارتباطاً وثيقاً بين الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[1]، فالأعمى في الدنيا هو أعمى القلب والروح والإيمان والبصيرة، وهو الأعمى في الآخرة نتيجة عماه في الدنيا، فلا نور ولا راحة ولا أمل ولا خلاص. اعرف أيها الإنسان، أنَّ مسعاك اليوم في الدنيا يُمهد لآخرتك.

٢- حَرْثُ الدُّنيا والآخرة

الدنيا معبرٌ للآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[2]، فإذا تبيَّن أن ما تقوم به في الدنيا يهدِّد ما تدَّخره لآخرتك، غيِّر طريقة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٧٧.

عملك، وانتبه لسلوكك وأعمالك وأموالك وأولادك، وما أنت مسؤول عنه ومكلَّفٌ به.

يجب أن نسعى إلى يوم البقاء الأبدي، يوم القيامة، الذي تُعلن فيه النتائج: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ... ﴿١٩﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾[1].

روى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة دُفع إلى الإنسان كتابه، ثم قيل له اقرأه. فيعرف ما فيه. إنَّه يذكره، فما من لحظةٍ ولا كلمةٍ ولا نقل قدم ولا شيء فعله إلَّا ذَكَرَه، كأنَّه فعله تلك الساعة، فلذلك قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾**»[2]، علينا أن نعمل للآخرة، فمصائبنا ومشاكلنا بسبب عدم ذكرها، وعدم الالتفات إليها، وعدم النظر اليها كمستقرٍّ نهائي.

ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه، جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله خوِّفني فإنَّ قلبي قد قسا. فقال: **يا أبا محمد، استعد للحياة الطويلة، فإنَّ جبرائيل عليه السلام جاء إلى رسول**

---

(١) سورة الانشقاق، الآيات: ٧-١٥.

(٢) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ٢١٨٢.

الله ﷺ وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجيءُ وهو مبتسم، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرائيل، جئتني اليوم قاطباً؟ فقال: يا محمد، قد وضعت منافخ النار. فقال ﷺ: وما منافخ النار يا جبرائيل؟ فقال: يا محمد، إنَّ الله عزَّ وجل أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضَّت، ونفخ عليها ألف عام حتى احمرَّت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة. لو أنَّ قطرةً من الضريع قطرَت في شراب أهل الدنيا لمات أهلُها من نتنها. ولو أنَّ حلقةً واحدةً من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضِعتْ على الدنيا لذابت الدنيا من حرِّها. ولو أنَّ سربالاً من سرابيل أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لمات أهلُ الأرض من ريحه ووهجه»[1].

نعوذ بالله تعالى، من حال الكافرين الذين يتعرضون لنار الجحيم يوم القيامة.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّه، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ**»[2]، ابدأ أيها الإنسان بالتجهيز لآخرتك، لأنك لا تعرف متى يأتيك ملك الموت، وتأتي ساعتك، فكن على الدوام على جهوزية الطاعة والمغفرة والاستقامة، وهذا هو التجهيز الحقيقي.

هذا خيارك: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن

---

(١) الشيخ القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص: ٨١.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٣٢١.

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[١]، فإذا كنت تريد الآخرة يعطيك الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإذا كنت تريد الدنيا يعطيك من الدنيا ما تتوهم أنه كسبٌ لك، وليس لك في الآخرة من شيء.

يدلُّنا أمير المؤمنين علي عليه السلام على الطريق: «**من أكثر من ذِكْرِ الآخرة قلَّتْ معصيته**»[٢]، تذكر دائماً يوم القيامة عند قيامك بأي عمل، وتذكر أن الله معك يراقبك أينما كنت: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٣]، وأن أعمالك مدوَّنة عنده، ساعتئذٍ تكون متيقظاً دائماً، زاهداً بالدنيا وراغباً بالآخرة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خيرُ أمتي أزهدهم في الدنيا وأرغبهم في الآخرة**»[٤].

أن تعمل للآخرة يعني أن يتغيَّر سلوكك ونمطك مع الآخرين بما فيه الخير والعفو والأخلاق والإحسان والصلاح، فلا تغرق في انحرافات الدنيا، ولا تصرّ على معاصيها، ولا تنجرف في ملذاتها، وانظر إلى المقارنة بين الدنيا والآخرة: «**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**»[٥]. الاستقرار في الآخرة وليس في هذه الدنيا المؤقتة الفانية.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٠.
(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٣٧.
(٣) سورة الحديد، من الآية: ٤.
(٤) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ١٠٨.
(٥) سورة غافر، الآية: ٣٩.

فلنحرص على أن نكون مع من يربطنا بالآخرة، ويوصلنا اليها، فنسير معه متعاونين في مواجهة إغراءات الشيطان. قال الحواريون لعيسى عليه السلام: **«يَا رُوحَ اللَّه مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ عليه السلام: مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّه رُؤْيَتُه، ويَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُه، ويُرَغِّبُكُمْ فِي الآخِرَةِ عَمَلُه»**[1].

فلنعمل من أجل الأجر الذي تبقى مؤونته، ولا نعمل للذةٍ تذهب سريعاً وتبقى تبعاتها في الآخرة، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **« شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُه وتَبْقَى تَبِعَتُه، وعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤونَتُه ويَبْقَى أَجْرُه»**[2].

تذكَّر أيها المؤمن بأنَّ التأسيس للآخرة هو الفوز العظيم، واستفد من توجيهات أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى سويد بن غفلة قال: دخلتُ على أمير المؤمنين بعدما بويع بالخلافة، وهو جالسٌ على حصيرٍ صغير، ليس في البيت غيره، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال، ولستُ أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت؟ فقال عليه السلام: **«يا بن غفلة، إنَّ اللبيبَ لا يتأثثُ في دار النَّقلة، ولنا دارُ أمنٍ قد نقلنَا إليها خيرَ متاعنا، وإنَّا عن قليلٍ إليها صائرون»**[3].

تذكَّر أيها المؤمن ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«الْيَوْمَ عَمَلٌ**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ٣٩.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٤٩٠.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص: ٣٢١ و ٣٢٢.

ولَا حِسَابَ، وغَداً حِسَابٌ ولَا عَمَلَ»[1]. ولا تضيّع فرصة الدنيا لتهيئة الزاد ليوم القيامة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«مَنْ أَصْبَحَ وأَمْسَى والدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّه، جَعَلَ اللَّه تَعَالَى الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْه، وشَتَّتَ أَمْرَه، ولَمْ يَنَلْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَسَمَ اللَّه لَه. ومَنْ أَصْبَحَ وأَمْسَى والآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّه، جَعَلَ اللَّه الْغِنَى فِي قَلْبِه، وجَمَعَ لَه أَمْرَه»**[2].

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٨٤.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٣١٩.

٢ - أحلَّ لكم الطيبات

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ (الأعراف ١٥٧).

المفتاح

أحَلَّ الله لكم الطيبات، وحرَّمَ عليكم الخبائث، لمصلحتكم، فتَنعَّمُوا بما رزقكُم في الدنيا حلالاً طيباً، ولا تَغْترُّوا بمتاعٍ زائل، تربحوا نعيم الدنيا والآخرة.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، الخطاب لأهل الكتاب، فكلُّ نبي يأتي يُبشر بالنبيِّ الذي يأتي من بعده، فالأنبياء سلسلة واحدة، والمُرسِل هو الله تعالى الذي أرسل الأنبياء، ولكن لكلِّ نبيٍّ مرحلة ودور وأحكام يبلغها للناس، ثم يأتي النبي الذي من بعده، فيعمل على تركيز المفاهيم المشتركة، ويُجري بعض التعديلات على الأحكام التي تتوافق مع ما أراده الله تعالى في مرحلته، وقد بشَّرَ النبي عيسى عليه السلام أهل الكتاب بمجيء النبي محمد ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[1].

ما هو الدور المركزي للنبي في حياة الناس؟ لعلَّ البعض يعتقد أنَّ الدور المركزي هو التعريف بالله تعالى، والبعض الآخر يعتبره داعياً إلى عبادة الله تعالى، وثالثٌ يؤكد على وجوب انقياد الناس إلى الأوامر والنواهي، والواقع أنَّ الرسول أُرسل إلى الناس لهدايتهم، وإرشادهم إلى خيرهم وصلاحهم وفلاحهم، وما يسعدهم في الدنيا، ويثيبهم في الآخرة. فالرسول لم يأتِ ليفرض أعباءً على الناس، وليس دوره أن يربط الناس بالله تعالى والغيب بعيداً عن حياتهم الدنيا ومتطلباتهم، إنما جاء ليهديهم إلى الإيمان بالله تعالى، ويعرفهم على خالقهم، ويرشدهم إلى طريق الاستقامة

---

(١) سورة الصف، من الآية: ٦.

والسلوك الحسن والعمل الصالح، ويبشرهم وينذرهم، ويبيِّن لهم الحلال والحرام، وهذا ما تضمنه قوله جلَّ وعلا: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أي يأمرهم بكلِّ ما هو خير، فالحلال لمصلحتهم، والمنع عن الحرام لمصلحتهم.

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، فالمنكر يضرُّ بهم، ويسيء إليهم، وهو منكرٌ لأنَّ العقل يُنكره، والإنسان ينكره، وليس لأن الله تعالى أنكره، إنما أنكره الله تعالى لأنه منكرٌ بذاته، يفسد حياة الإنسان، ولا يتوافق مع مصلحته.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، التي تكون طيبة الطعم والنتيجة، وطيبة المستقبل، وطيبة الحياة، ويأنس بها الإنسان وتنفعه، وهي الحلال بعينه.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾، الخبائث جمع خبيثة، وهي الأمور السيئة والمؤذية التي تضر الإنسان، جسدياً، ونفسياً، وروحياً، ومعنوياً، فأضرار الخبائث متنوعة، وهي الحرام.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾، الإصر: الذي يمنع من فعل الخيرات، والأغلال جمع غل: التي تقيِّد الإنسان وتطوِّقه. فدور النبي ﷺ أن يُسقط ما يمنع عنك الخيرات، ويحرِّرك من القيود التي تحرمك من إنجاز الأعمال الحسنة والنافعة لك في هذه الدنيا، يريد الله تعالى سعادتك وانطلاقتك نحو الخير، وأن تأخذ حصتك غير منقوصة في هذه الدنيا: ﴿قُلْ مَنْ

حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[١]، فالشريعة لا تقيِّد، ولا تمنع الحلال والطيبات على الأرض، فهي محلَّلة لمصلحة البشر، ولا صحة للادعاء بأنَّهم محرومون.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٢]، الذين ساروا مع النبي ﷺ وصدَّقوه، وساندوه، ونصروه، واتبعوا النور وهو القرآن الكريم الذي أُنزل معه، هم المفلحون والفائزون، فالنور يوضِّحُ معالم الطريق، ويرشد إلى المصالح لنتبعها، والمفاسد لنتجنبها، وهذا هو الفوز العظيم.

١- حُرمة الخبائث

سأل أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً له: لِمَ حرَّم الله عزَّ وجل الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ فقال عليه السلام: «**إنَّ الله تباركم وتعالى لم يحرِّم ذلك على عباده، وأحلَّ لهم ما سوى ذلك من رغبة فيما أحل لهم، ولا زهد فيما حرَّمه عليهم، ولكنه تعالى خلق الخلق فعلم ما يقوم به أبدانهم، وما يُصلحهم، فأحلَّه لهم وأباحَه، وعلم ما يضرُّهم فنهاهُم عنه وحرَّمه عليهم**»[٣]. إذاً كلُّ ما

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٧.
(٣) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ج ٢، ص: ٤٨٣.

أحلَّه الله تعالى خيرٌ للإنسان، وكل ما حرَّمه شرٌّ للإنسان، والوقائع تثبت ذلك، فنموذج المحرمات وانعكاساتها ماثلٌ أمامنا.

ما هي آثار شرب الخمر؟ الخمر يُذهب العقل، فيتصرف الإنسان بطريقة غير عاقلة وغير متوازنة، قد يخطئ، أو يسيء، أو يتكلم بالكلام الفاحش، أو يرتكب المنكرات، أو يحرم عياله من العيش الطبيعي! كما يلجأ شارب الخمر إلى أجواء موبوءة من سنخيته: فيرتاد أماكن الرقص والغناء والخلاعة والإباحية، ويتواجد في أجواء الصحبة الفاسدة، ويقيم العلاقات الجنسية المحرمة، ويقصِّر في أداء واجباته...الخ. إن مضار الخمر كثيرة، فهي تضيع الأموال وتؤذي الصحة، ولا تُحصى أضرارها على بدن الإنسان، إضافة إلى أضرارها الروحية والنفسية. حرَّم الله الخمر لأضراره، على الرغم من وجود بعض المنافع فيه، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[1]، فالمنافع القليلة لا تمنع الأضرار الكبيرة. وفي القليل منها خطر توليد الرغبة بالكثير ثم الإدمان، ولذا شمل التحريم القليل والكثير، ففي الحديث الشريف: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، فَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُه فَقَلِيلُه حَرَامٌ**»[2]، ما يقطع الطريق على الانحراف والفساد.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢١٩.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٦، ص: ٤٠٨.

حرَّم الله تعالى الزنا، وقد اكتشف العلم أضراره الكثيرة ومنها: نقل مرض الإيدز، والأمراض التناسلية العديدة التي ينقلها الرجل أو تنقلها المرأة، وتدمير العلاقات الأسرية، فضلاً عن الآثار التربوية السيئة، وانتشار ظاهرة أولاد الزنا، وقد توصَّل العالم اليوم الى أخطار العلاقة خارج مؤسسة الزواج، وبدأ يروِّج لوحدة الشريك الزوجي، والامتناع عن العلاقات المفتوحة وغير المنضبطة. عن الإمام الرضا عليه السلام: «**حرم الله تعالى الزنا لما فيه من الفساد، من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجود الفساد**»[1].

أمَّا أداء حق الغريزة فمشروعٌ عبر الزواج، ولا حرمان منه.

وحرَّم الله تعالى الميسر، أي القمار، فالإنسان الذي يلعب القمار يفقد توازنه، وعند خسارته يدمر حياة منزله وأسرته، لأنَّه يأمل دائماً بالربح، ويفرِّط برزقه في غير محله، وهو لن يحصل إلَّا على رزقه المقسوم، فالتعجيل بالحرام لا يزيد رزقاً وإنما يُنقص من حلاله.

من المشاكل التي يواجهها مجتمعنا حبوب المخدرات، التي يروِّجها تجار بلا ضمير في صفوف الناشئة وتلامذة المدارس بأسعار بخسة، مستغلين سهولة تناولها، وآثارها في اللذة الآنية. يمكن للإنسان أن يروِّح عن نفسه بألعاب الكرة، أو السباحة، أو

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص: ٥٦٥.

تأمل الطبيعة والتنزه فيها . .الخ، بدلاً من تعاطي المخدر وارتكاب الحرام. يتعوَّد الإنسان على تعاطي المخدر مرة بعد مرة فيصبح لاهثاً وراءه، معطلاً لقدراته، غارقاً في المفاسد، فإياكم أن تقبلوا من أي شخص حبة بعنوان أنها تريح العقل أو تنشط أو تريح على المستوى النفسي، ولا أستبعد أن تكون إسرائيل والمفسدون العالميون وراءها، لأنهم يعلمون أن الصبي أو البنت إذا انجرفا بتناول المخدرات لا يبقى لهما مستقبل، ولا أسرة، ولا طموحات.

وحرَّم الله تعالى مقدمات الكبائر لأنها تفتح الباب إليها، فالتحريمُ حمايةٌ ووقايةٌ استباقية لتحصين الإنسان، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[(١)]، النظر المحرَّم يؤدي إلى حرامٍ أكبر، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، فمن أول الأمر انتبه إلى الضوابط التي تحميك.

٢- حلِّية الطيبات

أمرنا الله تعالى بالعبادات لتقوية إرادتنا وتسهيل مسارنا على طريق الخير والصلاح، أمرنا بالصلاة فقال: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[(٢)]. لمصلحتك

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

عليك أن تصلي فتقوي صلتك بالله تعالى، وتعزِّز الرقابة الإلهية لديك، وتقوي إرادتك، فإذا واجهت منكراً رفضته، وإذا واجهت منكراً آخر رفضته، إلى أن تجد نفسك رافضة لكل المنكرات، وذلك ببركة الصلاة التي زوَّدتك بالقوة التي تواجه بها المنكرات.

أحَلَّ الله الطيباتِ من الطعام على أنواعه المختلفة، ومنه النباتات والثمار المتنوعة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

ومن الطعام لحومُ الأنعام والطيور المحلَّلة شرط اتِّباع طريقة الذَّبح الشرعية، لفوائدَ أكيدة في تحديدِ الحيواناتِ المحلَّلة، وطريقةِ ذَبحها أو اصطيادها: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

ومنه لحومُ البحر التي سخَّرها الله تعالى للإنسان، وما في البحر من ثرواتٍ يستفيد منها، أو استخدام للتَّنقل من بلد الى آخر، وغيرها من الفوائد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

وأحَلَّ الله الزواج، ففيه تَلبيةٌ لرغبةِ الانسان الفطرية، والتناسل المرغوب للحصول على الولد، وهو من اللَّذات المحللة بشروطها المحدَّدة: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

وأحَلَّ الزينةَ بحدودٍ يمكن التعرف عليها من الأحكام الشرعية لكلٍّ من الرجال والنساء، وقد شجَّع القرآن على التَّزين عند الذهاب الى المسجد: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٣].

بل نهانا الاسلامُ عن تحريم الطيبات، فهي مشروعةٌ ومتاحةٌ لنا في هذه الحياة الدنيا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٤]. فالمحرَّم هو الخبائث التي تضر الإنسان على كل المستويات، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ

(١) سورة النحل، الآية: ١٤.
(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ﴾[1].

حرَّم الله تعالى المحرمات لأضرارها المادية والمعنوية على الإنسان، وأحلَّ الطيبات ففيها الخيرات والأنس والمصلحة والراحة والثواب. عندما يأمرنا الله تعالى بالأوامر وينهانا عن النواهي، فهو يوجهنا لمصلحتنا كعالِم خبير. فإذا أردت أن تكون صحتك جيدة، وعقلك نقياً، وروحيتك عالية، وتعيش أسعد حياة في هذه الدنيا من الناحية النفسية والمعنوية، فاسلك طريق الإسلام.

كل الأوامر الإلهية لمصلحتنا، وكل النواهي الإلهية لمصلحتنا، سواءً عرفنا مبررات وعلل الأوامر والنواهي أو لم نعرفها، فبعضها بيَّن الله لنا عللها كالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والخمر الذي إثمه أكبر من نفعه، لكنه لم يبيِّن لنا علل كل شيء، ولا حاجة إلى ذلك، إذ يكفي أن الأوامر من الله تعالى لنتبعها، فهي صادرة من عليم خبير.

٣- أوامرُ الله خيرٌ محض

لاحظ كيف تفاعل العظماء مع الأوامر الإلهية، فقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام، فهمَّ إبراهيم عليه السلام

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٣.

الى تنفيذه واثقاً من حكمة الله تعالى ومصلحته، فلم يسأل عن مبررات الأمر بالذبح وأخطاره، وإنما اهتم بأمر الله تعالى، : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[١].

انظر إلى العبرة: ذهب إبراهيم عليه السلام لينفذ أمر الله تعالى، وهو مقتنعٌ بأنَّه لا يأمرْ بأمرٍ إلَّا وفيه مصلحة، وأطاع إسماعيل عليه السلام أمر الله تعالى لأنَّه يعلم بأنَّه لا يأمرْ بأمرٍ إلَّا وفيه مصلحة، فلم يتوقف أي منهما عند صعوبة مشهد الذبح، وإنما لاحظا أمر الله تعالى، وقد تبيَّن أن الهدف من الأمر الالهي إبرازُ عظمة ومكانة كل منهما، واظهار استعدادهما لبذل كل شيء تنفيذاً لأمره.

في المقابل رفض إبليس أمر الله عزَّ وجل بالسجود لآدم، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[٢]، فلم ينظر إبليس إلى الأمر الإلهي، بل إلى التفصيل المرتبط بأنانيته وتكبره، وهذا خطأٌ قاتل، فالعبرة بتنفيذ السجود طاعة لله تعالى، بصرف النظر عن شكل وطبيعة الأمر. عن الإمام الصادق عليه السلام : «**أمر الله إبليس بالسجود لآدم، فقال إبليس: يا رب، وعزتك إنْ أعفيتني من السجود لآدم، لأعبدنَّك عبادةً ما**

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٠٢-١٠٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

عبَدَكَ أحدٌ قط مثلها. قال الله جل جلاله: إني أحبُّ أنْ أُطاع من حيث أُريد»[١].

مسؤوليتنا أن نربي أنفسنا وأهلينا على الأوامر والنواهي الإلهية، وهم يتحملون مسؤولية أعمالهم بعد ذلك، فعن أبي بصير في قول الله عزَّ وجل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾. سأل الإمام الصادق عليه السلام: «**كَيْفَ أَقِيهِمْ؟ قَالَ: تَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّه، وتَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّه، فَإِنْ أَطَاعُوكَ كُنْتَ قَدْ وَقَيْتَهُمْ، وإِنْ عَصَوْكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ**»[٢].

إنَّ طريقَ الصلاح مشفوعةٌ بعون الله تعالى، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ما أمر الله بشيء إلا وأعان عليه**»[٣]، فالله تعالى أمرنا بالصلوات الخمس في اليوم وأعاننا عليها بالهداية والأجر وسهولة أدائها، وأمرنا بالصيام وأعاننا عليه بتوفير الأجواء الإيمانية التي تصاحبه في شهر رمضان المبارك وتساعدنا عليه. وأمرنا بالقتال وهو خير لنا ووعدنا بالنصر: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[٤]، فلو لم نجاهد في سبيل الله تعالى، يبقى المستعمر في بلادنا، ويحتل الإسرائيلي أرضنا ويستعبدنا ويأخذ أموالنا وإمكاناتنا، فنصبح أذلة عنده. أما

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص: ٢٦٢.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٦٢.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٨١.
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢١٦.

عندما نجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا، فيستشهد منَّا بعض الأحبة، ويقع بيننا الجرحى، وتُدمَّر بعض البيوت، ولكننا نُخرج المحتل ونُحرِّر الأرض، ونملك قرارنا، ونرفع رؤوسنا ومعنوياتنا، فالنتيجة بالإيمان والطاعة أفضل من كل النتائج الأخرى المزيَّفة التي يتحدث عنها المحبَطون والمستسلمون.

يلخص أمير المؤمنين علي عليه السلام نتائج الطاعة بوصفه للمتقين أنَّهم: «**أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّه غَداً فِي آخِرَتِهِمْ**»[1]. فالمتقون رابحون لملذات الدنيا المحلَّلة، ومثابون عليها بجنة الله تعالى وعطاياه في الآخرة، أما الكافرون فخاسرون في الدنيا، يأكلون حرامها فينالون منه متاعاً قليلاً زائلاً، ثم يوم القيامة يحاسبون بأشد العذاب في جهنم.

غفر الله لنا ولكم، وجعلنا من الذين يلتزمون بأوامر الله تعالى ويمتنعون عن نواهيه.

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٨٣.

٣ - القضاء والقدر

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ (التوبة: ٥١).

المفتاح

بيدك العمل، ولكَ حدود، وكثيرٌ من الأمور خارجة عن سيطرتك، فاجتهد فيما بيدك، وتَقبَّل ما يُصيبك، تَكُنْ دائم الربح.

١- كتابة الله عِلمٌ

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾، ما الذي كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ؟ هل كَتَبَ على العباد ما أجبرهم عليه، فلا يتحمل العبد مسؤولية عمله؟ أم كَتَبَ ما سيعملونه؟ كَتَبَ الله تعالى بعض ما أراده، وكَتَبَ أعمال الناس ومستقبلهم، وكَتَبَ توزيع الناس يوم القيامة بين الجنة والنار. . . هذه الكتابة هي عِلْمٌ عند الله تعالى، الذي يعلم الأحداث قبل حصولها، فإذا كَتَبَها لعلمِه بها، فلا يعني أنه أمر بفعلها. ولتوضيح الصورة أكثر: كانت لديك معطياتٌ رجَّحت عندك أن ينجح فلان أو يرسب آخر في امتحاناته المدرسية، وعندما صدرت النتيجة، تبيَّنَ أنَّها مطابقةٌ لتوقعك، فإذا ما كتبت على ورقةٍ جانبية النتيجةَ المحتملة، فهل يعني أنك سببُ النجاح أو الرسوب؟ كلا. أمَّا الله تعالى، فلا يبني على التوقع، لأنه عالمٌ بكلِّ شيء قبل حدوثه وبعد حدوثه عِلْماً يقينياً، فإذا ما كَتَبَهُ فلا يعني تدخله في نتيجة العمل. فهو يعلم قبل أن يخلقَك ما ستكون عليه، ومقدارَ عمرك الذي حدَّده لك في هذه الدنيا، ومقدارَ رزقك الذي حدَّده لك، والأعمالَ التي ستقوم بها بإرادتك، فكَتَبَ عنده أنك ستجترح هذه الأعمال المحدَّدة خلال فترة حياتك، وكذلك حصيلة احتسابها في الآخرة.

الله تعالى هو العالِمُ المطلق، الذي يعلم الماضي والحاضر والمستقبل، كَتَبَ الإساءة لعِلمِه المسبق بأنك ستسيء، فإساءتك

مكتوبةٌ بسبب فعلك المستقبلي، وليست بسبب أمر الله تعالى بالإساءة، كما أن حسنَتَك مكتوبة لعِلم الله المسبق بأنك ستُحسن، فكتابتُهُ عِلمُه، وعِلمُه مطلق، يعلَمُ قبل حصول الأشياء ولا ينتظر حدوثها.

كَتَبَ الله تعالى قسمين من النتائج: قسمٌ أراده أن يكون ولا إرادة للإنسان فيه، وقسمٌ عمله الإنسان بإرادته ولم يتدخل الله فيه. أما الأول الذي أراده الله تعالى أن يكون، فتقديرُهُ للأَجَل والرزق والنِّعَم والبلاء وغيرها، وهو ما كتبه لإرادته وأمرِه به، فكتابتُه أمرٌ وعلمٌ به. وأمَّا الثاني فعمل الإنسان بإرادته، ومسؤوليته عنه، وقد كَتَبَه الله تعالى لعلمه به، ولا إرادة له فيه، فكتابتُه علمٌ به فقط. لا يُحاسب الإنسان على القسم الأول، ويحاسب على القسم الثاني. وبما أن القسم الأول لا إرادة للإنسان فيه، وهو حاصلٌ بتقدير الله تعالى، وهو نصيبه في هذه الدنيا، فليتوكل على الله تعالى ويتقبَّل النتائج، ويتعاطى معها بإيجابية، فيرتاح ويطمئن، ويتماهى مع الاستقامة التي اختارها لأعماله في القسم الثاني.

٢- القضاء والقدر

ما معنى القضاء؟ وما معنى القدر؟

القدر هو تقدير الشيء، ومقدار الشيء، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1]، فالقدر هو

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

المقادير التي وضعها الله تعالى، والقوانين التي تحكم هذه الحياة، والنظام الذي يسود الكون وما فيه. مثال على ذلك: تحرقُ النَّارُ اليدَ، لأنَّ الله تعالى قدَّر خاصية الإحراق للنار، ولا يحرقُ الماءُ اليدَ، لعدم وجود خاصية الإحراق في الماء، فخاصية كلٍّ منهما خاضع للتقدير والقانون الذي وضعه الله تعالى. خاصية الإنسان أن يسير ولا يطير، قانونٌ وضعه الله تعالى، هذا قَدَر، وخاصيةُ الطائر أن يطير بحسب ما قدَّر الله تعالى. فالمقادير هي القوانين، التي قررها الله تعالى، وهي النظام: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[1]، والفصول الأربعة تتحقق بتقدير الله تعالى، والشمس تشرق وتغرب وتسير في نظام كوني معين ضمن مجموعة شمسية، والأرض تدور حولها، والقمر يأخذ الإنارة منها، ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[2]، كلها قوانين وضعها الله تعالى. إذاً القدر هو ما قدَّره الله تعالى، وأنزله علينا، ونظَّمه لنا، ووضعه كقوانين.

أمَّا القضاء فهو حدوث الشيء، بعد توفر الظروف والعلل المختلفة، فعندما يحدثُ الأمرُ فهو قضاء، وقبل أن يحصل لا وجود له. مثالٌ على ذلك: اصطدم إنسانٌ بسيارة فأُصيب بكسرٍ أو جرحٍ، لأن من قوانين الاصطدام بأمر جامد حدوث الجرح أو الكسر، فالقضاء هو الاصطدام والجرح أو الكسر.

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٨.

(٢) سورة يونس، من الآية: ٥.

إذاً القضاء هو حدوث الشيء، بناءً على توفر العلّة التامة التي تؤدي إليه، والقدر هو القانون والتقدير والنظام الذي وضعه الله تعالى، وما قدَّره من نِعَم وبلاءات. فعندما تشرق الشمس يصبح شروقها قضاءً، أمَّا نظام الشروق فهو التقدير الذي قدَّره الله تعالى، وعندما يحدثُ الاصطدام والجرح فهو قضاء، أما نظام الاصطدام وتأثيره على الاشياء فقَدَر.

سُئل الإمام الرضا عليه السلام: **ما معنى قدَّر؟ فقال: «تقديرُ الشيء من طوله وعرضه»، فسُئل: فما معنى قضَى؟ قال: «إذا قضَى أمضَى، فذلك الذي لا مردَّ له»**[١]، أي إذا وقع القضاء لا إمكانية لإلغائه فقد حَدَث.

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام جالساً في المسجد في الكوفة، بعد أن انصرف من صفين إثر معركته مع معاوية، فجاءه شيخ وقال له: **«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَبِقَضَاءٍ مِنَ اللَّه وقَدَرٍ؟**

قال الأمير عليه السلام: «أَجَلْ يَا شَيْخُ، مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً ولَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّه وقَدَرٍ» فقال له الشيخ: عِنْدَ اللَّه أَحْتَسِبُ عَنَائِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ لَه عليه السلام: مَه يَا شَيْخُ، فَوَاللَّه لَقَدْ عَظَّمَ اللَّه الأَجْرَ فِي

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٣، ص: ٢٥٧٦.

مَسِيرِكُمْ وأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وفِي مَقَامِكُمْ وأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وفِي مُنْصَرَفِكُمْ وأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ، ولَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِكُمْ مُكْرَهِينَ ولَا إِلَيْه مُضْطَرِّينَ.

فَقَالَ لَه الشَّيْخُ: وكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالاتِنَا مُكْرَهِينَ ولَا إِلَيْه مُضْطَرِّينَ، وكَانَ بِالْقَضَاءِ والْقَدَرِ مَسِيرُنَا ومُنْقَلَبُنَا ومُنْصَرَفُنَا؟

فَقَالَ لَه عليه السلام: وتَظُنُّ أَنَّه كَانَ قَضَاءً حَتْماً وقَدَراً لَازِماً، إِنَّه لَوْ كَانَ كَذَلِكَ، لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ، والأَمْرُ والنَّهْيُ والزَّجْرُ مِنَ اللَّه، وسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ والْوَعِيدِ، فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ، ولَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ، ولَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ، ولَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ. تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، وخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ، وحِزْبِ الشَّيْطَانِ، وقَدَرِيَّةِ هَذِه الأُمَّةِ ومَجُوسِهَا»[1].

لا معنى لإثابة الإنسان على عمله، إذا كان مجبراً عليه ولا إرادة له فيه، ولا مبرِّر لمعاقبته في النار إذا كان ملزماً بالعمل، إنما يكون الثواب والعقاب مع وجود الإرادة. فقولُهُ لا يحصل شيء إلّا بقضاء الله تعالى وقدره يعني: عندما تقومُ بعملٍ بإرادتك يصبح قضاءً، فلم يلزمك أحدٌ على عملك، وأنت تتحمل مسؤوليته، هذا القضاء محكوم بالقوانين والنظام والقدر الذي قدَّره الله.

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ١٥٥.

يُروى عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**الْقَدَرُ هوَ الْهَنْدَسَةُ، ووَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ والْفَنَاءِ. والْقَضَاءُ هُوَ الإِبْرَامُ وإِقَامَةُ الْعَيْنِ**»[١]. عندما صمَّم الله لنا الحياة، ووضع لها الحدود في مقدار بقائنا وتوقيت فنائنا، فهذه هي الهندسة والمقادير واسمها القدر. أمَّا القضاء فحدوث الشيء، بأن يُبرم ويظهر بآثاره.

٣- الإنسان مخيَّرٌ ومسؤول

هل الإنسان مختارٌ في قضاء الله وقدره، أم لا؟

الإنسانُ مختارٌ في أعماله: أتيتَ إلى المسجد للصلاة بإرادتك، إذاً أنتَ مختار، وفلانٌ لم يحضر للصلاة فبإرادته، وهو مختار. أنتَ تأكل بإرادتك، وتختار عملك بإرادتك، وتعمل مع الجماعة بإرادتك... إذاً الإنسان مختارٌ في أعماله وتصرفاته، فلا يغصبه أحدٌ عليها، حلالاً كانت أم حراماً، حسنةً كانت أم سيئة.

نتابع جواب أمير المؤمنين علي عليه السلام للشيخ الذي سأله في الكوفة: «**إِنَّ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً، ونَهَى تَحْذِيراً، وأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً. ولَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، ولَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً. ولَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً، ولَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً. ولَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ عَبَثاً، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**»[٢].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ١٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص: ١٥٥.

نُبيِّن معنى التفويض في كلام الإمام الرضا عليه السلام: جاءه رجل وقال: «**اللَّه فَوَّضَ الأَمْرَ إِلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ الإمام عليه السلام: اللَّه أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ. فقال: فَجَبَرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ عليه السلام: اللَّه أَعْدَلُ وأَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّه، يَابنَ آدمَ أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، عَمِلْتَ الْمَعَاصِيَ بِقُوَّتِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ**»[1]، أي استخدمت ما قدَّره الله في إمكانية ارتكاب المعصية، التي تتحمَّل مسؤوليتها، لأنك اخترتَ هذه الطريق المنحرفة.

يختصر الإمام الجواد عليه السلام معنى القضاء بقوله عليه السلام: «**إذا نزل القضاء ضاق الفضاء**»[2]، فلا إمكانية للرجوع إلى الوراء. ويُبيِّن الإمام الصادق عليه السلام المجال الإجمالي للجبر والاختيار، بقوله: «**لا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ، ولَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ**»[3] لم يجبر الله تعالى الإنسان على أفعاله، ولم يفوِّض له كلَّ شيء، فمن الأمور التي أجبره الله تعالى عليها مثلاً: شكله وطوله وعرضه، ولونه الأسود أو الأبيض أو غير ذلك، وأن يكون ابناً لفلان، ومولوداً في البلد الفلاني..، هذه الأمور من الخَلْقِ التكويني لله تعالى، وجميع الناس مجبورون عليها. أما في العمل، فالإنسان مختار غير مجبر، ولكن لا تفويض له ليقوم بكلِّ ما يريده، بدليل وجود أمور لا يستطيع القيام بها. تابع صاحب الإمام الصادق عليه السلام سؤاله: ما أمرٌ

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ١٥٧.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص: ٣٦٤.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ١٦٠.

بين أمرين؟ فقال له عليه السلام: «**مَثَلُ ذَلِكَ، رَجُلٌ رَأَيْتَه عَلَى مَعْصِيَةٍ فَنَهَيْتَه فَلَمْ يَنْتَه، فَتَرَكْتَه، فَفَعَلَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ، فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَه كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَه بِالْمَعْصِيَةِ**»[1].

التقدير الإلهي بارز في الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2]، خلقك الله تعالى أيها الإنسان، وسوَّاك بشكل معين وقدَّر فيك بعض المواصفات، ثم هداك إلى الطريق المستقيم، فأرسل الأنبياء والرسل لتختار عن بيِّنة بين الحق والباطل.

وقال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[3]، فالله تعالى قدَّر أن تنطلق النطفة إلى البويضة بتقدير أن تكون أنثى أو ذكراً، وقدَّر أن يكون الانسان جميلاً أو قبيحاً، وقدَّر طوله أو قصره...، ثم يسَّر له طريقاً عبر الهداية.

وضَّح الإمام الصادق عليه السلام الفرق بين القضاء والقدر بقوله: «**ما استطعتَ أن تلوم العبد عليه فهو منه، وما لم تستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله**». فلا يُلام الشخص لطوله أو لونه أو جماله أو قبحه فهذا من خلق الله تعالى، ولكن يُلام على فعلٍ قام به كشرب الخمر أو الفسوق والعصيان لأوامر الله تعالى. ثم يتابع

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ١٦٠.
(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ و ٣.
(٣) سورة عبس، الآيتان: ١٩ و ٢٠.

الإمام الصادق عليه السلام: «**يقول الله تعالى للعبد: لِمَ عصيت، لِمَ فسقت، لِمَ شربت الخمر، لِمَ زنيت؟ فهذا فعل العبد، ولا يقول له: لِمَ مرضت، لِمَ قصرت، لِمَ ابيضضت، لِمَ اسوددت؟ لأنه من فعل الله تعالى**»[١].

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى المرات واقفاً إلى جانب حائط، فكاد هذا الحائط أن يسقط، فأزاح نفسه كي لا يسقط عليه، التفت أحد أصحاب الأمير وقال له: «**يا أميرَ المؤمنين أتفرُّ من قضاءِ الله ؟ فقال** عليه السلام: **أفرُّ من قضاءِ الله إلى قَدَرِ الله عزَّ وجل**»[٢]. قدَّر الله تعالى أن يُصاب الشخص الذي يسقط عليه الحائطُ المائل، وقدَّر أن يأمنَ من يقفُ خلف الحائط الثابت، فالقضاء سقوط الحائط، الذي لم يجرِ على الأمير عليه السلام، لأنه انتقل من جانب الحائط المائل إلى الحائط السوي.

عن النبي صلى الله عليه وآله: «**عجباً للمؤمن، لا يقضي الله عليه قضاءً إلَّا كان خيراً له، سرَّهُ أو ساءَه، إن ابتلاه كان كفارةً لذنبه، وإن أعطاه وأكرمه كان قد حَبَاه**»[٣]، فالمؤمن رابحٌ على كلِّ حال.

أيها المؤمن ابذل جهدك وتوكل على الله تعالى، فإنَّك رابحٌ على كلِّ حال، وهذا نموذجٌ عن الربح في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص: ٥٩.
(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٣٦٩.
(٣) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٤٨.

تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[1]، فالنصر ربح بالانتصار على العدوِّ، والشهادة ربح بمكافأة الجنة، أما الكافر فخاسرٌ على كلِّ حال، فإذا انتصر على المؤمنين كان آثماً وعليه الوزر، وإذا مات انتقل إلى جهنم.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

٤ - البلاء

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ (البقرة ٢١٤).

المفتاح

الدُّنيا دارُ بلاء، ولا مفرَّ من ابتلاءاتها، فابذُلْ جُهْدَكَ لتتخطَّاها مهما كانت صعبة، فتفوزَ فوزاً عظيماً.

تتحدث الآية المباركة عن البلاء في جانبه الشائع والمعروف، الذي فيه صعوبات وعقبات، وإن كان معنى البلاء أعمّ من ذلك فهو الامتحان والاختبار، وهذه الدنيا هي دار بلاء واختبار. يمكن أن يكون البلاء أو الاختبار حسناً، ويمكن أن يكون سيئاً، يمكن أن يكون نعمةً وسرَّاءَ، ويمكن أن يكون صعوبةً وضرَّاء.

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، هل تتصوَّرون دخول الجنة منحةً من دون استحقاق ومن دون امتحان أو اختبار؟ فالدنيا أنشأها الله تعالى كدارٍ للابتلاء والامتحان والاختبار، ينجح فيها أناسٌ ويفشل آخرون، يدخل الفائزون الجنة ويُحشر الخاسرون في النار.

وقد خضعت الأمم السابقة للتجارب والبلاء، ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾. ومنهم المؤمنون الذين واجهوا الصعوبات الكثيرة بسبب تمسكهم بدينهم وتعاليمه:

أولاً: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾، البأساء هي الشدة التي تُصيب الإنسان من خارج نفسه، كخسارة الأولاد أو الجاه أو الموقع الاجتماعي...، يعني الامتحانات من خارج نفس الإنسان وجسده..

ثانياً: ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾، من داخل بدن الإنسان، كالمرض أو العاهة أو الألم أو الجرح أو القلق أو التوتر...، فالمعاناة داخلية، جسدية ونفسية.

ثالثاً: ﴿وَزُلْزِلُوا﴾، الزلزلة تعني العثرة بعد العثرة، مصحوبة بارتجاجات سريعة جداً، تدل على كثرة الضغوطات التي تكون عليه.

﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾، أي مستهم تعقيدات ومشاكل وآلام خارجية، وداخلية، وبشكل متلاحق وسريع، لا يترك فسحة من الزمان إلَّا وفيها ابتلاء واختبار.

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، يعيش الرسول ﷺ والمؤمنون الاختبار القاسي والصعب والمعقد، فيلجؤون إلى الله تعالى، يسألونه عن الخلاص بالنصر، فيأتي الجواب الإلهي: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. اطمئنوا أيها المؤمنون، فمهما كانت الاختبارات، ومهما كانت الشدة والصعوبات، فإنَّ مع العُسر يُسراً، وما بعد الشِّدة إلَّا الفرج، وهذا ما حصل عندما نصر الله المؤمنين في غزوات كثيرة، ومنها غزوة الأحزاب التي اجتمع فيها القبائل والمعادون للإسلام، وأرادوا أن يهجموا هجمة رجلٍ واحد على هذه الثلة المؤمنة الطاهرة لمحقِ دين الله تعالى، فنصر الله تعالى المؤمنين، وأعلى كلمته: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

ذكر المفسرون أنَّ المنافق عبد الله بن أُبيّ كان يجول بين

---

(١) سورة التوبة، من الآية: ٤٠.

المسلمين ويقول: ألم تروا ما جرى معكم في معركة أُحُد، ليثنيهم عن المشاركة في معركة الأحزاب، فجاءت هذه الآية الكريمة لتؤكد: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1]، وبالفعل انتصر المسلمون بإذن الله تعالى.

بيَّنت الآية الكريمة أحد موارد البلاء الصعبة على المؤمنين، الذين نجحوا في تجاوزه بنصر الله تعالى لهم في غزوة الأحزاب، ولهذه النتيجة علاقة بفهمهم لمعنى البلاء، وكيفية تعاملهم معه ومواجهته، وهذا ما سنبيِّنه لنتمكن من الاستفادة الإيجابية في التعامل مع البلاء، من خلال نقاط عدة:

١- الدُّنيا دارُ بلاء

هكذا خلقها الله تعالى، فلا تستطيع أيها الإنسان أن تغيّر في هذا الأمر، ولن تمنع الحرب أو المرض أو الصعوبات... كما أنك لا تستطيع أن تمنع النِّعَم والخيرات والتوفيقات والرحمات الإلهية، فالبلاءات الحسنة أو السيئة، موجودة بإذن الله تعالى. كلُّ ما على الأرض زينة، والزينة مؤقتة وليست دائمة، فانتبهوا، بأن تمروا على هذه الزينة بالعمل الصالح ليوم الحساب: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾[2]، وقد هدى الله تعالى البشرية إلى حقيقة الدنيا، فأعلمهم أنه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢١٤.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٧.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[١]، وزرع في الإنسان فطرةً تهديه إلى كيفية التعامل معها، والتي يُقال عنها «النبي الداخلي»، وأرسل الأنبياء والرسل من عنده لتوجيه الناس وتبشيرهم وإنذارهم، فمن داخل النفس الإنسانية فطرةٌ وعقلٌ وضوابط للتمييز بين الحق والباطل، وبين الاستقامة والانحراف، ومن خارجها الأنبياء هداةٌ إلى طريق الحياة، على قاعدة أنَّ الدنيا دار بلاء فانية ومؤقتة فاعملوا فيها لتصلوا إلى الآخرة، وفيها تُجري الاختبارات والفتن لحساب نتائج الأعمال في يوم القيامة: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢].

لا تتعاملوا مع الدنيا كدار قرار وراحة، فالراحة لما بعد الموت، كانَ الصَّادق عليه السلام يدعو في آخر لَيلَةٍ مِن شَعبان وأوّل لَيلَة مِن رمضان: «**اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ عِنْدَ المَوْتِ، وَالعَفْوَ عِنْدَ الحِسابِ**»[٣]. فإذا بحثت عن الراحة في الدنيا فستذهب جهودك سدىً، وستتعب من دون فائدة، وستبني آمالاً غير واقعية بل مستحيلة، وهذا أمر طبيعي، لأن الدنيا مسرح عمل وتعب وجهد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ و ٣.
(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ و ٣.
(٣) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ص: ٢٨١.
(٤) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

فابحث كيف تستفيد من الإمكانات التي أعطاك الله تعالى إياها في الدنيا، وكيف تواجه الابتلاءات بصبر وحكمة كي تستثمرها رصيداً لآخرتك، فالراحة في الآخرة.

إذا عرفنا أن هذه الدنيا دار بلاء واختبار فستتغيَّر تصرفاتنا وأعمالنا وطريقة تفكيرنا، وستتأثر أهدافنا وآمالنا، فإذا أراد الإنسان الدنيا مكاناً للاستقرار فلا استقرار فيها، فهي جسر عبور، هكذا يجب أن نفكِّر بها ونعمل فيها، فنكون قد تعاملنا مع البلاء بموضوعية فنربح.

٢- البلاءُ خيرٌ وشرٌّ

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، فالابتلاء بالشرِّ والابتلاء بالخير، الاختبار بالشرِّ والاختبار بالخير. أمَّا الاختبار بالشر فنموذجه الصعوبات والتعقيدات والخسارة والألم والظلم. . .وأما الاختبار بالخير فنموذجه النعمة والولد والمنصب والمال. . . فلا تظن أن الابتلاء بالخير هو مصلحة كاملة لك، إنما يصبحُ مصلحةً إذا عرفت كيفية الاستفادة منه، والابتلاء بالشر ليس سلبياً بالنسبة لك إذا عرفت كيفية الاستفادة منه وتخطيت الامتحان.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

عَظِيمٌ﴾[1]، كيف يكون الأولاد فتنة؟ إذا أحسنت تربية ولدك فقد نجحتَ في هذه الفتنة وهذا الاختبار، وإذا أسأت تربية ولدك وأهملته ولم تهتم به، فأصبح فاسداً بتقصيرك، فقد فشلتَ في هذه الفتنة، وستُحاسب عند الله تعالى في يوم القيامة. أنت مسؤولٌ عن ولدك سواء أكنت والداً أم والدة، وذلك بتربيته تربية صحيحة، فلا تسايره عاطفياً اذا ارتكب أعمالاً سيئة. نحن نرتكب المحرم عندما نشجِّع أولادنا على الباطل، بينما علينا أن نمنعهم ولو اضطررنا إلى أن نقسو عليهم ضمن حدود معينة، من أجل تربيتهم بشكل صحيح. فالفتنةُ بلاءُ خيرٍ أو شر، تتبلور نتيجتها بالعمل الصالح، فتصبح خيراً لمصلحة الإنسان.

المال فتنة، إن صرفته في إطعام العيال وتعليمهم وكسوتهم فهذا الأمر جيد وخير، ولك المكافأة في يوم القيامة، لأنك صرفته في المحل الصحيح، ولكن إذا حصلت على المال وصرفته في المعاصي والأمور المنكرة والمحرمة، تكون قد ارتكبت حراماً! فهذا شرٌّ وعليه عقاب في يوم القيامة. فالمال فتنة واختبار، يقوده عملك إلى الخير أو الشر كنتيجة في الدنيا والآخرة.

أعطانا الله تعالى في هذه الدنيا ما يختبرنا فيه، أعطانا العقل والصحة والمال والولد وأعطانا نِعَماً لا تُحصى ولا تُعد، كلها في موقع الاختبار والفتنة، قال تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، ثم

(١) سورة التغابن، الآية: ١٥.

تكون النتيجة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾[1]، سريع العقاب لمن يستحق العقاب، وغفور رحيم لمن يستحق الرحمة والمغفرة. فالله تعالى قدَّر الأعمار والنعم والأرزاق والبلايا، وعلينا أن نستفيد من ابتلاء الفتنة لنحصل على النتيجة الصحيحة التي نربح من خلالها عند الله تعالى.

٣- كيف نتعاطى مع البلاء؟

ذكر الله تعالى في القرآن أنه سيبتلينا بكلِّ أنواع البلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2]، على أن يكون الحلُّ بالصبر على البلاء. فيتبيَّن أن الإنسان المؤمن إذا ابتلي بأشد الابتلاءات، فسلَّم بأن الأمور كلها بيد الله تعالى، وتعود إليه، إنا لله وإنا إليه راجعون، فتوكَّل على الله وصبر، عندها يُنزِل الله تعالى رحمته عليه، ويهديه إلى صلاحه، ما يؤدي إلى طمأنينته الدنيوية التي توصله إلى مرضاة الله تعالى في يوم القيامة.

عن رسول الله ﷺ: «**لا تكون مؤمناً حتى تعد البلاء نعمة والرخاء محنة، لأن بلاء الدنيا نعمة في الآخرة، ورخاء الدنيا**

---

(١) سورة الأنعام، من الآية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

محنة في الآخرة»[١]. إنَّ النِّعَم الدنيوية أصعب سؤالاً في يوم القيامة، فلنفترض أنك ابتليت ابتلاءً سلبياً بمرض أو جوع أو فقر ... فواجهت هذه الصعوبة وتخطيتها متوكلاً على الله تعالى، فقد نجحت في الامتحان. أما إذا أعطاك الله تعالى الصحة والمال والأولاد وغيرها من النعم، ففيها مغريات وملذات كثيرة، يتطلب ضبطُها إرادة وتصميماً، وهي مسؤولية أكبر من البلاء السلبي، بسبب الخيارات المفتوحة أمامك للاختيار.

قارن الإمام الحسين عليه السلام الموت بالحياة فقال: «**والله لا أرى الموت إلَّا سعادة والحياة مع الظالمين إلَّا برما**»[٢]. إن الموت في سبيل الله تعالى وفي سبيل الحق سعادة لا تُعوَّض، فالوقوف ضدَّ الظالمين ورفع راية الإسلام نجاحٌ في الاختبار مهما بلغت التكلفة، أمَّا التسليم للظالمين فهو ركونٌ إلى الدنيا الفانية، وفشلٌ في الاختبار مهما كانت المكاسب الزائلة.

علينا أن نتعامل مع البلاء بتوازن، فلا ننظر إليه أنه سلبي أو إيجابي، فالأمران سواء، وكلاهما اختبار وامتحان. يصف أمير المؤمنين علي عليه السلام المتقين في خطبة المتقين في نهج البلاغة: «**نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ، كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ**»[٣]،

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٤، ص: ٢٣٧.
(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص: ٣٠٥. المقتل لأبي مخنف، ص: ٨٦.
(٣) نهج البلاغة، ص: ٣٠٣.

فالمؤمنون يتفاعلون مع الاختبار على أساس طاعة الله تعالى، سواء أكان الاختبار بالنِّعَم أم بالنِّقَم.

ويقول تعالى في توجيهنا: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]، لا تعش المرارة ولا البهجة المبالغ فيها، سواء خسرت أو ربحت في حياتك الدنيا، واقبل النتائج بشكل طبيعي. أولئك الذين يتألمون كثيراً، ويفقدون السيطرة على مشاعرهم متعلقون بالدنيا، وتصدمهم خسارة النعم، فلا تتعلق بها. عن الإمام علي عليه السلام: «**يا كميل، قل عند كل شدة: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، تكفها**»[2]، فإنك عندما تقول يا رب: أنا لا حول لي ولا قوة، وما يجري أضعه بين يديك، فنجِّني كما تريد، وإذا أردت أن تجعل الامتحان مستمراً فقد سلمت أمري إليك، تطمئن أنك بين يدي الله، ومن كان مع الله تعالى يفزْ دائماً بإذنه.

٤- نتيجةُ البلاء إيجابية دائماً

المؤمن رابح دائماً بالابتلاء الإيجابي أو الابتلاء السلبي، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ناجى موسى بن عمران عليه السلام ربه: فقال له تعالى: يَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنِّي إِنَّمَا أَبْتَلِيه لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَه، وأُعَافِيه لِمَا هُوَ خَيْرٌ**

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٢) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ١٧٤.

لَه، وأَزْوِي عَنْه مَا هُوَ شَرٌّ لَه لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَه، وأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَلَيْه عَبْدِي. فَلْيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، ولْيَشْكُرْ نَعْمَائِي، ولْيَرْضَ بِقَضَائِي، أَكْتُبْه فِي الصِّدِّيقِينَ عِنْدِي، إِذَا عَمِلَ بِرِضَائِي، وأَطَاعَ أَمْرِي»[١]. فالله تعالى يحب عبده المؤمن، ولا يمكن أن يؤذي الحبيب حبيبه، إنما هو الاختبار للمكافأة.

عن الرضا عليه السلام: «رُفِعَ إلى رسول الله قوم في بعض غزواته، فقال: مَنِ الْقَوْمُ؟ فَقَالُوا: مُؤْمِنُونَ يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: ومَا بَلَغَ مِنْ إِيمَانِكُمْ؟ قَالُوا: الصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، والشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، والرِّضَا بِالْقَضَاءِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: حُلَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنَ الْفِقْه أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَصِفُونَ، فَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، ولَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، واتَّقُوا اللَّه الَّذِي إِلَيْه تُرْجَعُونَ»[٢].

من نتائج البلاء أنه يلفت نظر الإنسان ويوقظه، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إذا رَأيتَ اللهَ سُبحانَهُ يُتابِعُ عَلَيكَ البَلاءَ فَقَد أيقَظَكَ»[٣]، وقال: «إذا رَأيتَ اللهَ سُبحانَهُ يُتابِعُ عَلَيكَ النِّعَم مع المعَاصي فهوَ استدْرَاجٌ لَكَ»[٤]. فليس استمرار النِّعم مع المعاصي مكرمة أو مكافأة! بل استدراج كي يأتي يوم القيامة وقد أعطاه الله

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٦١.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص: ٤٨.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٣٥.
(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٥.

تعالى بدلاً عن حسناته في حياته الدنيوية، ولا شيء له في الآخرة، فيدخل إلى جهنم.

كلما كان بلاؤك أكبر، كانت مكانتك أكبر، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**على قدر البلاء يكون الجزاء**»[1]. لتقريب الفكرة: يخضع الطالب في المدرسة أو الجامعة إلى الامتحان الذي يتناسب مع مستوى صفِّه، فالاختبار في المراحل الجامعية الأخيرة هو الأصعب، لكنه متناسب مع المكانة التي سيحصل عليها الناجحون. وعن الصادق عليه السلام: «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ بِمَنْزِلَةِ كفَّةِ الْمِيزَانِ، كُلَّمَا زِيدَ فِي إِيمَانِه زِيدَ فِي بَلَائِه**»[2].

البلاءُ خيرٌ للمؤمن دائماً، فعن علي عليه السلام: «**إنَّ البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة**»[3]، ورب سائل: هل الأنبياء بحاجة إلى ابتلاء وهم المعصومون الذين سيدخلون إلى الجنة؟ بلاءُ الأنبياء له علاقة بدرجاتهم العالية عند الله تعالى، لذا هم الأشد بلاء بين البشر، ونبيُّنا محمد صلى الله عليه وآله كان الأكثر إيذاءً وبلاءً من الجميع، قال صلى الله عليه وآله: «**ما أُوذِيَ نبيٌّ مثل ما أُوذيت**»[4]، ففي مكة المكرمة كانت أم جميل تضع في طريقه الأشواك، وقالوا عنه ساحر ومجنون، وحاصروه في شعب أبي

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٣٢٧.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٢٥٤.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٤، ص: ٢٣٥.
(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص: ٤٢.

طالب ثلاث سنوات، وحاولوا اغتياله فأنجاه الله تعالى عندما بات أمير المؤمنين علي عليه السلام مكانه، وتحمل في المدينة المنورة عبء إقامة الدولة الإسلامية، ولم تتوقف الحروب ضدها خلال الأعوام العشرة التي أقام فيها، وواجه المنافقين . . . وهذا منسجم مع أعظم مقام لأعظم نبيٍّ في مواجهة أصعب الاختبارات في تاريخ البشرية، فالبلاءُ الأشد رحمة ومكانة لمن ينجح في تجاوزه.

حدثنا القرآن الكريم في سورة البروج عن أصحاب الأُخدود، وهم جماعة كانوا في زمن ذي نواس اليهودي، يؤمنون بالنصرانية على خلاف إيمانه، فحفر أُخدوداً في الأرض، وأمر بإشعاله حتى التهبت النار، وخيَّرهم بين العودة إلى اليهودية، أو البقاء على النصرانية والنزول في الأُخدود، فأصرّوا على إيمانهم، فرماهم في الحفرة مع أولادهم: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1]. ولكن الله تعالى سيعطيهم مقاماً عظيماً بسبب ثباتهم وتضحيتهم.

التحديات والصعوبات والظلم اختبارات، كلما ازدادت صعوبةً زادت المكانةِ عند الله تعالى، فنسأله جلَّ وعلا أن يزيد في مكانتنا عنده، وأن يجعلنا من الناجحين في بلاء الدنيا.

---

(١) سورة البروج، الآيات: ٤-٨.

٥ - الصبر

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (الكهف ٢٨).

المفتاح

قَوِّ إرادتك بالصبر، تواجه الابتلاءات بثبات، فتستثمرها نجاحاً ودرجات في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾، اصبر مع المؤمنين الطيبين الذين يدعون الله صباحاً ومساءً، وكُن معهم في مواجهة التحديات.

هؤلاء المؤمنون ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، يريدون التقيد بأوامر الله تعالى، والعمل بما يرضيه. والملاحظ هو الحديث عن الصبر مع الجماعة: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، لما له من أهمية خاصة، فالإنسان يتقوَّى بالجماعة في مواجهة التحديات، ويتقوَّى بهم لتعزيز استقامته في الحياة، ويتقوَّى بهم فينصرونه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يجب أن يكون الصبر سمة دائمة وخاصةً في سلوك الإنسان، بالتعاون مع الجماعة الصابرة، فإذا أخطأ بعضهم سدَّده الآخرون وأعانوه، فهم جماعة واحدة، لهم أهداف واحدة، وقضايا واحدة.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾، لا تتركهم وتنصرف إلى زينة الحياة الدنيا الفانية، فالصبر مع الجماعة المؤمنة منجاة، وفوائده أعظم بكثير من ملذات الحياة الدنيا.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، لا تطع الذين ابتعدوا عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وسلكوا المنهج المادي النفعي الآني، هؤلاء غافلون وبعيدون عن المنهج الإلهي، وهذا ما أوصلهم إلى المزالق والمهاوي، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾، وحصدوا الضياع والانحراف والخسارة والعقاب.

هذا التوجيه للنبي هو توجيهٌ لنا كمؤمنين، فالنبيﷺ لن يتبع الحياة الدنيا، ولن يطيع الغافلين عن ذكر الله، ولن يكون في الاتجاه الآخر، فهو مع المؤمنين الصادقين، في مواجهة المتكبرين المتجبرين الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا يطيعونه، فالتوجيهُ بالصبر محورُ القوة التي يتأسس عليها نجاح المؤمنين في الامتحان، مع الجماعة المؤمنة في طاعة الله تعالى، وفي مواجهة الذين يتبعون أهواءهم والانحراف والتحديات.

الصبر هو الدعامة الأساسية لمواجهة مغريات وزينة الحياة الدنيا، ومواجهة هوى النفس وأحابيل الشيطان ووسوساته، ومواجهة الظلمة الذين يملكون السلطة والمراكز والمناصب، ومواجهة الأعمال المنكرة والمعاصي. الصبر يعطيك قوة إضافية، والقدرة على الصمود والفوز، ويزداد قوة وثباتاً مع الجماعة، فمع الصبر والجماعة تكون أقوى وأفضل، فتحقق الفوز.

١- ماهية الصبر

سأل النبيﷺ جبرائيل عليه السلام: «**يا جبرئيل! فما تفسيرُ الصبر؟ قال: تصبرُ في الضَّراء كما تصبرُ في السرَّاء، وفي الفاقة كما تصبرُ في الغنى، وفي البلاء كما تصبرُ في العافية، فلا يشكو حالَهُ عند المخلوق بما يُصيبُه من البلاء**»[1].

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص: ١٩٤.

الصبر أن تصبر على ضرر المصيبة أو البلاء الذي نزل بك، كما تصبر عند الفرح، فلا يُخرجك فرحك عن طاعة الله تعالى، ولا تغتر به أو تنجذب إليه. الضرَّاء بحاجة إلى صبر، والسرَّاء بحاجة إلى صبر، وسواء حَدَثَ ما يُحزنك أو حَدَثَ ما يُسرك، ابقَ متوازناً وصابراً على كل حال، وتعامل مع السرَّاء والضراء بالتساوي، فلا تغيِّر حالك وتماسكك، واعمل على هذا الأمر بتربيةِ نفسك وتدريبها وتهذيبها لتتحكم بانفعالاتك وخياراتك.

تصبر في الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، ولا تشكو إلَّا لله تعالى، لأنَّ الشكوى للمخلوقين مذلَّة، فهم عاجزون عن تغيير قضاء الله وقدره، وليس بيدهم حيلة ولا حلّ، فالشكوى إليهم بلا نفع، بل قد تسبِّب لك أضراراً كثيرة، خاصة إذا ما زادوك شكوًى ويأساً ومرارةً وضعفاً. والأخطر أن تعبِّر الشكوى عن الاعتراض على الله تعالى! اصبر وتحمَّل يأتك الفرج ولو بعد حين.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«والصَّبْرُ فِي الأُمُورِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا فَارَقَ الرَّأْسُ الْجَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ، وإِذَا فَارَقَ الصَّبْرُ الأُمُورَ فَسَدَتِ الأُمُورُ»**[١]، فكما أنَّ الرأس يدير الجسد، فالصبر يوجِّه حياة الإنسان نحو التحمل والتعايش مع الأزمات، والعمل لتجاوزها، وإلَّا فلن يرى شيئاً جميلاً في هذه

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٩٠.

الحياة الدنيا، ويعيش اليأس والإحباط والمرارة والألم، فمع الصبر تختلف نظرته الى الحياة.

وعن رسول الله ﷺ: «**الإيمان نصفان: نصفٌ في الصبر، ونصفٌ في الشكر**»[1]، أمَّا الصبر فيساعد على تجاوز العقبات، وأمَّا الشكر فيربط بمصدر العطاء والنعم، ويؤدي التكامل بين الصبر والشكر الى حالة من السكينة والتسليم داخل النفس الإنسانية.

وعن رسول الله ﷺ: «**الصبر رضا**»[2]، بما قسم الله تعالى لك وبما ابتلاك، فترضى إن أعطاك مالاً كثيراً، وترضى إن حرمك، ترضى إن ابتلاك بصحتك، وترضى إن سلَّمك، ترضى بما قسم الله تعالى لك، إذ لا قدرة لك على تغيير القضاء، ولكن يمكنك أن تدعو الله تعالى وتسأله دفع البلاء، وقضاء الحاجة، وسعة الرزق، والصحة والأمن، والعون في الملمات، مسلِّماً لما قضى وقدَّر.

٢- أقسام الصبر

قال رسول الله ﷺ: «**الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ**»[3].

---

(١) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٤٨.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص: ٢٧١.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٩١.

الصبر عند المصيبة: المصيبة خسارةٌ وألمٌ ومرارةٌ وصعوبةٌ، تتطلب صبراً لتحمل تبعاتها.

والصبر على الطاعة: الطاعة تتطلب إرادةً وجهداً للقيام بها، فالالتزام بالصلاة بشكل صحيح، وخصوصاً إقامة صلاة الصبح في الطقس البارد، والعبادات بشكل عام، بحاجة إلى صبر، وإعطاءُ حقوق الناس بأداء الدّين في وقته مع أثر ذلك على رأسمال تجارتك، والاعتراف بحق الآخر في مشكلة واجهتك مع ضررها عليك. . .بذلٌ يحتاج إلى صبر، وتربيةُ أولادك تربية صالحة وما يكتنفها من صعوبات بحاجة إلى صبر، وتنفيذ أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه يتطلب إرادة للالتزام بها وتحتاج إلى صبر.

والصبر عن المعصية: المعصية جذابة، فزينة الحياة الدنيا جذابة، والإغراءات الموجودة فيها جذابة، عليك أن تمتنع عنها. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[1]، بإبعاد أنظارهم عن المشهد المغري المحرم، وهو ما يتطلب صبراً، وهكذا في المعاصي التي تعرضُ أمام الإنسان، **فالصبر يساعد على مواجهتها ورفضها مع كلٍّ ما تحمله من جاذبية ولذة وهوًى.**

لنا قدوة حسنة في النبي أيوب عليه السلام في حجم المصائب التي انصبَّت عليه، فقد أُصيب بمرضٍ معدٍ، أبعَدَ أهل البلدة عنه خوفاً

---

(١) سورة النور، من الآية: ٣٠.

من العدوى، ومات كل أولاده بهذا المرض، كما ماتت زوجته، فأصبح معزولاً ومنبوذاً من المجتمع، وبالرغم من كل الآلام والمعاناة التي مرَّ بها، نادى ربه نداءً متألماً طالباً منه أن يعينه، ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[1]، لقد صبر أيوب عليه السلام على المصيبة الكبيرة والقاسية حتى أصبح صبر أيوب مثلاً.

ولنا قدوة حسنة في آل ياسر، فقد عُذِّبوا ليعدلوا عن الإسلام، وهم فقراء لا شأنية لهم تحميهم في المجتمع، فهدَّدهم الكفار بين ترك الدين والحياة الهنيئة، وبين التمسك به والتعذيب والإيذاء، فاختاروا الصبر على الطاعة، وقد أيدهم رسول الله ﷺ في موقفهم وقال لهم: «**صبراً آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنَّة**»[2]، فكانت النتيجة القتل في سبيل الله تعالى، وكانت سُميَّة أول شهيدة في الإسلام.

ولنا قدوة حسنة في النبي يوسف عليه السلام في صبره عن المعصية، فقد جاءته امرأة العزيز تعرض نفسها عليه، مُستخدمة سلطتها وفنون إغرائها، مراودةً إياه عن نفسها لارتكاب الحرام، وهي قادرة على حمايته من العزيز، ثم جمعت النسوة وأدخلته عليهن لإثبات أحقية رغبتها، لكنَّه أمام معصية كبيرة، تتطلب صبراً كبيراً،

---

(١) سورة ص، الآية: ٤١.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص: ٢١١.

دعا ربَّه مؤثِراً معاناة السجن على الانجراف في المعصية: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[١].

٣- الصبرُ اختبار

الصبر مفتاح الإدارة الصحيحة لحياة المؤمن، وهو رأس الإيمان، كما قال الإمام الصادقعليه السلام: «**رأسُ الإيمان الصبر**»[٢]، على أن لا نكتفي بالصبر العادي، بل نطوِّره ليكون صبراً جميلاً، ففي جواب الإمام الباقرعليه السلام عن الصَّبْرِ الْجَمِيل: «**ذَلِكَ صَبْرٌ لَيْسَ فِيه شَكْوَى إِلَى النَّاسِ**»[٣]، فالناس لا يملكون شيئاً، وليسوا مصدر النعم أو البلاء، فاللجوء إليهم بالشكوى وإظهار الألم والمرارة أمامهم، لن يغير شيئاً من الواقع، بل قد يكون المرء ذليلاً أمامهم في لحظات ضعفه، وإذا أبرز أمامهم أليم مصابه واعتراضه ويأسه فلن يزداد إلَّا ألماً ومرارة، ولذا يقتضي الصبر الجميل والشكوى لله بالطلب والدعاء ما يساعد على رفع اليأس والإحباط. وقد دعا الله تعالى رسوله الى الصبر الجميل، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾[٤]. فيوم القيامة ليس بعيداً، ولك فيه المقام العظيم.

---

(١) سورة يوسف، من الآية: ٣٣.
(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٦٣.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٩٣.
(٤) سورة المعارج، الآيات: ٥-٧.

الصبر بوابة النجاح في مواجهة التحديات، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**وَلَكِنَّ اللَّه يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِه، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِه، وأَسْبَاباً ذُلُلا لِعَفْوِه**»[١]، فالبلاءات طريقٌ يوصل إلى التوفيق والفضل والمراتب العليا، وإلى جنة الله تعالى في نهاية المطاف. البلاءات جزءٌ من الاختبار الدنيوي، ومسارٌ لتقويم الاعوجاج والانحراف، وإيقاظٌ من الغفلة والضلال، وفرزٌ للناس ليعلم الله الصادقين من الكاذبين، ولولا البلاء لأصاب الكبرياء جميع الناس. أغلب الذين توفرت لهم السلطة والمال أصابهم الكبرياء وعاثوا في الأرض فساداً، وإبليس الذي توفَّر له الفهم والوعي والعبادة فأصبح طاووساً للملائكة أصابه الكبرياء، فلم يسجد تلبية لأمر الله تعالى لآدم عليه السلام، فانكشفت حقيقته، ولا كاشف للحقائق إلَّا البلاء، ولا مُعين عليه إلَّا الصبر.

٤- مسارُ الصابرين

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في صفة المتقين: «**صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً**»[٢]، كم يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا؟ وكم سيكون حجم ابتلاءاته؟ فلو كانت كلُّ حياته اختبارات

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٠٤.

وابتلاءات، فهي أيامٌ قليلة بمقياس الخلود في الجنة، «**بما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[(١)]، كما قال رسول الله ﷺ، فاصبر عدة من الأيام، تحصل على العطاء الإلهي الكبير، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[(٢)].

سُئل الإمام الباقر عليه السلام: ما هي أفضل الأخلاق؟ فقال عليه السلام: «**الصبر والسماحة**»[(٣)]، فالصابر لديه درجة عالية من الأخلاق، ويملك السماحة في التصرف مع الآخرين، ويعفو، ويسامح، ولا يستعظم الأمور الصغيرة، فمن ملك الصبر والسماحة ملك الأخلاق العظيمة.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**رَحِمَ اللّه امْرَأً ... جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِه**»[(٤)].

٥- نتائجُ الصبر

نتائج الصبر دنيوية وأخروية. من النتائج الدنيوية التي نحصل عليها جراء الصبر: صرفُ كيد الأعداء: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[(٥)]، وإفشال مخططاتهم، فإذا صبرتم فإنَّ

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٤، ص: ٣٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٣) الخزاز القمي، كفاية الأثر، ص: ٢٥١.
(٤) نهج البلاغة، ص: ١٠٣.
(٥) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٠.

مخططاتهم لا تضركم، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[1]، فالله تعالى يقف لهم بالمرصاد، وبهذا الصمود والصبر تستطيعون تحقيق الإنجازات العظيمة، وتنتصرون على أعدائكم.

وتأييد الله للصابرين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، فإذا أردت أن يكون الله تعالى معك دائماً، يُعينك ويُسدّدك ويفتح الطريق أمامك، فكن صابراً.

ورفع الضرر والعسر عن المؤمنين ولو بعد حين، فعن الرسول ﷺ: «**إنَّ النَّصرَ مع الصَّبر، والفَرجَ مع الكَرْب، وإنَّ مع العُسرِ يُسراً**»[3].

ومن النتائج الأخروية الفوز بالجنة: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4]، فلا يدخل الجنة إلّا الصابرون، فهؤلاء ذوو حظٍّ عظيم لحصولهم على جنة الله تعالى ورضوانه.

ومن النتائج الأخروية أيضاً: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[5]، ففي يوم

---

(١) سورة الطارق، الآيتان: ١٥-١٦.
(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٤٦.
(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص: ٥٣٦.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٥.
(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.

الجزاء يعطيك الله تعالى الأحسن بسبب الصبر، فتأخذ عن كلّ عمل من أعمالك نتيجة أحسن الأعمال، وعن الصلاة نتيجة أفضل الصلوات، وعن الصوم نتيجة أفضل الصيام، وهكذا يعطيك الله تعالى عن الابتلاءات بثواب أعظمها وأفضلها، بل ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١]، فلا حدود للربح معه جلّ وعلا.

إنَّ الصبر سبيل المكانة العظيمة في الآخرة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام: أنَّ خلادة بنت أوس بشّرها بالجنة، وأعلِمها أنها قرينتك في الجنة. فانطلق إليها فقرع الباب عليها، فخرجتْ وقالتْ: هل نزَلَ فيَّ شيء؟ قال: نعم، قالت: وما هو؟ قال: إنَّ الله تعالى أوحى إليَّ وأخبرني أنَّك قرينتي في الجنة، وأنْ أُبشرك بالجنة. قالت: أوَ يكونُ اسمٌ وافَقَ اسمي؟! قال: إنَّك لأنت هي! قالتْ: يا نبي الله ما أُكَذِّبُكَ، ولا والله ما أعرفُ من نفسي ما وصفتني به. قال داوود عليه السلام: أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو؟ قالت: أما هذا فسأخبرك به، أُخبرك أنه لم يصبني وجعٌ قط نزل بي كائناً ما كان، ولا نزَلَ بي ضرٌّ وحاجة وجوع كائناً ما كان، إلَّا صبرتُ عليه، ولم أسأل الله كشفه عني حتى يحوّله الله عني إلى العافية والسعة، ولم أطلب بدلاً، وشكرتُ الله عليها وحمدته. فقال داوود عليه السلام: فبهذا بَلَغتِ ما**

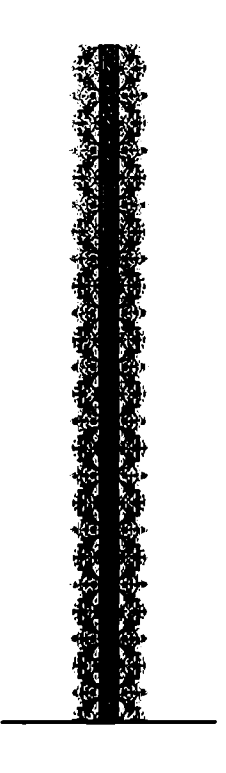
(١) سورة النور، من الآية: ٣٨.

بَلَغتِ. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وهذا دينُ الله الذي ارتضاه للصالحين»[١].

مقام الصبر عظيم، في الدنيا والآخرة، فإنجازاته لمصلحة الصابرين في الدنيا كبيرة، حيث يعيشون السعادة والطمأنينة رغم كلّ الصعوبات والعقبات، ثم ينالون جزاءهم الأوفى في جنة الخلد يوم القيامة.

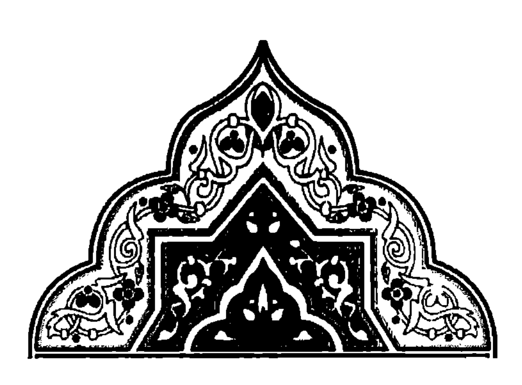
---

(١) الراوندي، قصص الأنبياء، ص: ٢٠٩.



الفصل الرابع

الآخرة دار قرار



١ - الأجل

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر ٤٢).

المفتاح

الأَجَلُ بيد الله تعالى، فلن تموت قبل أوانك، ولن تستطيع أن تُطيل عمرك مهما فعلت، فأدِّ تكليفك وأنتَ مطمئن، ولا تَخْشَ شيئاً.

الأَجَلُ أي وقت الموت من الموضوعات المهمة جداً في حياة الإنسان، لأنه إذا علم معنى الموت، وكيفية حدوثه؟ وهل يمكن تجنبه أم لا؟ وماذا يترتب على حتمية الأَجَل المسمى؟ يفهم دوره وقدرته في هذه الحياة، فيُحسن التعامل معها.

نبدأ بتعريف ثلاثة ألفاظ تُساعدنا على فهم المطلوب:

الأول: الجسدُ مادةٌ جامدة لا تتحرك إلَّا إذا دخلت فيها الروح، فالجسد لا يتحرك بلا روح، وعندما يموت الإنسان، تغادرُ روحُه جسدَه، فالجسد قالبٌ تحركه الروح.

الثاني: الروح محركة الجسد، قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[1]، بثَّ الروح في الجسد المادي، فبدأت الحياة ومعها الحركة والأفعال بواسطة الجسد الحي.

الثالث: النفسُ هي الروحُ الحاملة لأعمال الإنسان، عندما تدخلُ الروحُ الجسدَ تدبُّ الحياة في الإنسان، فيتحرك ويعمل، فإذا جاء وقت الموت تغادر الروح الجسد، ولكنها تغادره وهي مصحوبة بالأعمال التي قام بها الإنسان فهي النفس.

فالنفس هي الروح التي حملت معها أعمال الإنسان، والروح هي التي تدخل إلى الجسد لتعطيه الحياة، والجسد هو المادة التي لا تتحرك إلَّا إذا دخلت فيها الروح.

---

(١) سورة التحريم، من الآية: ١٢.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾، فالله تعالى يتوفى الأنفس فيأخذها إليه حين موتها، وكذلك يتوفاها حين منامها فيأخذها إليه، فإذا قضى الله أن يموت الإنسان، تبقى النفس عند الله تعالى أي يمسكها بالموت، ولا تعود الروح إلى الجسد. وإذا لم يقضِ أن يموت الإنسان، تعود النفس إلى الجسد، فتدبُّ الحياة فيه مجدداً باستيقاظه من النوم، إلى أن يحين وقت أجَله. وهذا معنى قوله جلَّ وعلا: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، والأَجَلُ المسمى هو الوقت الذي سماه الله تعالى وحدَّده لموت الإنسان.

فالله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها، ويتوفى الأنفس حين منامها، فيقبض النفس التي تقرر موتها، ويرسل التي لم يقرر موتها، فتعود إلى الجسد إلى أجلٍ مسمى يقضي الله تعالى فيه بالموت، إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. فكِّروا أيها الناس، فكِّروا بعظمة الخالق، وأنَّ كل شيء بيد الله تعالى، وأنَّكم ستعودون إلى خالقكم ليحاسبكم في يوم القيامة، فكِّروا أنَّكم مخلوقون لا تملكون شيئاً، ولا تتحكَّمون بأي شيء، ولا تعرفون ما يجري أثناء نومكم عدة ساعات إلى أن تعود النفس إلى الجسد. لا تعلمون متى تغادر النفس الجسد فلا تعود! ولا تقدرون على منعها من الخروج من الجسد! أيها الناس: أنتم عاجزون أمام الموت الذي سيصيبكم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ

ٱلْمَوْتِۗ﴾[١]، وهو بيد الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ﴾[٢].

يقول إمامنا أبو جعفر عليه السلام: **«ما من أحدٍ ينام إلَّا عرجتْ نفسُهُ إلى السماء، وبقيتْ روحُهُ في بدنه، وصار بينهما سببٌ كشعاع الشمس. فإن أَذِنَ الله في قبضِ الأرواح، أجابت الروحُ النفسَ. وإذا أَذِنَ الله في ردِّ الروح، أجابتْ النفسُ والروحُ، وهو قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٣]**، فالروح التي تبقى في الجسد أثناء النوم لا تعبِّر عن النفس وإنما عن استمرار الحياة، وعندما يأذن الله بالإمساك بالنفس تستجيب الروح التي بقيت في الجسد فتخرج منه، وإلَّا تعود النفس بعد النوم إلى الجسد لتبث فيه الحياة العملية مجدداً.

يوجد وجه شبه بين النوم والموت بانعدام القدرة على الفعل، فعندما نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٤]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا بني عبد المطلب: إنَّ الرائد لا يكذب أهله، والذي بعثني بالحق نبياً، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا جنة أو نار»**[٥]. فالفرق بينهما:

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٨٥.
(٢) سورة النساء، من الآية: ٧٨.
(٣) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٨، ص: ٢٧.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
(٥) الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص: ٦٤.

أن العودة بعد النوم إلى الحياة الدنيا للمزيد من العمل، وأما العودة بعد الموت فإلى يوم القيامة للحساب على عمل الدنيا.

١- الأَجَلُ محتوم

الأَجَلُ بيد الله تعالى، لا يعرف الإنسان وقته، فإذا حان وقته لا إمكانية لدفعه، قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[2]. لكل واحدٍ من الناس أَجَلٌ معلومٌ مسمى ومحدَّد عند الله تعالى، لا يتقدَّم موعده ولا يتأخر. فلو كان في اللوح المحفوظ عند الله تعالى أنك ستموت بعمر الخمسين سنة، لن تستطيع أن تقرِّب أَجَلَك ولو اجتمعت الدنيا لهذا الهدف، ولن يستطيع علماء الدنيا وأطباؤها أن يؤخروا أَجَلَك عن الخمسين ثانيةً واحدة. لذلك يكرر الأطباء قولهم بعد سعيهم لمعالجة مريض وعجزهم عن شفائه: الأعمار بيد الله تعالى، فالأَجَلُ المقرَّر بيد الله تعالى. يسعى البعض لدفع الموت عنهم باستقدام الأطباء، والذهاب إلى أفضل المستشفيات في العالم، ولكن لا قدرة للعلم على معرفة الأَجَل أو دفعه، فقد تصيبه جلطة قلبية أو سكتة قلبية أو أي أمر مفاجئ إذا ما جاء الأَجَلُ، فالأعمار بيد الله تعالى. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ١١.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٣٤.

يرغب بعض بمعاقبة المفسدين والظالمين والكافرين مباشرة في الدنيا، بإنهاء حياتهم عند ارتكابهم للمنكرات، لكنْ فاتهم بأنَّ الدنيا مسرحٌ للعمل وليس للحساب، وأنَّ الأَجَل مقدَّر من عند الله تعالى، بصرف النظر عن الإيمان أو الكفر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]، فإذا ربطنا استمرار الحياة الدنيا بالصلاح، فإن ذلك يُنهيها بسرعة كبيرة بسبب فساد الأعمال البشرية فيها.

إذاً ما هو الأَجَلُ المحتوم، والأَجَلُ المخروم، وما هو الفرق بينهما؟

إنسانٌ ينتحر، فيقول الناس لو لم ينتحر لعاش أكثر، فالأَجَلُ مخروم، أنه مات قبل أَجَلِه المحتوم بحسب ظاهر وجهة نظرهم! والحقيقة أنَّ الأَجَلَ محتومٌ دائماً، وهو مسمّى في علم الله تعالى، ولكنَّ توقعنا باحتمال طول عمره لولا الانتحار، أو طول عمره لولا حادث السير أو التعثُّر على الدرج، يجعلنا نتصور بأنَّه مات قبل أَجَلِهِ، وهو ما يُسمى بالأَجَلِ المخروم، الذي لا يغيّر شيئاً من واقع الأَجَل المحتوم المسمى في اللوح المحفوظ. وفي علم الله تعالى أنَّ فلاناً سيموت بأَجَلِه في حادث السير أو الانتحار أو التعثر.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦١.

٢- كفى بالأَجَلِ حارساً

لنحسم مسألة أساسية، بأنَّ الأَجَلَ المسمى بيد الله تعالى، لا يتقدم ولا يتأخر. ماذا ينفعنا إذا عرفنا بأنَّ الأَجَلَ محتوم؟ أهم فائدة أن لا يشغل الموت الإنسان بالوسوسة والخوف والحرص، وأن لا ينصَبَّ هدفه لمنع الموت عنه بالمبالغة في العناية بصحته، أو الابتعاد عن مواقع الجهاد خشية الخطر، أو باتخاذه المواقف المتخاذلة خشية الموت! فالموت حتمي في وقته المحدد، كائناً ما كانت مواقف الإنسان وتصرفاته في حياته. يجب أن تقوم بتكليفك وواجبك بشكل صحيح، فهذه الأمور لا تميتك، هل تعتقد أنَّ المجاهدين قتلوا واستشهدوا لأنهم ذهبوا للجهاد في سبيل الله؟! لا، إنما استشهدوا لأنَّ أجَلَهم حان في هذه اللحظة التي قتلوا فيها، ولذا بعض المجاهدين الذين شاركوا بعدد كبير من العمليات الجهادية ضد إسرائيل منذ سنة ١٩٨٢ وحتى الآن، لا زالوا أحياءً، لأنَّ أجَلَهم لم يحن وقته، بينما ذهب بعضهم إلى الجهاد فاستشهد من أول معركة لأن أجَلَه قد حان، وبعض الناس اختبؤوا في الملاجئ والمخابئ أو انتقلوا الى أمكنة أخرى حذر الموت، ولكنهم ماتوا لأن آجالهم قد حانت.

أرادت أمٌّ أن تحمي ولدها أثناء الحرب اللبنانية، فقررت أن تسفرِّه خارج لبنان، استقل الطائرة، وبعد خمس دقائق أُذيع خبر سقوطها فمات ابنها، لقد حان أجَلُهُ فلا يمكن حمايته. وفي حادثة

أخرى مشهورة عن سقوط طائرة كوتونو بُعيد إقلاعها من المطار، فمات من كان على متنها، لكن شاباً منعته أمه من السفر، فلم يستقل الطائرة، فبقي على قيد الحياة، إذ لم يحن أَجَلُه. فالذين ماتوا أصيبوا بأجلهم، والذي بقي على قيد الحياة لم يحن أَجَلُه بعد.

عندما يعرف الإنسان أن أَجَلَه بيد الله تعالى يرتاح ويطمئن، فلا ترتبط أعماله باحتمال الموت أو عدمه، بل يقوم بتكليفه، ويبتعد عن أماكن الخطر، ويحمي نفسه بشكل طبيعي، فلا يرمي بنفسه إلى التهلكة. لا يمنعُ القيامُ بالتكليف الموتَ، بل قد ينتهي إلى الموت، فقُم بتكليفك وقناعتك مهما كانت الصعوبات، إذا قدَّرت مسؤوليتك في ذلك، والباقي بيد الله تعالى. لا تحمِّل نفسك مسؤولية الموت، طالما أنَّك قمت بما عليك بحسب تقديرك لواجبك.

من الكلمات الرائعة للإمام علي عليه السلام وكل كلامه رائع يقول: «**كَفَى بِالأَجَلِ حَارِساً**»[1]، يحرسُك أَجَلُك، فلو اجتمعت الدنيا عليك ولم يحن أَجَلُك لن تموت، ولو جئت بكل الحرس والحماية في العالم ليحموك من أَجَلِك فلن يحولوا بينك وبين الموت.

عن سعيد بن وهب، أحد الذين كانوا مع أمير المؤمنين

(١) نهج البلاغة، ص: ٥٢٩.

علي عليه السلام: «كنا مع سعيد بن قيس بصفين ليلاً، والصفان ينظر كل واحد منهما إلى صاحبه (لم تبدأ المعركة بعد)، حتى جاء أمير المؤمنين علي عليه السلام فنزلنا على فنائه، فقال له سعيد بن قيس: أفي هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ أما خفتَ شيئاً؟ قال عليه السلام: وأي شيءٍ أخاف؟ إنَّه ليس من أحدٍ إلَّا ومعه ملكان موكلان به أن يقعَ في بئر، أو تضربه دابة، أو يتردَّى من جبل، حتى يأتيه القَدَر، فإذا أتى القَدَر خلُّوا بينَه وبينَه»[1]، فالملائكة تحفظ بالأجَلِ، فتكون نجاة الإنسان من الحوادث بسببه، وإنما تقع عليه فتقتله حين الأجَل.

٣- الأَجَلُ مصلحةٌ للمؤمن

الأَجَلُ لمصلحة المؤمن، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«موت الأبرار راحة لأنفسهم، وموت الفجار راحة للعالم»**[2]. فإذا كنت من الأبرار فلا تحزن لقدوم الموت، ولو أتى ملك الموت إليك وقال: أنا أستأذن منك، لدي مجال أن آخذ روحك الليلة، أو أعطيك مهلة أسبوع، أو شهر، أو ثلاثة أشهر، فماذا تختار؟ كلما طلبتَ إبعاد الموت أكثر، كلما كان ذلك بسبب خوفك من التقصير ورغبتك في التعويض، وكلما قرَّبت الزمن ولم تهتم لوقت الموت مهما كان سريعاً، فهذا مؤشرٌ على اطمئنانك لعملك وتوكلك على الله تعالى والالتجاء إلى شفاعة محمد وآل

---

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص: ٣٧٩.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٩، ص: ١٨١.

محمد ﷺ. فمن صفات المتقين كما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّه عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ**»[١].

أيها الإنسان، بما أنَّك لا تعرف وقت موتك، وأنت معرَّضٌ له في أي وقت وبأي سبب، كما قد يطول عمرك فتستفيد منه للعمل الصالح، فاستفد من هذه الحياة ببراعة وتوازن، فـ: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»[٢].

يتعامل المؤمن مع الموت كواقع حتمي يُعِدُّ له عدته، وإنما تكون الصعوبة على الكافر الذي أنكره ولم يعمل له، قيل للإمام الصادق عليه السلام: صف لنا الموت. فقال: «**الموتُ للمؤمن كأطيبِ ريحٍ يشمه، فينعس لطيبه، وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد**»[٣]. ففي الدنيا نموذجان، الأول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[٤]. والثاني: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾[٥].

خلق الله تعالى الحياة كما خلق الموت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٠٣.
(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص: ١٥٦.
(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص: ٢٤٨.
(٤) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ - ٣٠.
(٥) سورة محمد، الآية: ٢٧.

﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١]. هذا بلاءٌ واختبار سيحاسبنا الله عليه في يوم القيامة، فالموتُ والحياةُ جزءٌ من المنظومة التي أوجدها الله تعالى في هذا الكون، بأن خلق الله تعالى الإنسان، ليقضي جزءاً من الوقت في هذه الدنيا، ثم يموت بعد ذلك، فيذهب إلى القبر حيث يبدأ عالم البرزخ، فيبقى فيه حياة طويلة إلى يوم القيامة، يفنى الجسد في عالم البرزخ وتبقى النفس، فإذا كان مؤمناً عاش طيب الجنة مرتاحاً، وإذا كان كافراً عاش ألم النار منزعجاً، من دون أن يكون فعلياً في الجنة أو النار، فإذا جاء يوم القيامة، نُفخ في الصور، فيموت جميع الأحياء على وجه الأرض، ثم يبعثهم الله تعالى مع من في القبور جميعاً، فريقٌ إلى الجنة وفريقٌ إلى النار، بحسب أعمالهم.

الدنيا للبلاء والاختبار والامتحان، فلنُحسن استخدامها، لنحمل أعمالنا الصالحة إلى الله تعالى فنرتاح ونطمئن في جنة الخلد.

٤- زيادة الأعمار

ماذا عن الآيات والروايات التي تتحدث عن نقصان أو زيادة العمر؟

قال رسول الله ﷺ: «**أكثِر من الطهور يزد الله في عمرك**»[٢]، فالبقاء على الطهارة مستحب، بأن يبقى الإنسان على وضوء، ما يزيد من عمره.

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢.
(٢) الشيخ المفيد، الأمالي، ص: ٦٠.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**وَمَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُه زِيدَ فِي رِزْقِه**»[١]، فمن كانت نيته حسنة، ويتصرف بخلفية سليمة وصحيحة وإسلامية، يضفي أجواء إيجابية في حياته وبين الناس، فلا يخادعهم ولا يتصرف بخبث، فيزيد الله تعالى في عمره.

وعنه عليه السلام: «**وَمَنْ حَسُنَ بِرُّه بِأَهْلِ بَيْتِه مُدَّ لَه فِي عُمُرِه**»[٢]، إذا كان تصرفه مع أهل بيته أخلاقياً وحسناً، وفيه التسامح والتربية الإسلامية، يزيد الله تعالى في عمره.

وقال عليه السلام: «**تجنبوا البوائق يمد لكم في الأعمار**»[٣]، أي تجنبوا الكبائر والمحرمات، يمد الله تعالى في أعماركم.

«الصدقة تزيد الأعمار» و«صلة الأرحام تزيد الأعمار»، و«بر الوالدين يزيد الأعمار». في المقابل الظلم يقصِّر من العمر، والمحرمات والرذائل كذلك. ففي هذه الحالات، ماذا نقول عن الأَجَلِ؟ وهو مسمًى ومحتوم؟

قرارُ الأَجَل بيد الله تعالى، ولا نعلم إذا كان عمر هذا الإنسان خمسين أو ستين سنة، ولكن الله تعالى قدَّر أن يكون خمسين سنة، ولأنه سيقوم بالأعمال الصالحة فسيزيدها عشراً، فالزيادة في علم الله تعالى قبل العمل، وقبل حسم الأَجَل المسمى والمحتوم.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٥.
(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص: ٤٠.

وكذلك يُنقصها عشراً مثلاً بسبب الأعمال السيئة، بناءً على تقدير الله لعمره الأصلي، فالنقصان في علم الله تعالى قبل العمل، وقبل حسم الأَجَل المسمى والمحتوم. وإنما يخبرنا بآثار الأعمال على الأَجَل لنعلم بوجود الزيادة أو النقصان مسبقاً، تشجيعاً للصلاح وتنبيهاً من الفساد. كلُّ هذا، لا يغيّر من الأَجَل المسمى والمجهول بالنسبة إلينا، والمرتبط بتقدير الله تعالى له.

ينتبه البعض إلى الفرصة الدنيوية التي أضاعها عند مشارف الموت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، ولكن إذا مات الإنسان، ونزل في الحفرة، فلا رجعة بعدها إلى الدنيا، فقد توفرت لديه فرصٌ طويلة في الدنيا فلم يستفد منها، ولا ينفعه أن يطلب الرجوع أثناء سكرات الموت، فالموتُ لحظةُ الحسم للانتقال إلى البرزخ ومنه إلى القيامة.

اعرف نفسك أيها الانسان، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«مِسْكِينٌ ابْنُ آدَمَ، مَكْتُومُ الأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُه الْبَقَّةُ، وتَقْتُلُه الشَّرْقَةُ وتُنْتِنُه الْعَرْقَةُ»**[2]، فيا بن آدم عُد إلى الله تعالى، فطالما أنك من خلق الله، وحسابك على الله، فالتفت وكُن في الخط السليم، فلا تعلم متى يحين الأجل، وكن مستعداً لعلَّ آخرتك تكون غداً.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ و ١٠٠.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٥٥٠.

وعن علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: **«واعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، ولِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، ولِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وأَنَّكَ فِي قُلْعَةٍ ودَارِ بُلْغَةٍ، وطَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ، وأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْه هَارِبُه، ولَا يَفُوتُه طَالِبُه، ولَا بُدَّ أَنَّه مُدْرِكُه، فَكُنْ مِنْه عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ»**[1].

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٠٠.

٢ - محطة الموت

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ (غافر ١٠-١٢).

المفتاح

الموتُ مَعْبَرٌ الى البرزخ، ثم الى الآخرة حيثُ الخلود والراحة الدائمة أو الشقاء الدائم، فلنتعرف على واقع الانتقال من هذه المرحلة للاعتبار والاستفادة.

١- أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، تنطلق الآية من وجود الإنسان في هذه الحياة بأمر من الله تعالى الخالق المحيي، ثم يموت الإنسان، فيُدفن في التراب وهذه هي الميتة الأولى، فهي مِيتَةٌ بعد حياة، ثم يعيش حياةً في عالم البرزخ وهي المدة المتبقية إلى يوم القيامة، ثم ينفخُ في الصور في يوم القيامة فيموتْ كل من على الأرض، ومنهم جماعة البرزخ وهي مِيتتُهم الثانية، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، المِيتَةُ الأولى في الدنيا، والمِيتَةُ الثانية في البرزخ .﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، بعد موت الدنيا يحيا الإنسان أول مرة في البرزخ، وبعد موت البرزخ يحيا المرة الثانية في يوم القيامة. فعندما: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، يعني أمتنا في الدنيا إلى القبر، وفي البرزخ إلى يوم القيامة. وأحييتنا في البرزخ، ثم في يوم القيامة. يعترف الكفار بهذا الكلام ويُقرُّون بخلق الله تعالى، وعودة كل الأمور إليه، ويريدون فرصة جديدة للعمل قبل الحساب! ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ ذلك بعد أن رأوا الأهوال التي رأوها خلال البرزخ، وخلال مقدمات يوم القيامة.

إذاً ترتيب حياتنا وموتنا كالتالي:

أولاً: خلقنا الله تعالى في الدنيا.

ثانياً: أماتنا المِيتَةَ الأولى فأُدخلنا إلى القبر.

ثالثاً: أحيانا الحياة الأولى بعد الموت في البرزخ.

رابعاً: أماتنا بنفخة الصور التي أماتت كل شيء تمهيداً ليوم القيامة، وهي المِيتَةُ الثانية.

خامساً: أحيانا الحياة الثانية بعد البرزخ في يوم القيامة، ليثيب المؤمنين ويعذب الكافرين.

إذاً الموت من الحياة الدنيا إلى القبر محطة، وليست نهاية المطاف.

٢- محطة البرزخ

قتل المسلمون سبعين من الكفار في واقعة بدر، فجمعوهم ودفنوهم في «كليب بدر»، وقف النبي ﷺ يخاطبهم: **«هل وجدتم ما وَعَدَ ربُّكُم حقاً، فإني قد وجدتُ ما وعَدَني ربي حقاً، بئسَ القوم كنتم لنبيكم، كذَّبتموني وصدَّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس. قالوا: يا رسول الله أتُنادي قوماً قد ماتوا؟ فقال: لقد علموا أنَّ ما وعَدَهُم ربهم حق.**

وفي رواية أخرى: فقال ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنَّهم لا يستطيعون أنْ يجيبوني»[1].

البرزخ فيه حياة لكن بلا عمل. يصف الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٩، ص: ٣٤٦.

هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. قوله: هو القبر، وإنَّ لهم فيه لمعيشة ضنكا، والله إنَّ القبرَ لروضةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حفر النار»(١). أمَّا في يوم القيامة فيكون الإنسان في قلب النار يحترق ويتبدل جلده، ويتألم ألماً شديداً من عذاب الله تعالى.

يعيش الكافر في البرزخ أجواء النار ولكنه ليس بداخلها، ويعيش المؤمن أجواء الجنة ولكنه ليس بداخلها. أمَّا في يوم القيامة، فالكافر في قلب النار يحترق ويتبدَّل جلدُه ويتألم ألماً شديداً من عذاب الله تعالى، والمؤمن في الجنة يعيش في مراتعها وبين أنهارها وقصورها في أُنسٍ وراحة ويتحادث مع أحبائه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾(٢)» الخ. . . ولتقريب الصورة، إذا رأى أحدهم في المنام أنَّه في الجنة، يستيقظ مأنوساً ومسروراً لما عاشه وشاهده، وإذا رأى آخر أنَّ شخصاً يهجم عليه ويقتله بالسيف، أو يُرمى به من مرتفع، يستيقظ وهو متألم ومرعوب. هذه المشاعر يعيشها من في البرزخ، فلو عاش ألف سنة، أو آلاف السنين إلى يوم القيامة، فسيعيش المؤمن مشاعر نعيم الجنة، ويعيش الكافر ضغطة القبر وعذاب جهنم والألم والمرارة.

البرزخُ حياة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ١٢٠.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٦.

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]، فالمقتولون في سبيل الله تعالى يعيشون في البرزخ حياة جميلة وسعيدة، في صورةٍ من صور الجنة، ولمَّا يأتِ وقت الجنة بعد، فالجنَّةُ أعظم وأعظم، حيث يحيا الإنسان خالداً فيها.

أما الكفار فحياتهم تعِسة، ومثالهم آل فرعون يعيشون عذاب البرزخ، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي يعرضون على النار غدواً وعشياً في البرزخ، ولكنهم ليسوا بداخلها، ثم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[٢]، حيث يصبح دخول النار مباشراً وفي قلب العذاب.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: مَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام بِقَبْرٍ يُعَذَّبُ صَاحِبُه، ثُمَّ مَرَّ بِه مِنْ قَابِلٍ فَإِذَا هُوَ لَا يُعَذَّبُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ مَرَرْتُ بِهَذَا الْقَبْرِ عَامَ أَوَّلَ فَكَانَ يُعَذَّبُ، ومَرَرْتُ بِه الْعَامَ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ يُعَذَّبُ! فَأَوْحَى اللَّه إِلَيْه، أَنَّه أَدْرَكَ لَه وَلَدٌ صَالِحٌ فَأَصْلَحَ طَرِيقاً، وآوَى يَتِيماً، فَلِهَذَا غَفَرْتُ لَه بِمَا فَعَلَ ابْنُه**»[٣]. لا يلتفت الكثير من الناس إلى الأعمال التي تساعد الميت، وهنا صاحب القبر يحمل بعض المعاصي التي تستحق عقاباً محدوداً،

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ و ١٧٠.
(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٥ و ٤٦.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٦، ص: ٣.

يرتفع بالطاعات الموهوبة له. وقد حثَّ الإسلام على الاهتمام بالأموات، وذكر استفادتهم من بعض الأعمال، فعن رسول الله ﷺ: « **إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلَّا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية، وعلم ينتفع به**»[١].

وعن رسول الله ﷺ: «**اهدوا لموتاكم» فقلنا: يا رسول الله، وما هدية الأموات؟ قال: «الصدقة والدعاء**»[٢].

انظروا إلى ارتباط محطة البرزخ بالأحياء من الناس والأقرباء، فعن داوود الرقي قال: «**قلتُ لأبي عبد الله الإمام الصادق** عليه السلام: **يقوم الرجل على قبر أبيه وقريبه وغير قريبه، هل ينفعه ذلك؟ قال: نعم، إن ذلك يدخُلُ عليه كما يدخُلُ على أحدكم الهدية يفرح بها**»[٣].

(١) ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللآلي، ج ١، ص: ٩٧.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ٢، ص: ٤٨٤.
(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص: ١٢٠٠.

٣ - يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (الزمر ٦٨-٧٠).

المفتاح

حانَ وقتُ القيامة فتبدَّلَ كلُّ شيء، ووقفَ الناسُ يوم الحشر للحساب، وأنتَ بينهم، ما هو موقفك؟

١- النفخ في الصور

الآية الأولى تتحدث عن نفختين في الصور: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، النفخة الأولى التي تؤدي إلى ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فتموت جميع المخلوقات الحية بسبب هذه النفخة التي تحصل بإرادة الله تعالى، فيبقى بعد النفخة الأولى، - بحسب بعض الروايات- الملائكة الرئيسيون: جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، والبعض الآخر يوسع أكثر من ذلك...، الذي يبقى هو من يريد الله تعالى إبقاءه لأمرٍ يراه، وبهذه النفخة تنعدم الحياة البشرية والحيوانية والملائكية وحياة الجن، في السماوات والأرض، أياً كانت الحياة فيها، فيموت الجميع دفعة واحدة مع النفخة الأولى في الصور.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾، وهي النفخة الثانية، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، فتخرج جميع المخلوقات إلى الحياة مجدداً، أي الذين ماتوا بالنفخة الأولى، والذين كانوا في عالم البرزخ. إذاً النفخةُ الأولى في الصور تُميتُ الأحياء، والنفخةُ الثانيةُ يعود معها جميع الأموات إلى الحياة، ينتظرون حسابهم.

في النفخة الثانية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾، أي يخرجون من القبور أحياء، في إطار المراسم المقررة يوم القيامة.

وبهذه المناسبة، يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ

﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾، فالكل في حالة انتظار، لا يسألُ أحدٌ عن أحد، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، إلى أن يبدأ الحساب، ويعرف كلٌّ واحدٍ مصيرَه.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، هنا الأرض ليست الأرض التي نعيش عليها، وإنما هي أرضٌ أخرى يوجدها الله تعالى في يوم القيامة. يعمُّ عليها النور الإلهي بحيويته وتأثيره وفعاليته كلَّ شيء، فالله هو الخالق والمشرف والمسيطر، ولولاه لما كانت حياة، ولما استمرت حياة، فنورُه أصل الوجود.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ الذي فيه الأعمال، أعمال البشرية جميعاً، وليس المقصود بالكتاب الكتاب الذي نقرؤه، بل الكتاب الذي يتضمن الأعمال، حيث كلُّ شيء مدوَّنٌ بداخله.

﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾، الذين يشهدون بأنهم قاموا بما عليهم، فنصحوا جيرانهم وإخوانهم والناس، وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، وقدَّموا لهم تجربة إسلامية رائدة، لكنَّ أكثر الناس فسقوا وانحرفوا وكفروا، ولم يتعظوا ولم يلتزموا. أخبرنا الله تعالى بأنَّ الرسول يشهد على المؤمنين وأنَّ المؤمنين يشهدون على الناس: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فيُحكم أمام المحكمة

الإلهية الكبرى، على بعض بجهنم، وعلى البعض الآخر بالجنة، ويحصل المؤمنون على شفاعة محمد وآل محمدﷺ، ويعفو الله عن بعض ثغراتهم. . .هناك يقف الناس أمام العدل الإلهي يوم الحساب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾، حيث يأخذُ كلُّ إنسانٍ حقَّه، فالله عالمٌ بكل أعمالهم، صغيرها وكبيرها، من دون الحاجة إلى شهود، ومع ذلك فالأدلة حاضرة.

٢- حتمية القيامة

إنَّ يوم القيامة حقيقةٌ محسومة، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[١]، بلَّغ بها الأنبياءُ الناسَ عن الله تعالى، وتحدثت كل الرسالات السماوية عن الجنة والنار، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[٢].

حدثنا جلَّ وعلا عن نقاش الكافرين ومشركي قريش مع النبيﷺ، حين جاء أحد زعمائهم أُبَيُّ بْنُ خَلَف، مستغرباً أن يُحيي الله تعالى الناس مرة ثانية ليوم الحساب، فأتى بعظام وفتَّتها ليثبت بأنها أصبحت معدومة، ولا إمكانية لإعادة الإنسان إلى الحياة مع زوال هيكله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ

(١) سورة الحج، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٧.

﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾، فأجاب الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

فإذا أراد الكافرون الدليل العقلي فهو بيِّن، فمن خلق من العدم، يعيد خلق الآثار مرة أخرى، وفي كل مرة يكون خَلْقُهُ ابتداءً بأمره وقراره من دون حاجة إلى أية مقدمات.

الإيمان بالآخرة جزءٌ لا يتجزأ من إيمان المؤمن، وهو أصلٌ من أصول الدين، بحيث لا يتقوَّم إيمانٌ من دون هذا الأصل، ووجوب اليقين بالآخرة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2].

أخبرنا الله عز وجل مرات ومرات بأنكم إذا أردتم أن تعيشوا حياتكم بشكل صحيح، فعليكم أن تعرفوا بدايتكم ونهايتكم، واعلموا أنَّ الله قسَّم حياتكم إلى مرحلتين، مرحلة الدنيا ومرحلة الآخرة، أمَّا مرحلة الدنيا فقصيرة، وأمَّا مرحلة الآخرة فطويلة.

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧٩-٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢ - ٤.

مرحلةُ الدنيا للعمل، ومرحلةُ الآخرة للحساب. مرحلةُ الدنيا مؤقتة ومرحلةُ الآخرة دائمة أبدية، قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[1]، المتاعُ مؤقتٌ ولا استقرار معه، أمّا دار القرار فمكان استقرار الإنسان أبدياً في الآخرة. وبالمقارنة، الدنيا بعشرات السنين مع أعبائها ومتاعبها، أمّا الآخرة ففيها الخلود في الجنة أو النار، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[2].

يدعونا الله تعالى إلى راحة الخلود في الجنة، بعد أن نأخذ نصيبنا في الدنيا مما أحلَّ الله تعالى، من الطعام والشراب والملذات المحلَّلة: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[3]، على أن ننظر الى الدنيا أنها فانية، «**فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ**»[4]، وأنَّ الآخرة هي الحياة الحقيقية.

٣- وقت الساعة

وقتُ القيامة مجهولٌ بالنسبة إلينا، وقد أخبرنا الله تعالى بأنَّنا لن نعرفه، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا

(١) سورة غافر، الآية: ٣٩.
(٢) سورة الأعلى، الآية: ١٧.
(٣) سورة القصص، من الآية: ٧٧.
(٤) نهج البلاغة، ص: ١٠٦.

عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١). فعِلْمُ الساعة عند الله تعالى، وهي تأتي فجأة، فيتغير كلُّ شيء بسرعة فائقة، فلننصرف إلى العمل، وكأنها ستقع قريباً. لم يُعْلِمنا الله تعالى بتوقيت الساعة كي لا نكون مضغوطين بزمانها، فنعدِّل من تصرفاتنا خشية أن يُداهمنا وقتها، بل أرادنا أن نختار بملء إرادتنا، فنتحمَّل مسؤوليتنا عن مواقفنا وأعمالنا كاملة. لن يستطيع أحد معرفة وقت القيامة، وما يدعيه البعض من إجراءِ حسابات أو مراقبة الفلك لتحديد يوم القيامة أراجيف لا صحة لها على الإطلاق، فالآية التي ذكرناها واضحة في ذلك.

تأتي الساعة فنكون أمام مشهد جديد للكون، يختلف عن المشهد الذي نراه اليوم، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٢). الأرضُ جديدةٌ غير الأرض المعروفة، والسماواتُ جديدةٌ غير السماوات المعروفة، والجنةُ مكانٌ لم تطأه الأقدام من قبل، والنارُ مكانٌ لم يدخله أحدٌ من قبل. مع مقدمات يوم القيامة يتغير كل شيء، وسينتهي كل ما نراه اليوم وما نعرفه، فنحن أمام مشهد جديد. تنطفئ الشمس: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(٣)، وتتبعثر النجوم وتتساقط فلا أثر لها: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.

(٣) سورة التكوير، الآية: ١.

انكَدَرَتْ﴾[١]، وتنتقل الجبال من أمكنتها، كأنها تسير من مكان إلى آخر: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[٢]، وفي حقيقة الأمر أنها تنعدم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[٣]. ولا ترضع الحيوانات أولادها: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٤]، ثم يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[٥]، أي النفوس الموجودة في داخل القبور مع الأجساد الفانية، حيث يعيد الله تعالى إحياء الأجساد فتتزاوج معه النفوس، ليعود الناس كما كانوا في الحياة الدنيا جسداً فيه روح.

أتمنى أن تتأملوا للحظات: الناس مجموعون في يوم القيامة، وكلٌّ واحدٍ منهم منصرفٌ إلى نفسه وإلى أعماله، يقف حائراً بانتظار الحكم الذي سيصدر! إنَّه يوم القيامة الذي يهز العقول والقلوب. ما الذي يجعلك أيها الإنسان لا تلتفت إلى ذلك اليوم؟ لماذا لا تُعيد النظر بعملك وتصرفاتك؟ لماذا لا تنظر الى عباداتك وما قصَّرت فيها؟ لماذا لا تنظر إلى طاعة الله تعالى وما أهملتَ منها؟ لماذا لا تستغفر ربك عن المعاصي التي قمتَ بها؟ لعل الله تعالى يعفو عنك، فتعود إليه، حاملاً زاداً يساعدك بأن لا تقف

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٢.
(٢) سورة التكوير، الآية: ٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة التكوير، الآية: ٤.
(٥) سورة التكوير، الآية: ٧.

غريباً خائفاً يوم القيامة في هذا المشهد العظيم! لعلك تنجو بإذن الله تعالى إذا راجعت حساباتك في هذه الفترة من الحياة الدنيا.

الآخرةُ بدايةُ الخلود، حيث يخلد المؤمنون في الجنة، والكافرون في النار، يدخل المؤمنون إلى الجنة، فيعيشون الحياة الأبدية التي فيها الراحة والسعادة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1]. أما الجماعة الأخرى فلهم عذابٌ بإقامةٍ دائمة، خالدين فيها، فقد نالوا جزاءهم في جهنم، يعيشون فيها الشقاء والتعاسة والألم والمرارة والصعوبات، ليل نهار، بما كسبت أيديهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[2].

هل تستحق الدنيا أن يتمسك بها الإنسان فيأخذ من حرامها ما تذهب لذته سريعاً ثم يكون عقابه جهنم خالداً فيها! والله لا تستحق ذلك، « **رَحِمَ اللَّه امْرَأً . . . اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وبَادَرَ الأَجَلَ، وتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ**»[3]، ومع قليل من الصبر والمجاهدة للنفس الأمارة بالسوء يدخل جنة الله تعالى، التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٨.
(٣) نهج البلاغة، ص: ١٠٣.

الصورة جلية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[١]، فالهواءُ الذي يتنفسونه نار، والحياةُ التي يعيشونها نار، وكلٌّ ما يحيط بهم نار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٢].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٣]، هذا عطاء لا حدَّ له من الله تعالى للمؤمنين الذين تحمَّلوا وتعبوا وصبروا وآثروا الآخرة على متاع الدنيا، خالدين في الجنة أبداً، فهنيئاً لهم.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة المائدة، من الآية: ١٠٧.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٨.

٤ - الجنة والنار

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر ٧١-٧٣) .

المفتاح

راحةٌ ونعيمٌ وسعادةٌ ولقاءٌ في جنة الخلد مع محمد ﷺ وآل محمد عليهم السلام للمؤمنين. إرهاقٌ وجحيمٌ وشقاءٌ وحرمانٌ وخسرانٌ أبدي في جهنم للكافرين.

١- الكفار إلى جهنم

بعد انتهاء الحساب يدخل الكفار إلى جهنم ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ أي يؤخذون جماعات جماعات، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾، وصلوا إليها، وفتحت أبوابها السبعة، ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾[1]، فلكل جماعة باب يدخلون منه، فهم يتفاوتون بينهم بمستوى سوء أعمالهم، ويتفاوتون ببعض مستويات العذاب، ولكنهم يستقرون جميعاً في جهنم.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾، خزنةُ جهنم هم الملائكة الموكلون بها، يسألون الكفار عن وصول الرسل إليهم في الدنيا، وتبليغهم برسالة التوحيد، وإنذارهم بالعقاب في حال الكفر والانحراف. فيجيبون: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فلا ينفعهم اعترافهم بعد فوات الأوان، لذا: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، وبئس المرقد والمسكن والخلود في جهنم.

لماذا هم متكبِّرون؟ لأنهم استكبروا عن عبادة الله تعالى، كان لديهم كبرياء وعنجهية واعتزاز بأنفسهم، وكانوا يرون أنفسهم مهمين بقدراتهم العقلية والجسدية، مع أن الله تعالى هو الذي

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٤.

أعطاهم تلك القوة والقدرة، ويتباهون بذكائهم وجمالهم وما تمتعوا به في هذه الدنيا! إنَّهم على طريق إبليس، الذي استكبر فرفض أمر الله تعالى بالسجود لآدم، فقال عنه جلَّ وعلا: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾.

٢- المتقون إلى الجنة

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر ٧٣).

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، يذهب المتقون إلى الجنة جماعات جماعات، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾، فيدخلون من أبواب الجنة الثمانية، فعن الإمام علي عليه السلام: «**إنَّ للجنة ثمانية أبواب**»[1]، كل جماعة تدخل من باب، ثم يستقرون جميعاً فيها بدرجاتٍ متفاوتة بحسب أعمالهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، يعمُّ السلام المؤمنين في الجنة، فلا حرب ولا نزاع ولا خصام ولا جدال ولا اختلاف، وإنما حالة من الراحة النفسية والطمأنينة يظلِّلها السلام، ويعيشون فيها حياة طيبة، وهي نعمة الله للمتقين.

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٤٠٨.

٣- كتاب الأعمال

لكلِّ انسانٍ كتاب، حيث تُسجَّل جميع أعماله في الدنيا، فكلُّ شيءٍ موجود في داخل هذا الكتاب، وهو كلامٌ، وصور، ورسوم وأحداث وحالات يراها الإنسان مشخصة أمامه يوم القيامة، فحياته مدونة بالصوت والصورة، وبإمكانه أن يطَّلع عليها ويرى ما في كتابه، ويعلم النتيجة: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١]. لا حاجة إلى الدليل والشهود لإثبات ما ارتكبه الإنسان، فالكتاب شامل، ومع ذلك تشهد الجوارح، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢]، عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وَلَيْسَتْ تَشْهَدُ الْجَوَارِحُ عَلَى مُؤْمِنٍ، إِنَّمَا تَشْهَدُ عَلَى مَنْ حَقَّتْ عَلَيْه كَلِمَةُ الْعَذَابِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُعْطَى كِتَابَه بِيَمِينِه، قَالَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**»[٣]. وتشهد الرسل، ويشهد المؤمنون على بعض الأمور لمزيد من تبيان الحجة، وإلَّا فالكتاب واضح ومقروء.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٤]،

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣ و ١٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٣٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

فالخيرُ حاضر، والسوءُ حاضر، فكيف يهرب الكافر من سيئات أعماله المكشوفة والموثَّقة؟ وكيف يهرب من أعماله المدوَّنة عن كل خطواته بحيث لا يخفى منها شيء، ولا يستطيع أن ينكر منها شيء؟

يقول تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[1]، فلا شيء مستور، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[2]، فهو يحمل كتابه بيمينه، وهي إشارةٌ قطعية بأنَّه ناجٍ، فيغمره السرور، ويقول: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[3]، فقد كان يتوقع هذا الحساب، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[4]، في مكانٍ مرتفع، فيه البقاء والراحة والطمأنينة، وفيه وفرة الطعام الطيب والشراب اللذيذ، جزاءً لأعماله في الدنيا.

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5].

سئل النبيﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾، فقالﷺ: **«يَا عَلِيُّ، إِنَّ الْوَفْدَ لَا يَكُونُونَ إِلَّا رُكْبَاناً،**

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٨.
(٢) سورة الحاقة، الآية: ١٩.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ٢٠.
(٤) سورة الحاقة، الآيتان: ٢١ و ٢٢.
(٥) سورة الحديد، الآية: ١٢.

أُولَئِكَ رِجَالٌ اتَّقَوُا اللَّه، فَأَحَبَّهُمُ اللَّه، واخْتَصَّهُمْ، ورَضِيَ أَعْمَالَهُمْ، فَسَمَّاهُمُ الْمُتَّقِينَ»[١].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾، فهو يعلم أنها النهاية التعيسة، فحَمْلُهُ لكتابِه بشماله أو من وراءِ ظهره يعني الخسران والحكم عليه بدخول جهنم .﴿...فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾[٢]، إنَّه يتمنى الموت الذي لا رجعة بعده! لهول الحساب، ويتمنى لو كان تراباً لا حياة فيه، ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾، لأنَّ لا شيء يُغنيه في مواجهة الحساب، فيقول ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾[٣]، فقد كان موجوداً لديَّ بكثرة، وهذه هي النتيجة، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾[٤]، فلم ينفع السلطان والقوة والقدرة، فالقرار النهائي: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[٥]. يُكبَّلُ الكافرُ بسلسلةٍ من حديدٍ لها سبعون ذراعاً من الطول، كإجراءٍ في التعذيب لرميه مُقيَّداً في أهوال جهنم. فالجريمة التي ارتكبها خطيرة جداً، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٦].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٨، ص: ٩٥.
(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ - ٢٧.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٩.
(٥) سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ - ٣٢.
(٦) سورة الحاقة، الآية: ٣٣.

عن خالد بن نجيح، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كانَ يومُ القيامة دُفِعَ إلى الإنسانِ كتابُهُ، ثم قيلَ لَهُ: اقرأ، قُلتُ: فيعرفُ ما فيه؟ فقال** عليه السلام: إنَّه يذكُرُه، فما من لحظةٍ، ولا كلمةٍ، ولا نقلِ قدمٍ، ولا شيءٍ فَعَلَهُ إلا ذَكَرَهُ، كأنَّهُ فَعَلَهُ تلكَ السَّاعة، فلذلكَ قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾»[1].

٤- صَدَق الوعد

يرغبُ المؤمنون يوم القيامة بالاطّلاع على بعض أحوال الكافرين، فيجري هذا الحوار الذي ذكره تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. وينادي أصحابُ النار أصحابَ الجنة طلباً للعون والمساعدة: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3]. لكنْ يُمنعُ الماءُ والرزق والطعام الطيب على الكافرين، فليأكلوا من طعام جهنم الذي لا يُشبِعُهُم، ومن مائها الذي لا يرويهم، هذا جزاء الكافرين الذين لم يتعظوا ولم يُحسِنوا في الحياة الدنيا.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢، ص: ٣٢٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٠.

٥- نعيمُ الجنة

أنصح بقراءة سورة الواقعة ففيها عرضٌ مهم لبعض صور الجنة وجهنم، وحال المؤمنين والكافرين يوم القيامة، ولكن سأذكر بعض الآيات مع إشارات سريعة لبعض معانيها، لنعيش جزءاً من أجواء يوم القيامة.

قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾، الناس في يوم القيامة ثلاثة أقسام: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ أصحاب الشمال، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾، وهم الجماعة المميزة من المؤمنين.

تبدأ الآيات بالحديث عن السابقين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾، إنَّهم أصحاب الدرجات العالية في الجنة، والمقربون من الله تعالى، وهم مجموعةٌ كبيرةٌ من الأمم السابقة مع الأنبياء السابقين، ومجموعةٌ قليلةٌ من أمة محمدﷺ. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾، ينامون على سرر منسوجة، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾، والاتكاء هو بوضع اليد على الخد، في مقابل بعضهم بعضاً في مجلسهم في الجنة.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾، يطوفُ عليهم أولادٌ كالطيور بحركةٍ نشطة ومميزة، أولادٌ ماتوا في الدنيا وهم دون سن التكليف فلا حساب عليهم، وهم خالدون في الجنة، يقومون بخدمة

المؤمنين، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾، يحملون الأكواب للشرب، والأباريق للصّب منها، والكؤوس يشرب منها المؤمنون معيناً أي لذيذاً من الشراب الذي تفوق لذته لذة الخمر من دون إسكار، ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾، ميزة هذا الشراب أنه لا يُسبِّب الصداع في الرأس كما في خمر الدنيا، ولا أي شيء من العوارض التي تصاحب الأشربة اللذيذة. ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾، وفاكهة مما يختارونه من جميع الأصناف التي عرفوها في الدنيا والتي لم يتعرفوا عليها، يحصلون عليها بحسب ما يرغبون، فيقطفونها من الشجرة مباشرة، أو يتناولونها من الأطباق، أو محضَّرَة بصيغة خاصة للأكل. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾، لحم الطير طيب، يتفاوت من طير لآخر، وتختلف أذواق الناس في الاختيار، ففي الجنة يختار المؤمنون ما يشتهون من الطيور، جاهزة للطعام بأية صيغة يحبونها.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾، هنَّ نساءٌ من أهل الجنة، مكافأة للمؤمنين الطاهرين، يتميزن بسعة العيون ومساحة بياضها، وهذا أجمل شكل للعيون، وهنَّ كاللؤلؤ المحفوظ الذي يبقى على نضارته وجماله.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾، هذه العطاءات الإلهية جزاءً لما كانوا يعملونه في الدنيا، وفي الجنة لا يذكرُ أحدٌ الآخرين بسوء، ولا بغيبة أو بهتان، بل تسود حالة السلام بين الجميع.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾، السدر نوع من الشجر لا شوك فيه، والطلح أي الموز مصفوفٌ ومنظمٌ بطريقة متقنة وجميلة. ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾، الظلُّ الذي يتفيأ به المؤمنون، منتشرٌ لمسافات واسعة. ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾، عندما يسكب الماء تسمع خريره اللطيف وتأنس بطيب شربه. ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾، الفاكهةُ متوفرةٌ بكثرة، ومن كل الأنواع، الصيفية والشتوية، وفي كل الأوقات، وهي غير ممنوعة على أحد، يستطيع الجميع تناولها، فلا أمراض تمنع أحداً من تناول بعض أنواعها.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾، الفرشُ المرفوعة إشارة إلى النساء، فقد أنشأهن الله تعالى أبكاراً، يتميَّزنَ بالغنج والدلال فهنَّ عُرُباً، ويتساوين في الأعمار فهنَّ أتراباً من جيلٍ متشابه، وكذلك العجزة من النساء يرجعن شاباتٍ شبيهاتِ الأعمار بأقرانهن في الجنة، وكذلك تكون أعمار الرجال متقاربة وشابة. هذه الصفات تعطي المزيد من اللذة في علاقة الأزواج. يُعطي الله تعالى هذا الثواب لجماعة كبيرة من المؤمنين الأولين في العصور الأولى، وجماعة كبيرة من المؤمنين الآخرين في العصور المتأخرة.

٦- جحيم جهنم

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾﴾، أصحاب الشمال هم الكفار الذين يدخلون جهنم، التي تمتلئ أجواؤها بالسَّمُوم، وهي نارٌ تنفذ في المسام، ومعها شراب الحميم وهو ماءٌ حارٌّ جداً. ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾﴾، اليحموم دخانٌ أسود يؤثر على التنفس والمسام والحالة النفسية ويظللّ المكان بأسره. ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾، لا برودة تخفِّف وطأة حرَّ الجحيم، ولا يشعر الإنسان بأية كرامة في هذه الحالة. ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾، كل ما يحصل لهم بسبب ترفهم وكفرهم في الدنيا، وحنثهم بوعدهم بعدم طاعة الله تعالى. وأيضاً: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾، يا أصحاب الشمال، ﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾﴾، الزقوم شجرة تنبت في جهنم، من يأكل منها يزداد جوعاً، فهي مُرَّة ومليئة بالأشواك، ولكن ماذا يفعل الجائع وهو مضطر لأكلها؟ ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ اعتقاداً منهم أنهم إذا أكلوا كثيراً يشبعون فيتجاوزون مرارة الطعم وكثرة الأشواك. وأنَّى لهم ذلك! ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾، يشربون ماء مغلية مليئة بالقيح، فهي ماء نتنة وحارة لا تُطاق، ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾، يشربون منها كما تشرب الجمال الهائمة العطشى في الصحراء، ولكنهم لا يرتوون. ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾، هذا المكان هو مأواهم الدائم في جهنم.

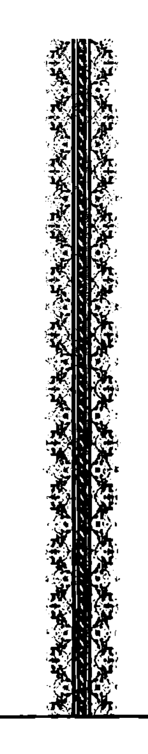
نعوذ بالله تعالى من جهنم، فالحياة فيها أبدية، والآلام

مستمرة، والعذاب لا يتوقف أبداً، ومن اعتقد أنَّ الاحتراق يُنهي حياته فينتهي الألم واهم، لأنَّ الله تعالى يبدِّلُ الجلود ليبقى الإحساس بالألم موجوداً: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[1].

نسألك يا رب برحمتك أن تُدخِلنا جنتك، وأن تُعيننا كي لا نستحق عذابك، إنَّك سميع مجيب الدعاء.

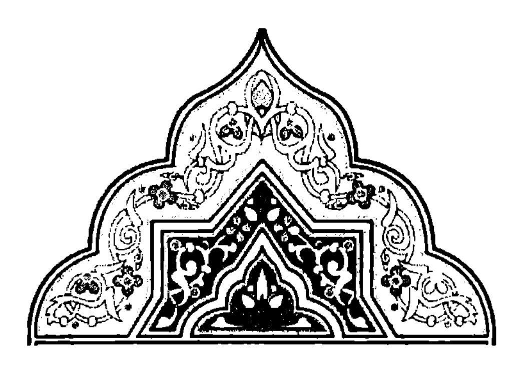
---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.



الفصل الخامس

المسؤولية



١ - وقل اعملوا

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل ٩٦ و ٩٧).

المفتاح

العملُ صورتُك ورصيدُك، وهو التعبير الحقيقي عن الإيمان، فارصد أعمالك لتعرف قيمتك ومكانتك يوم الحساب.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾، أي ما تملكونه أيها الناس من صحة أو مال أو قدرة أو موجودات في هذه الحياة الدنيا لا يبقى، كل الإمكانات تفنى وينتهي أَجَلُها، فما لم يخسره الإنسان في الدنيا أثناء حياته، يتركه عند الموت، بالغاً ما بلغ، فلا يصحب معه أي شيء، ولا يستطيع أن يتصرف بأي شيء. لا تتعلقوا بما تملكونه أو تستحوذون عليه، فهو أمانةٌ بين أيديكم، أكرمكم الله تعالى بها، وأنعَمَ عليكم بها، فتعاملوا معها كعطيةٍ من الله تعالى ونعيمٍ تُسألون عنه يوم القيامة. يجمع الناس الملايين والمليارات.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾، فهو الأول والآخر، وهو المحيي والمميت، بيده الملك، فما عنده يبقى .﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، فالله تعالى هو الخالد الباقي الأبدي السرمدي، الذي يبقى ويفنى كلُّ شيء.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، الأمر يحتاج إلى صبرٍ، بأن تصبر على المصيبة والخسائر، وتصبر على طاعة الله تعالى ليوفقك إليها، وتصبر في مواجهة المعصية ليعينك الله لعدم ارتكابها، ففي الحديث الشريف: «**الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ**»[1]. يجب التحلي بكلِّ أنواع الصبر من أجل الفوز، عندها ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. لنفترض أنك

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٩١.

تصدَّقت بصدقة اليوم وغداً وبعد فترة وهكذا، فالله تعالى يجزيك عن كلِّ الصدقات بأجر الصدقة الأفضل. أو أنك كنت باراً بوالديك، وبمظاهر مختلفة في برِّك لهما، فالله تعالى يجزيك بأفضل برٍّ بررت به والديك، وينطبق هذا التفضُّل على العبادة والصلاة، فلو صلّيت خلال حياتك عشرة آلاف صلاة، وقمت بأفضل صلاة مثلاً في ليلة القدر أو ليلة الجمعة، فالله يعطيك عن كل واحدة بأحسن صلاة صليتها، بأجرها ومكانتها. فالعمل الصالح له أجره وثوابه أضعافاً مضاعفة يوم القيامة، وبأحسن صُوَرِه، فضلاً عن فائدته في الدنيا.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾. العملُ الصالحُ هو الأصل والأساس، وتكون المكافأةُ على أن يكون صالحاً وليس لمجرد العمل، أمَّا الأعمال السيئة والمنحرفة والآثمة فعليها عقاب. وقد ربط الله العمل بالصلاح، من دون فرق بين أعمال الذكر والأنثى، فكلٌّ منهما يحاسب على أعماله بحسبها، ويكون المائزُ بينهما هو المائزُ نفسه بين الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، الحياةُ الطيبة حياةٌ مؤنسة وسعيدة، حياةٌ فيها طمأنينة ونعيم. اختلف المفسرون في معنى الحياة الطيبة،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٣.

فقال بعضهم: الحياة الطيبة هي الحياة الطيبة في الدنيا، وقال البعض الآخر: الحياة الطيبة هي في عالم البرزخ، وقال ثالثهم: الحياة الطيبة هي في الآخرة، وبصرف النظر إذا ما كانت الحياة الطيبة في الدنيا أو البرزخ أو الآخرة، لأنها عندما تكون طيبة في أي حياة، فآثارها عظيمة على الإنسان، وإن كان الأرجح أن تكون الحياة الطيبة في الدنيا. فسَّر أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، فقال: «**هي القناعة**». القناعةُ نتيجةٌ يُصاحبها الحمد على كل شيء، والشكر لله تعالى دائماً بالرغم من الابتلاءات والصعوبات، وإلَّا ماذا يفعل من لا يعجبه راتبه الشهري؟ وماذا يفعل من لا يستطيع أن يدفع عنه المرارات والآلام والصدمات والمشاكل؟ القناعةُ بما قسم الله تعالى له تريحه على المستوى النفسي وتطمئنه، ثم يكون العطاء الجزيل: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

١- العمل هو المقياس

الأساس في حياتنا هو العمل، فإذا أردت أن تقيِّمَ نفسك وتعرفَ مقامك وما أنجزت، عدا عن الصلاة والصوم والأعمال العبادية، فانظر إلى أعمالك وآثارها. كم أفرحتَ من قلوبٍ بتصرفاتك؟ وما مدى إحسانك مع جيرانك وأقاربك؟ ومن ساعدت؟ وأين أديت خدمة اجتماعية تنفع الآخرين؟ فالعمل هو الأساس. حدثنا الله عزَّ وجل عن نتائج العمل في يوم القيامة:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١]، كل ما نراه من إيمان وكفر مبني على أساس العمل، وكل الحساب يوم القيامة على العمل، فيفوز أصحاب العمل الصالح، ويخسر أصحاب العمل الفاسد.

العملُ الصالحُ لمصلحتك، والعملُ السيِّء ينعكس عليك، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢]. إذا أصلح شخص بين شخصين فهذا عمل صالح، ينعكس إيجاباً عليه، ويستفيد منه في الدنيا، فضلاً عن الشكر والأجر ممن أصلح بينهما، وله في الآخرة أجرٌ عظيم. والعكس صحيح، فالذي يرمي الفتنة بين شخصين ويخلف بينهما، ينظر إليه الناس كمفتنٍ فيتجنبونه، ويصبح منبوذاً في مجتمعه، ثم يُحاسب يوم القيامة حساباً عسيراً.

أحدُ أشكال معرفة الإنسان الصالح، نظرةُ الناس إليه، وما يتكلمون به عنه، فإذا ما أشادَ أهلُ الحي أو القرية أو البلد بصلاحه ومعروفه وإصلاحه بين الناس، وذكروه بالخير دائماً، فهو كذلك، وإذا ما أشاروا إليه بالسوء لظلمه وفساده ومنكره، وذكروه بالشرّ دائماً، فهو انسان فاسد. ففي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر قوله عليه السلام: «**وإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ، بِمَا يُجْرِي اللَّه**

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ و ٨.

(٢) سورة فصلت، الاية: ٤٦.

لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ»(١). فعملك هو الذي يشير إليك، وإذا أردت أن تعرِّف نفسك فعرِّفها بعملك.

يؤثر السلوك الحسن في الآخرين، ويبرز الشخصية المؤمنة، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يوصي ابنه الحسن عليه السلام بالتعامل مع الزملاء والإخوة بقوله: «**احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ، وعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ، وعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوّ**»(٢). اتصل بأخيك عندما يقطعك، وكن لطيفاً معه إذا صدَّك، واعطِه إنْ لم يُعطِك، واقترب منه إذا ابتعد عنك.

وفي قول آخر له عليه السلام: «**وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ ونَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ**»(٣). فلا يفكرنَّ أحد بأن الإمكانات الموجودة لديه تجعله من أصحاب المقامات الرفيعة، بل العمل الصالح هو الذي يجعل الإنسان ذا مكانة ومقام.

يضرب الله تعالى لنا مثلاً عن قارون وزير المالية عند فرعون،

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٢٧.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٠٣.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٠٣.

وصاحب الأموال الكثيرة: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[1]، كانت لقارون مفاتيح كثيرة، تحتاج إلى رجال أقوياء لحملها، وهي تدل على كثرة الخزائن التي يمتلكها، وكثرة الأموال المودعة فيها، فقال له الناس: لا تفرح ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾، فالقيمة للعمل الصالح.

يؤكد أمير المؤمنين علي عليه السلام أن العمل هو الأساس، ومما قاله لِرَجُلٍ سَأَلَه أَنْ يَعِظَه: «**لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ . . . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، ويُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وهُوَ أَحَدُهُمْ. . .يَخَافُ عَلَى غَيْرِه بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِه، ويَرْجُو لِنَفْسِه بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِه . . . يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، ويُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . . . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، ومِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ**»[2].

يربط الله تعالى الإيمان بالعمل دائماً: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[3]، فالإيمانُ بابُ العمل الصالح، ولا قيمة للإيمان من دون عملٍ صالح، والعبادة فرعُ الإيمان الى العمل الصالح، فلا تنفع كثرة الصلاة من دون أن تنهى

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٧٦.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٤٩٧.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

عن الفحشاء والمنكر، وتؤدي الى الأعمال الصالحة، ومع الايمان والعمل الصالح يحصل الانسان على الدرجات الرفيعة: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾[١].

٢- الإيمان والعمل

يعظ لقمان الحكيم ابنه في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[٢]. أقم الصلاة كأمرٍ عبادي يترجم إيمانك، ثم انطلق إلى الأمر بالمعروف والأعمال الصالحة، فالتلازم دائم بين الإيمان والعمل الصالح.

الهجرة من العمل الصالح، والجهاد في سبيل الله من العمل الصالح، وهما مرتبطان بالإيمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[٣].

وقد أمرنا الله تعالى بالتركيز على العمل الذي تظهر آثاره في

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة لقمان، الايات: ١٧- ١٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٠.

الـخـيـر: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**الإِيمَانُ مَا اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وأَفْضَى بِه إِلَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ، وصَدَّقَه الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ لِلَّه والتَّسْلِيمِ لأَمْرِه**»(٢)، فلا نفع للطهارة والعبادة إذا لم تترجم أعمالاً مع الناس وبين الناس! فكل إناءٍ بالذي فيه ينضح.

العاملون في سبيل الله تعالى هم: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

لا ينفع العلم من دون عمل، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ما ينفي عني حجة الجهل؟ قال: العلم. قال: فما ينفي عني حجة العلم؟ قال: العمل**»(٤). فتعلَّم لترفع الجهل، واعمل لترفع حجة العلم، فإنَّك مسؤول أن تُترجم العلم عملاً صالحاً في حياتك، فإذا لم تترجمه في واقع حياتك وفي العلاقة مع الناس، فلو قرأت خمسين كتاباً إسلامياً أو علمياً أو غير ذلك، ولو حصلت على شهادات في الفلسفة وعلم الاجتماع، ووصلت إلى

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٠٥.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٢٦.
(٣) سورة النور، الآيتان: ٣٧ و ٣٨.
(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٠، ص: ٢٥٤.

أعلى المراتب في الحوزة العلمية، فلا معنى لكل هذا العلم، إنْ لم يصاحبه العمل، بل سيكون وبالاً عليك لأنك ستسأل يوم القيامة: لماذا لم تعمل بما علمت؟

ليس العلم مطلوباً لنفسه بشكلٍ مجرَّد، بل للعمل الصالح، وهو يتحول الى عبءٍ ثقيل ومسؤوليةٍ كبيرة اذا ما أدَّى إلى الفساد والانحراف، الذي ينتهي بصاحبه الى جهنم، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«خيرُ العلم ما أصلحتَ به رشادَك، وشرُّهُ ما أفسدتَ به معادَك»**[1].

٣- ضوابط العمل

الضابطة العامة للعمل أن يكون صالحاً، يقول الرسول صلى الله عليه وآله: **«ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنَّ فِيه لَمْ يَتِمَّ لَه عَمَلٌ: وَرَعٌ يَحْجُزُه عَنْ مَعَاصِي اللَّه، وخُلُقٌ يُدَارِي بِه النَّاسَ، وحِلْمٌ يَرُدُّ بِه جَهْلَ الْجَاهِلِ»**[2]. فمن لا يتصف بهذه الصفات الثلاث لا يمكن أن يكون عمله صالحاً.

ومن ضوابط العمل، ما أوصى به نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله أبا ذر الغفاري(رض): **«يا أبا ذر، كُنْ بالعمل بالتَّقوى أشد اهتماماً منك بالعمل، فإنه لا يقلّ عمل بالتقوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟! يقول الله عز وجل: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»**[3]، فقبل أن تنظر إلى

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٣٨.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١١٦.

(٣) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٤٦٨.

العمل، عليك أن تمتلك خلفية صحيحة، ومنطلقات سليمة، فقبل أن تفكِّر بأن حُسن الخُلُق مع الآخر جيد أم لا، فكِّر بأن تقوم به قربةً إلى الله تعالى وطاعة له، ليكون الدافع هو الإيمان والتقوى، ما يساعدك على تقويم عملك ليكون صحيحاً.

يقول أعظم البشر وأولهم وسيدهم رسول الله محمد ﷺ: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، فالتوجيهُ الإلهي منطلقُ العمل الصالح، وهو الذي يوصل إلى المستوى الأرقى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من لم يصلح على أدب الله، لم يصلح على أدب نفسه**»[3]. فالذي لا يتأدب بأدب الله تعالى بحسب توجيهاته من خلال دينه ورسله، لا ينتفع بأي أدب في الدنيا، فلا أدب يعادل أو يقترب مما يؤدب به الربُّ عباده.

نحن بحاجة إلى أن نلتفت إلى أعمالنا، فكما تهتم بإقامة الصلاة الواجبة بإتقان، وكما تهتم بأداء الصوم الواجب الذي أمر به الله، وكما تهتم بالواجبات العبادية الأخرى وبالنوافل والمستحبات قربة إلى الله تعالى وطلباً للثواب من عنده، يجب أن تضع نصب عينيك سلوكك وأعمالك وتصرفاتك في كلِّ شؤون

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٦، ص: ٢١٠.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤.
(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٤٦٣.

حياتك وفي مجتمعك، لأنها الرصيد والسلوك المؤشر لسلامة الإيمان.

اعمل ليكون عملك متقناً، فعندما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، رأى النبي خللاً في قبره فسواه بيده، فتفاجأ البعض بهذا العمل لأن القبر جيد ولا يحتاج شيئاً، فقال ﷺ مخاطباً أصحابه: «**إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً فَلْيُتْقِنْ**»[1]، لتكون مكافأتك أفضل.

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٣، ص: ٢٦٣.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران ١٠٤).

المفتاح

فريضةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الفرائِضِ وأشرفِها، تُقوِّمُ الأفراد والمجتمع، وهي واجبة على كلٍّ واحدٍ منَّا بحسب دوره وقدرته.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾، فسَّرها المفسرون على وجهين، الأول: فلتكن منكم مجموعة من أصل عامة المسلمين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والثاني: تقول للشخص مثلاً: كن أنت كذلك، وأنت تقصد أن يكون، فيشمل الأمر جميع المسلمين ويحمِّلهم المسؤولية.

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، الدعوةُ إلى الخير دعوةٌ إلى كل ما ينسجم مع مصلحة الإنسان، وهي خيرٌ ومعروفٌ وإحسانٌ وعطاء، فالصدقةُ خيرٌ، والكلمةُ الطيبةُ خيرٌ، والمساعدةُ خيرٌ، والعفوُ خيرٌ. . . وكلُّ طاعةٍ لله تعالى خيرٌ، فما أمر الله تعالى به كله خيرٌ.

﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، المعروفُ هو كل خيرٍ وعمل حسن، فالصدقةُ معروفٌ، والكلمةُ الحسنة معروفٌ، وإزاحة الأذى عن الطريق معروفٌ، ومساعدة المحتاج معروفٌ. . .

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، المنكرُ هو كلُّ شرٍّ أو معصية أو انحراف، فشربُ الخمر منكرٌ، والغِيبَةُ منكرٌ، والسرقةُ منكرٌ، والأذيةُ منكرٌ، والظلمُ منكرٌ، وما كان محرماً فهو منكرٌ. نستنتج أنَّ الواجب والحلال معروفٌ، والحرام منكرٌ.

﴿وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، الذين يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، هم الفائزون، في الدنيا بنجاحهم في أداء تكليفهم بشكلٍ صحيح وسليم، وفي الآخرة بمكافأة الله تعالى لهم بالجنة.

ذكر الفقهاء أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي، يعني إذا ما قام به البعض سقط عن البعض الآخر، لكن إذا لم يقم به أحد، فالجميع مأثومون، إلى أن يقوم به بعضهم. وهو مختلف عن الواجب العيني، أي الواجب على كلِّ فردٍ بعينه، كالصلاة التي لا يقوم بها أحدٌ مكان أحد، فهي واجب عيني على كلِّ مكلف. فالهدف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تتحقق نتيجته، فيبقى واجباً على الجميع إلى أن يسقط بقيام بعضهم به.

الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من ضرورات الدين، التي إذا أنكرها الإنسان خرجَ من الدين، فإذا أنكرَ وجوب الصلاة، أو أنكرَ وجوب الصوم، أو أنكرَ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أنكرَ ضرورة من ضرورات الدين، ومن أنكرَ ضرورةً من ضرورات الدين خرج من الإسلام، وهذا الأمر يختلف عن التقصير في أداء الصلاة أو الصوم أو التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يكون المقصِّر مذنباً وليس خارجاً عن الدين.

١- مسؤولية الجميع

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]. لماذا اعتبرنا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

الله تعالى خيرَ أمة؟ هذا التوصيف ليس لقباً لمكانةٍ مجانية، بل وصفٌ لجماعةٍ قامتْ بعملٍ صالحٍ مؤثِّرٍ في الحياة، فأمَرتْ بالمعروف ونَهتْ عن المنكر، انطلاقاً من إيمانها بالله تعالى والالتزام بأوامره.

لاحظ معي، الخطابُ موجَّه الى الجماعة ليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويؤازر بعضهم بعضاً لأداء هذه الفريضة على مستوى الأمة، فمجتمع المؤمنين مجتمعٌ متكامل بين أبنائه، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]. هذا الواجب العظيم الملقى على عاتق المؤمنين مُقوِّمٌ من مقومات عظمة المسلمين وموقعهم كأمَّةٍ خيِّرة، يؤدون دورهم المطلوب في هذه الحياة، وهو لا يخص فئةً من الناس، أو من علماء الأمة، بل يشمل الجميع، فالآثار تقع على الجماعة بأسرِها.

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دائرةٌ عامة تنهض بها الجماعة في المجتمع، ودائرةٌ خاصة بكل فرد بحسب مسؤوليته وسلطته وتأثيره، وهو واجبٌ عملي يتحقق بالقيام به، بصرف النظر عن نتائجه. سأل أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام عن قوله جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

﴿وَالْحِجَارَةُ﴾[١]، كيف أقيهم؟ فأجاب الإمام عليه السلام: **«تَأْمُرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّه، وتَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّه، فَإِنْ أَطَاعُوكَ كُنْتَ قَدْ وَقَيْتَهُمْ، وإِنْ عَصَوْكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ»**[٢]. إذا بلَّغتَ وأرشدتَ ونهيتَ وحذَّرتَ أهلك من المعصية، فاستجابوا لك، فقد قمتَ بما عليك، ووقيت أهلك النار، واذا لم يستجيبوا لك، فقد قمتَ بواجبك، وقضيتَ ما عليك.

النهضةُ التي قادها الإمام الحسين عليه السلام، وذروةُ التضحية من أجلها في كربلاء العظيمة، مبنيةٌ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كتب الإمام الحسين عليه السلام في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية: **«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»**[٣]. واجَهَ الإمامُ الحسين عليه السلام الحاكمَ الظالمَ والمنحرف يزيد، وتخاذلَ الأمةِ عن نصرة الحق، فانطلق إلى كربلاء، تلبيةً لهذا الواجب، وأداءً للمسؤولية، ببذل النفس والأهل والأحبة قربة إلى الله تعالى، وليقيم الحجة على المسلمين، بإقامة الدين، ومواجهة الانحراف، وهذا نموذجٌ من نماذج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الجماعة.

---

(١) سورة التحريم، من الآية: ٦.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٦٢.

(٣) ابن الأعثم، الفتوح، ج ٥، ص: ٣٣. مقتل الخوارزمي، ج١، ص: ١٨٨.

يجب فهم حدود وضوابط التكليف الشرعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقيام بهما، فقد تلتبس المفاهيم عند البعض، ويستهتروا أو يتركوا هذه الفريضة العظيمة جهلاً أو انحرافاً، وحذار من خطر قلب المفاهيم للتملص من هذه المسؤولية، بتحويل الحق إلى باطل، والباطل إلى حق. فقد حذر رسول الله ﷺ أصحابه فقال: **«كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَدَتْ نِسَاؤُكُمْ، وفَسَقَ شَبَابُكُمْ، ولَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، ولَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ. فَقِيلَ لَه: ويَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ ونَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ. فَقِيلَ لَه: يَا رَسُولَ اللَّه ويَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، وشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَراً والْمُنْكَرَ مَعْرُوفاً»**[١].

٢- متى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟

أربعة شروط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأول: العلم بهما، بأن تعرف المعروف والمنكر، والحلال والحرام، وذلك بحسب تعريف الشريعة، وليس بحسب الاعتبارات والاجتماعية أو الأهواء الشخصية.

الثاني: أن تحتمل التأثير في الطرف الآخر الذي تأمره

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٥٩.

بالمعروف أو تنهاه عن المنكر، فإذا لم تحتمل التأثير فيه، فليس من واجبك أن تأمره بالمعروف أو تنهاه عن المنكر، ومع عدم وجود القابلية لدى الطرف الآخر، يسقط التكليف عنك، اذ لا فائدة من أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر.

الثالث: أن يستمر العاصي بالمعصية ويصر عليها، فلنفترض أن أحدهم ارتكب معصية (استغابة، نميمة، سرقة...) ثم تاب إلى الله تعالى، فلا محل للأمر أو النهي. أمَّا إذا استمر بالمعصية، فالمجال متاح لأمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر.

الرابع: أن لا يكون في موعظته أو إنكار العمل عليه مفسدةٌ أو ضررٌ عليك، فلو نهيتَ شخصاً، فكان ردُّه عليك بالشتيمة أو الإيذاء، فهذه مفسدةٌ وضررٌ عليك، ما يُعفيك من واجب أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، ويُسقطه عنك.

عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إذا ما توفرت هذه الشروط الأربعة، على المستوى الفردي مع أهلك وجيرانك وأصدقائك ومن لك علاقة به، وعلى المستوى الجماعي في السياسة والإصلاح الاجتماعي وتعميم الفضائل ورفض الرذائل، بما يتطلب أحياناً تضحية استثنائية تتطلب توجيهاً من الفقيه المتصدي..

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث: قال رسول الله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليُغيِّره بيده، فإنْ لم يستطع**

فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان»[١]. الإنكار باليد، والإنكار باللسان، والإنكار بالقلب. وقد رتبها فقهاؤنا من الأدنى إلى الأعلى، إنكار القلب، ثم إنكار اللسان، ثم إنكار اليد. أي أنَّ أول النهي بالإنكار القلبي الذي يعبِّر عن الرفض النفسي، وهذا ما يمكن تحقيقه عند جميع الناس. فإذا لم يغير الإنكار بالقلب الواقع، يتم الانتقال إلى المرتبة الثانية وهي الإنكار باللسان، بالموعظة والنصيحة والزجر والتوبيخ بحسب الحالة. فإذا لم ينفع، يتم الانتقال إلى المرتبة الثالثة وهي استعمال اليد مع وجود القدرة، أي استخدام السلطة والقدرة والقوة المتمثلة باليد، ما يساعد على المعالجة.

مثال: تُنكرُ معصية ولدك بقلبك فلا يمتنع، ثم تعظه وتزجره بلسانك فلا يمتنع، ثم تمنعه من الذهاب مع أصدقائه أو تحرمه من المال أو تقفل التلفاز وهذا من استعمال اليد.

مثال آخر: تُنكرُ الرذائل التي يرتكبها بعض الشباب في الحي بظلم الناس أو الاعتداء على ممتلكاتهم أو استخدام الألفاظ الفاحشة وذلك بقلبك فلا ينفع ذلك، ثم تنتقل إلى الموعظة والزجر باللسان فلا ينفع ذلك، ثم تتعاون مع بعض أهل الحي لمناصرة المظلومين ووضع حدٍّ لهؤلاء ضمن الاستطاعة، وهذا هو استعمال اليد.

---

(١) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج ١، ص: ٥٠.

٣- النتائج

يقول رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ لَيُبْغِضُ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا دِينَ لَه. فَقِيلَ لَه: ومَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا دِينَ لَه؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»**(١).

يجب على كل إنسان مؤمن أن يقوم بهذا الواجب ولو بأدنى المراتب، فلا يكون راضياً عن المنكر.

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَيْثُ مَا عَمِلُوا مِنَ الْمَعَاصِي، ولَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ عَنْ ذَلِكَ، وإِنَّهُمْ لَمَّا تَمَادَوْا فِي الْمَعَاصِي ولَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ عَنْ ذَلِكَ نَزَلَتْ بِهِمُ الْعُقُوبَاتُ. فَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، واعْلَمُوا أَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يُقَرِّبَا أَجَلاً، ولَمْ يَقْطَعَا رِزْقاً»**(٢)، فلا يعتذر الإنسان لعدم نكرانه المنكر خوفاً من أن ينقطع رزقه، فالرزق على الله تعالى، ولديه مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليقم بما يستطيع وفق الشروط الأربعة المذكورة أعلاه.

أوحى الله تعالى إلى النبي شعيب عليه السلام: **«يا شعيب، إني مُهلكٌ من قومك مئة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم.**

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٧.

فقال شعيب: هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟

فقال تعالى: داهَنُوا أهلَ المعاصي، فلم يغضبوا لغضبي»[١].
انتبه من غضب الله بسبب مسايرة أهل المعاصي من دون أن تنهاهم أو تبتعد عنهم عند عجزك عن التأثير بالنهي.

وعن الرسول ﷺ: «**لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإن لم يفعلوا ذلك، نُزعت منهم البركات، وسُلِّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصرٌ في الأرض ولا في السماء**»[٢].

٤- كيف نتعامل مع أهل المنكر؟

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِي بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ**»[٣]، ليدركوا أخطاءهم، وعدم موافقتنا لأفعالهم، وإصرارنا على دعوتهم إلى الخير. وقال عليه السلام: «**أدنى الإنكار أنْ يلقى أهل الْمَعَاصِي بِوُجُوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ** »[٤]، فليشعر صاحب المعصية أنك غير فرح بلقائه، وأنَّه غير مرحب به بسبب معصيته، إذ يمكن لهذا التصرف أن يرجعه إلى صوابه، وعلى كل

---

(١) قطب الدين الراوندي، قصص الأنبياء، ص: ٢٤٤.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص: ١٢٣.
(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٥، ص: ٥٩.
(٤) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٦، ص: ١٧٧.

حال فصحبة أهل المعاصي تأخذ إلى المهالك، لأنهم يروِّجون لمعاصيهم، فتتعرض لاحتمال ارتكابها بمعاشرتهم.

إنَّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقوِّم المجتمع، وتعدِّل المسار، وتنقذ من المعاصي والآثام، فقم بواجبك لتنقذ نفسك من المسؤولية.

٣ - المسؤولية

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ (الرعد ١٨).

المفتاح

أنتَ مسؤولٌ عن نَفْسِك، وعمن تتولّى أمرَهُ، فتحمَّلْ مسؤوليتك التي لا مفرَّ منها، تنجو وتفز.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، الذين يستجيبون لأوامر الله تعالى، ويطبقون شريعته المقدسة، وينتهون عن النواهي التي نهى عنها. والحسنى: كلُّ عطاءٍ يعطيه الله تعالى، ومنه الجنة، فالذين يستجيبون لله تعالى لهم الحسنى في يوم القيامة ومنها الجنة، لأنَّهم تحملوا المسؤولية والأمانة بشكل صحيح.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾، أي الذين لم يستجيبوا لشريعة الله المقدسة ولم يطبقوها، ولم يمتنعوا عن النواهي التي نهى الله تعالى عنها، فعصوا وكفروا بالله جلَّ وعلا، وأخَلُّوا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم. هؤلاء ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ فملكوا ما على الأرض، من سهول وجبال ومعادن ونباتات وأرزاق وأنعام وإمكانات وقوة، ﴿وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ أي بمثل ما هو موجود على هذه الأرض مضاعفاً، ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ﴾ وبذلوه يوم القيامة ليتخلصوا من عذاب الجحيم والنهاية الأليمة، فهم حاضرون لأي مقايضة ليتخلصوا من العذاب الأليم! وهم جاهزون لأي فدية مهما بلغت! ولكنهم وصلوا إلى يوم الحساب، حيث لا عمل ولا مقايضة ولا فدية ولا فرصة جديدة ولا مهلة لتعديل سجل الأعمال، فالقرار حاسم، وقد تم اتخاذه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾. في مكانهم الأبدي في النار، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ﴾، الذي سيكون مكان إقامتهم ونومهم، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ والذي لا استقرار فيه ولا راحة ولا خلاص.

١- المسؤولية الشخصية

كلُّ إنسانٍ مسؤولٌ في هذه الحياة الدنيا، ولا يستطيع أن يتهرب من مسؤوليته، وعليه أن يحسم خياره واتجاهه أولاً، هل هو مؤمنٌ أم لا؟ هل هو ملتزمٌ بدين الله تعالى أم لا؟ هل هو مستعدٌ لعبادة الله تعالى أم لا؟.

لقد أتاح الله تعالى له ليختار أحد الطريقين، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(١)، فلا إمكانية إلَّا أن يكون شاكراً أو كفوراً، مؤمناً أو كافراً، وسيتحمل مسؤولية خياره أمام الله تعالى ويحاسب عليه في يوم القيامة.

خلَقَ الله الإنسان في أحسن تقويم مصحوباً بالمسؤولية، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢)، والخلافةُ مسؤوليةٌ وليست تكريماً، وهي مقدمةٌ للسؤال في يوم القيامة، الذي يشمل جميع البشر من دون استثناء، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٣)، سيسأل الله تعالى يوم القيامة الأقوام الذين أرسل الله تعالى إليهم الأنبياء، ويسأل الأنبياء والرسل الذين أَرسلهم إلى الناس، وماذا فعلوا؟ هل استقاموا على هدي شريعة

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٢) سورة البقرة، من الآية: ٣٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦.

الله تعالى المقدسة؟ وهل أحسنوا الخلافة؟ وهل أدوا واجباتهم؟ فالأسئلة موجَّهة للرسل والأنبياء وجميع الناس.

كلٌّ إنسان مسؤولٌ عن نفسه، فلا يتحمل أحدٌ معه أو عنه هذه المسؤولية، قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]. تسجَّل الصالحات في صحيفة أعماله، وتسجَّل السيئات أيضاً في صحيفة أعماله، فهو يتحمل مسؤولية أعماله، ولا عمل من دون مسؤولية، ولا نشاط من دون مسؤولية. إذا قالَ فهو مسؤول، وإذا سمعَ فهو مسؤول، وإذا ربّى فهو مسؤول، وإذا أكل فهو مسؤول، وإذا قام بأي حركة أو تصرف في العلاقة مع الآخرين فهو مسؤول، فليسعَ ليقوم بهذه المسؤولية. أنت مسؤولٌ من خلال جوارحك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2]، هذه الجوارح تلتقط المعطيات وتُدخلها إلى الدماغ الذي يتخذ القرار للعمل، ترى فتعمل، وتسمعُ فتعمل، وتفكرُ فتعمل، فالجوارح باب مسؤوليتك عن الأعمال التي تقوم بها.

٢- المسؤولية عمَّن تتولاهم

تشمل مسؤوليةُ الإنسان من يتحمل مسؤوليتهم، ويكون له سلطة عليهم، فالسلطةُ مسؤولية، والقرارُ مسؤولية، والعملُ الذي

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

يقوم به الآخرون بناء لأوامر صاحب السلطة يتحمل مسؤوليتها، إضافة إلى ما يترتب على العامل نفسه.

مثال على ذلك: الأب هو السبب المباشر لولادة الأولاد، وهو مسؤولٌ عن تربيتهم، فلا يستطيع أن يتهرب من هذه المسؤولية يوم القيامة، بحجة أنَّه مسؤول عن نفسه وعمله فقط! فهو مسؤولٌ عن تربيتهم وتهيئتهم ليكونوا مسؤولين عن خياراتهم في طاعة الله تعالى، ففي الفترة التي يكونون فيها تحت سلطته وقراره يتحمل المسؤولية عن نفسه وعنهم، وبعد أن يصبحوا مكلفين يتحملون مسؤولية أعمالهم.

لو افترضنا أنك مسؤولٌ في معمل، أو مدرسة، أو حي، أو بلدة، أو منطقة، أو رئيسٌ في دولة... أي سواء أكانت المسؤولية صغيرة ومحدودة بعدد قليل من الأفراد، أم كبيرة وتشمل عدداً كبيراً منهم، فأنتَ تحملُ هذه المسؤولية وعليك تَبِعاتها، وأن تقوم بها بشكل صحيح، بأن تعدِلَ بينهم، ولا تظلمهم في طريقة التعاطي معهم، وتعطيهم حقوقهم، وتتعامل معهم كبشر لهم حقوق وعليهم واجبات، وتأخذ بأيديهم للاستقامة في هذه الحياة... لأنَّك صاحبُ القرار، وقد سلَّمك هؤلاء أمرهم، إما قهراً بالظروف التي جعلتك مسؤولاً عنهم، وإمَّا طوعاً بالاختيار والانتخاب.

لا يتحمل الفرد المسؤولية عن نفسه فقط، بل يتعداها إلى

المسؤولية عمن يديرهم ويرعى شؤونهم وله الآمرية عليهم، فعن رسول الله ﷺ: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم**»[١]، فعلى كل إنسان أن يرعى الوظيفة التي يتحمل مسؤوليتها، وأن يقوم بواجبه تجاهها.

ينشأ أغلب الأولاد الصالحين في مجتمعنا بسبب التربية في منازلهم، وأغلب الأولاد الفاسدين بعلة التربية الفاسدة في بيوتهم، فالبيت هو المهد الأول الذي يُنشئ تربية صالحة أو فاسدة. الأب صاحب الإدارة والأم شريك فيها، ويتأثر الأولاد بأهلهم، كما تتأثر المجموعة بقائدها، والناس بأميرهم، فإذا تصرف المسؤول بأخلاقية قلدوه بتصرفهم الأخلاقي مع الناس، وإذا تصرف معهم بعصبية ولؤم تصرفوا مثله بعصبية مع الآخرين. فالمسؤولية تشمل المسؤولية الشخصية والمسؤولية العامة، فأنت مسؤول عن نفسك بالدرجة الأولى، ومسؤول عمن ترعاهم وتتحمل مسؤوليتهم بالدرجة الثانية، في أن تُصلح أحوالهم وتأخذ بأيديهم نحو الاستقامة.

خاطب رسول الله ﷺ معاشر قرّاء القرآن: «**يَا مَعَاشِرَ قُرَّاءِ الْقُرْآنِ، اتَّقُوا اللَّه عَزَّ وجَلَّ فِيمَا حَمَّلَكُمْ مِنْ كِتَابِه، فَإِنِّي مَسْؤُولٌ،**

---

(١) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٦، ص: ٨.

وإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ، إِنِّي مَسْؤُولٌ عَنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وأَمَّا أَنْتُمْ فَتُسْأَلُونَ عَمَّا حُمِّلْتُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّه وسُنَّتِي»(١). عندما تقرأ القرآن فأنت تحمل مسؤولية التوجيهات الإلهية الصادرة إلى المؤمنين، ففي القرآن أوامر ونواهٍ، ولا تتوقف قراءة القرآن عند الأجر والثواب فقط، بل تمتد إلى التوجيه والعمل وتحمُّل المسؤولية. فإذاً هذه مسؤولية شرعية تقع على حملة القرآن الكريم، الذين يرتقون درجات عند الله تعالى، لأنهم يقرأون ويعملون بما قرأوا، وهم مسؤولون عن تبليغ الرسالة قولاً وعملاً، لأنفسهم وللآخرين.

قالَ عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبَّاسٍ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِذِي قَارٍ، وهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَه، فَقَالَ لِي: **«مَا قِيمَةُ هَذَا النَّعْلِ؟ فَقُلْتُ: لَا قِيمَةَ لَهَا. فَقَالَ** عليه السلام: **واللَّه لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا»**(٢). فالإمام لا تهمه الإمرة أو المسؤولية في شكلها ومكاسبها بل بواقعها الذي يتحمل فيها مسؤوليته الحقيقية، بأن يُقيم حقاً أو يدفع باطلاً. يُبيِّن الأمير عليه السلام لابن عباس أنَّ المسؤولية هي الأساس وليس المنصب أو المركز، فإذا استلم الإنسان مسؤوليةً ما، فلندعُ له بأن يُعينه الله على حسن أداء هذه المسؤولية لينجح فيها، وهذه هي المباركة الحقيقية.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٦٠٦.
(٢) نهج البلاغة، ص: ٧٦.

٣- المسؤولية أمانة

جرت حادثة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام تُبيِّن عظم المسؤولية التي يتحملها ويراعيها في سبيل الله تعالى، عندما كان خليفة وأميناً على بيت مال المسلمين، فكان يوزع لكل مسلم نصيبه المقرر من بيت المال. «جاء عقيل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو صاحب عيال كثير وفقير وقد أخذ حصته من بيت مال المسلمين ولكنها لم تكن كافية له، فطلب من الأمير الزيادة ولم يتوقع أن يخيبه، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام أحمى حديدة وقربها من يد عقيل فأحس بحرارتها وصرخ: فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِه، وتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِه! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى ولَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى»**[1]. علي عليه السلام مسؤولٌ وأمينٌ على بيت مال المسلمين، لا يصرف منه خارج الضوابط والعدالة ولو إلى أقرب الناس إليه.

يَجمعُ أغلب المسؤولين في العالم عندما يتسلمون سدَّة الحكم، أموالاً كثيرة من الصفقات ومخالفة القوانين والسرقة، ويستخدمون بعض الأموال الموضوعة بإشرافهم لأمورهم الخاصة؟! وكلُّ واحدٍ من الناس في موقع المسؤولية يستطيع أن يرتكب الحرام مهما كانت الرقابة عليه، فهناك طرق كثيرة للاحتيال

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٣٤٧.

والسرقة، ولا يحجب ارتكاب الحرام إلّا عيش المسؤولية تحت رقابة الله تعالى، فما الذي يردع هؤلاء البعيدون عن الله؟.

يترتب على المسؤولية حسابٌ عند الله تعالى، يقول الرسول ﷺ: «**إنَّ الله تعالى سائلٌ كل راعٍ عما استرعاه، أَحفِظَ ذلك أم ضيَّعه، حتى يُسألَ الرجلُ عن أهلِ بيته**»[1]. ستُسأل يوم القيامة عن مسؤولياتك، فإذا كنت مسؤولاً عن عشرة فستُسأل عنهم، وإذا كنت مسؤولاً عن الأمة فستُسأل عنها.

يوصي أمير المؤمنين علي عليه السلام محمد بن أبي بكر وأهل مصر بقوله: «**أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون، وإليه تصيرون، فإنَّ الله تعالى يقول: كُلُّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، ويقول: وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ، ويقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[2]». تتحدث الآيات الثلاث عن المساءلة في يوم القيامة، فماذا سيكون جوابك لله تعالى؟ حيث لا يغادر كتاب الأعمال صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها؟ وتكون الأمور واضحة وبيِّنة، ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[3].

يدعونا الرسول ﷺ أن نراقب أعمالنا وأن نقوم بمسؤولياتنا: «**حاسبوا أنفسَكم قبلَ أنْ تُحاسَبوا، وزِنُوها قبلَ أنْ تُوزنوا،**

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٦، ص: ١٦.
(٢) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ١٧٧.
(٣) سورة القيامة، الآية: ١٤.

وتجهَّزوا للعَرضِ الأكبر»[١]. تجهزوا ليوم الحساب، فأنتم مسؤولون عن أنفسكم، ومسؤولون عن أهلكم وأولادكم وأمتكم، فالتفتوا الى مسؤوليتكم.

لماذا يرتكبُ الإنسانُ الحرام؟ وأنا أسأل مرتكب الحرام: كم تدومُ اللذة التي تحصل عليها؟ لحظة، دقيقة، دقيقتين؟! ثم تذهبُ اللذة وتبقى تبعاتها. فلو وقفت في مواجهة اللذة (المحرَّمة) للحظةٍ، بقوةٍ ورفضٍ وامتناع، فستعاني قليلاً ثم ترتاح بعدها، حامداً لله تعالى الذي أنجاك من هذه المعصية. تعامَلْ مع المعصية كما تتعامل مع الشرطة، فلو سار شخص بسيارته ليلاً، وصادف إشارة المرور الحمراء، فإنَّه يلتفت يميناً وشمالاً فلا يجد أحداً في الشارع، فيتجاوز الإشارة لعدم وجود أحدٍ يراقبه، أمَّا لو كان يعلم بأن الشرطي موجود، أو رآه أمامه، فلن يتجاوز الإشارة الحمراء ولو كان وحده في الشارع، لأنه يخاف من أن يضبطه مخالفاً، فيتوقف بانتظار الإشارة الخضراء. أتخاف من شرطي المرور، ولا تخاف من رقيبين على كتفيك، يسجلان كل لحظة وكل حركة، ثم تكون أعمالك حاضرة في كتابٍ جامعٍ يوم الحساب؟! ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٢]. مسكينٌ أيها الإنسان، كيف تُجري حساباتك؟.

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص: ٩٩.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

الأمر المهم هو أن نفهم طبيعة المسؤولية التي نتحملها أمام الله تعالى، يقول النبي ﷺ: «**كلُّ نعيمٍ مسؤولٌ عنه يوم القيامة، إلا ما كان في سبيل الله تعالى**»[١]. كل شيء يتحمل الإنسان مسؤوليته يوم القيامة إلَّا إذا كان في سبيل الله تعالى. فالمجاهد لا يُسأل عن جهاده لأنه في سبيل الله تعالى، ومن يُحسن تربية أولاده لا يُسأل عن فعله ولا يُحاسب عليه، فما كان في سبيل الله من قولٍ صالح، وعملٍ صالح، وجهادٍ في سبيل الله تعالى، يُسجَّل لمصلحة صاحبه، ولكن يحاسِب الله على النِّعَم التي فرَّط بها الإنسان ولم يؤدها بشكل صحيح. كيف نميِّزُ ذلك؟ عن أحد أصحاب الإمام: **دعا أبو جعفر عليه السلام أبا خالد الكابلي للغداء، ووضع أمامه طعاماً طيباً، فأكل واستأنس بهذا الطعام، فقال عليه السلام: يا أبا خالد! كيف رأيت طعامنا؟ قلتُ: جُعِلْتُ فداك ما رأيتُ أنظف منه قط ولا أطيب، ولكنني ذكرتُ الآية في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾. قال أبو جعفر عليه السلام: لا، إنما تُسألون عما أنتم عليه من الحق**»[٢]. فالسؤال هل سرت على طريق الحق أم لا؟ فوزك مرتبط بالسير على طريق الحق.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**فَاتَّقُوا اللَّه عِبَادَ اللَّه، وبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وتَرَحَّلُوا**

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧، ص: ٢٦١.

(٢) البرقي، المحاسن، ج ٢، ص: ٤٠٠.

فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، واسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا، فَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى»[1]، هذه مسؤولية شرعية أمام الله تعالى.

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٩٥.

٤ - الخُلُقُ الحَسَنُ

قال تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ١-٤).

المفتاح

حُسنُ الخُلُق لذةٌ روحية ونفسية وعملية للإنسان تسمو به في الحياة الدنيا، وسوءُ الخُلُق شقاءٌ ومرارةٌ وتعب له فيها، وكلما اقترب المؤمن من مكارم الأخلاق ربح وعاش السعادة.

﴿ن﴾ حرفٌ من الأحرف الأبجدية للغة العربية، وقد «افتتح القرآن الكريم تسعة وعشرين سورة من مائة وأربع عشرة سورة بحروفٍ مقطَّعة، وتعود هذه الحروف إلى أربعة عشر حرفاً بما يعادل نصف الحروف الهجائية. أمَّا الآراء حول معانيها والمقصود منها فقد وصلت إلى ما يزيد عن عشرين قولاً، ولعلَّ المعنى الراجح، هو نزول هذه الحروف في مطالع بعض السور كتعبيرٍ عن التحدي للمشركين، بأنَّ هذا القرآن قد نزَلَ مؤلفاً من هذه الأحرف الأبجدية المتداولة بينكم، وأنتم تتباهون بفصاحتكم ومعلَّقاتكم الشعرية على أستار الكعبة، فلو كان من عند غير الله تعالى، لاستطعتم أن تأتوا بمثله، ولكنَّه من عند الله تعالى، ولذا لن تأتوا بمثله أبداً، على الرغم من وجود هذه الحروف بين أيديكم، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، قَسَمٌ بالقلم، الذي يكتبون به أسطراً، إذاً يقسم الله تعالى بالقلم والكتابة، وقد أقسم الله تعالى في آيات عديدة من القرآن الكريم بمخلوقاته، قال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[2]، وقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾[3]، وقال:

(١) راجع التفاصيل في كتاب «القرآن منهج هداية» للمؤلف، ص: ٥٦-٥٨.
(٢) سورة الليل، الآيتان: ١ و ٢.
(٣) سورة التين، الآيتان: ١ و ٢.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[(١)]، وقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا لَشَدِيدٌ﴾[(٢)]..الخ، وأقسم بالأرض والسماوات والنجوم وغيرها، ليلفت نظرنا إلى نِعَمِه، وإلى أهمية الموضوع المقصود بعد القسم، فيشدنا القسم إلى عظمة الخالق في خلقه. لنستمع إلى قوله بدقة وانتباه.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، اتهم الكفار النبي ﷺ بأنه مجنون، فرفع الله تعالى عنه هذه التهمة، مقسماً بالقلم وما يسطرون، بأنَّ الهداية والنبوة والعصمة نعمة وليست جنوناً.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾، سيكون لك أجرٌ على ما بلَّغتَ به رسالة الله تعالى، وتحمَّلتَ من عناء وتضحية، أجرٌ غير ممنوع أي غير مقطوع، بل مستمر، ولا حدَّ له، وهو محفوظ عند الله تعالى بعطاءات لا تُحصى ولا تُعد.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، تميزتَ يا محمد بأنَّك تحمل أخلاقاً عظيمة، وهو أمرٌ لا يُستهان به، فالخُلُق العظيم مرتبةٌ عالية جداً، تُعبِّرُ عن تجسيدك للإيمان الأكمل بين ظهرانيهم، وتتماهى مع موقعك ودورك وتأثيرك في الناس.

وصفت إحدى زوجات النبي خلقه فقالت: «**كان خُلُقُه القرآن**»[(٣)]، لقد طبَّق الرسول ﷺ في حياته كلَّ مكارم الأخلاق

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧.
(٢) سورة العاديات، الآية: ١.
(٣) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٦، ص: ٩١.

وكمالها التي وردت في القرآن الكريم، وعكسها على علاقاته مع الناس.

١- ماهية الخُلُق الحَسَنُ

رسول الله ﷺ قدوتُنا، وعلينا أن نتمَّثل أخلاقَه، فنتعلمَّها، ونتربى عليها، ونربي الناس لسلوكها، وهو القائل: «**إنما بعثتُ لأُتمم مكارمَ الأخلاق**»[١]. وإذا أردت أن تعرف ماهية الإسلام فهو حسن الخلق، فعن الرسول ﷺ: «**الإسلامُ حسنُ الخُلُق**»[٢]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: « **حسنُ الخُلُق رأسُ كل بِرّ**»[٣]، والرأس هو الأساس الموجِّه للجسد، والذي يعطي الأوامر ويرشد إلى الأعمال. وفي رواية ثالثة: « **حُسْنُ الخُلُق نصفُ الدين**»[٤].

نقل الإمام الحسين عليه السلام عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصف النبي ﷺ، قوله: «**كان رسولُ الله ﷺ دائمَ البِشر، سهلَ الخُلُق، ليّنَ الجانب. . .**»[٥]، وهذا جزءٌ يسيرٌ من صفات رسول الله ﷺ. رسولُ الله ﷺ دائمُ البِشر، **فإذا نظر اليه أحدُهم استأنسَ وارتاح، وإذا تحدَّث معه اطمأنَ**، فهو دائم بشاشة الوجه، يستقبل الآخرين بلطف وإيجابية. وكان التعامل مع رسول الله ﷺ سهلاً،

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٨.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٣، ص: ١٧.

(٣) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ٢٢٧.

(٤) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ٣٠.

(٥) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص: ٢٨٤.

فهو يسمع ويناقش ويترك الفرصة للآخرين ليعبِّروا عما يجول في خاطرهم ويطرحوا أسئلتهم واستفساراتهم، فإن أخطأوا تحمَّل منهم ولم يصدهم أو يعاديهم، ولا يُتعب محاوريه في اختيار عبارات الخطاب، فعن الإمام علي عليه السلام: **«شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَه»**[١]، حيث يحيِّرك بعض الناس في كيفية مخاطبتهم، فهم يحسبون للكلمة ألف حساب، فتعاني في اختيار كلماتك لمخاطبتهم بكلمات لا تستفزهم أو تغضبهم أو يفهمونك خطأ. والرسول صلى الله عليه وآله لين الجانب، ويتحلى بالمرونة، فلا قسوة في محادثته أو معاشرته، بل الرقة واللطافة المحبَّبة للجالسين في مجالسه والمخاطَبين. نحن بحاجة إلى هذه الإطلالة، بأن نربي أنفسنا على هذه الصفات، في بيوتنا، ومع أهلنا وأصدقائنا، ومع الناس جميعاً، لنضفي جواً من الأنس، الذي يبدأ ببشاشة الوجه والاستقبال الحسن.

جاء رجل إلى الصادق عليه السلام وقال: أخبرني يا بن رسول الله بمكارم الأخلاق، فقال: **«العفو عمن ظلمك، وصلة من قطعك، وإعطاء من حرمك، وقول الحق ولو على نفسك»**[٢]، هذه أربعة عناوين موصلة إلى مكارم الأخلاق، فالعفو عمن ظلمك بعدم ردِّ الصاع صاعين، وإنما بالعفو مع أنَّ الحق لك. وإذا قطعك أحد أقربائك، فلا تقطع صلته، ولا تقابل القطيعة بالقطيعة، بل بادره

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٥٥٩.

(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٣٥٥.

إلى الصلة. وإذا حرمك أحدٌ من أمر لك حق فيه أو ترغبه، وأتى يوم كنت قادراً فيه أن تحرمه، فأعطه ولا تحرمه، طلباً للأجر من عند الله تعالى. وقل الحق في كل مواقعك ولو على نفسك، وكن صادقاً وعادلاً ومؤمناً حقيقياً.

وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**كان أَجودَ الناس كفاً، وأَجرأ الناس صدراً، وأَصدقَ الناس لهجةً، وأَوفاهم ذمَّةً، وأَلينَهُم عريكةً، وأَكرَمَهم عِشْرَةً، من رآه بديهةً هابَه، ومن خالطَه معرفةً أَحبَّه، لم أَرَ قبله ولا بعده مِثلَه**»[1]. هذه الصفات هي التي جعلت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموقع القدوة.

وقد وصفه تعالى مع أصحابه بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]، فانظر إلى هذه الرحمة من محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه، وهذا السلوك الذي ينطلق من الكلمة الطيبة والوجه البشوش واللين والعفو والاستغفار لهم والمشورة في قضاياهم، إنَّه النموذج الأرقى من حسن الخلق الذي يؤثر في المؤمنين، ويجذبهم إلى دين الله تعالى.

لا ترددوا على أولئك الذين يقولون بأنَّ حُسن الخلق يسبِّب استخفاف الناس بكم، أبداً، فالبشاشة، والتصرف بأخلاقية عالية،

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ١٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

والتسامح، والعفو، صفاتٌ تحقق رضوان الله تعالى، وتفتح الطريق أمام إصلاح الناس، وتجعله صاحبها في الموقع الإنساني التربوي والريادي، فالخلق الحسن صلاحٌ لصاحبه وخيرٌ للناس.

٢- الطريقُ إلى حُسْنِ الخُلُق

رسم أمير المؤمنين علي عليه السلام الخط العام الذي يساعد على مكارم الأخلاق ويحميها، فقال: «**إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم**»(١). اتبَّع ما أحلَّه رب العالمين في المعاملات والسلوك والعلاقات مع الآخرين والقوانين والعقود، فستجد الآثار الأخلاقية محيطة بها، واجتنب ما حرَّمه الله تعالى لتجتنب الرذائل والآثار السلبية، فالغضب سلبي، والعبوس بالناس أمرٌ سلبي، واستخدام الكلام القاسي مع الآخرين أمرٌ سلبي...، إنَّها رذائل في مقابل الفضائل والأخلاق الحسنة.

من خطوات حسن الخُلق البدء بالتحية: السلام عليكم، وهذا من إفشاء السلام بين الناس، بكل معاني السلام الروحي والاجتماعي والأخلاقي... ما يوجِدُ حالةً من السكينة والسلام بين الناس. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنَّ بذل التحية من محاسن الأخلاق**»(٢).

روى أحد العاملين في مكتب الإمام الخميني(قده)، قائلاً:

---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٣.

«كان من الصعب على أي شخصٍ أن يسبق الإمام بالسلام عند دخوله إلى أي مكان، وكان يحدث مراراً أن نسبقه في الدخول إلى غرفة عمله، وتبقى عيوننا معلَّقة باتجاه الباب انتظاراً لدخوله بحالة الاستعداد للسلام عليه، ولكنَّه رغم ذلك يسبقنا بالسلام، إمَّا قبل أن يدخل الغرفة، أو فور دخوله»[١].

عاش الرسول ﷺ في مكة المكرمة، ثلاث عشرة سنة، عذَّبه فيها أهلها، وأزعجوه وضيَّقوا عليه، واتهموه بالسحر والكذب والجنون، ووضعوا الأشواك في طريقه، ولاحقوه إلى الطائف فرماه أطفالها بالحجارة وهو يدعو إلى الله تعالى، وحاصروه في شِعب أبي طالب ثلاث سنوات، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً، ليتراجع عن إيمانه! وهجَّروا أصحابه، وقتلوا سمية وزوجها، ثم هاجر إلى المدينة المنورة وأقام دولة الإسلام، وبعد ثماني سنوات عاد إلى مكة فاتحاً، قائلاً لأهلها: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»[٢]، فلم يعاملهم كما عاملوه، ولم يتشفَّ منهم. هذه هي الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ.

يُروى أن رجلاً كان يبغض آل البيت عليهم السلام، فرأى الإمام زين العابدين عليه السلام في جمعٍ من أصحابه، فوقف أمام الجمع ووجه الإهانات إلى الإمام زين العابدين عليه السلام ثم غادر المكان. سأل

---

(١) الرجائي، قبسات من سيرة الإمام الخميني(قده)، ص: ٢٦٩.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٣، ص: ٥١٣.

الإمام من كان معه عن منزل الرجل؟ ثم ذهب الإمام ومن معه إلى منزل ذلك الرجل، فدعاه إلى الخروج من منزله والرجل يظن بالأمر شراً، فقال الإمام عليه السلام: **«يا أخي إنك كنتَ قد وقفتَ علي آنفاً، فقلتَ وقلتَ، فإن كنتَ قلتَ ما فيَّ فأستغفر الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فيَّ فغفرَ الله لك». فقبَّل الرجلُ ما بين عينيه، وقال: بل قلتُ فيك ما ليسَ فيك، وأنا أحقُّ به»**[1].

رَسَمَ لقمان الحكيم المعروف بمواعظه خطَّ الإيمان العام لولده: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، ثم نصحه بمعالي الأخلاق، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3].

والآيات التي ترشد إلى الأخلاق الحسنة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

---

(١) الشيخ المفيد، الارشاد، ج ٢، ص: ١٤٥ و ١٤٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٣) سورة لقمان، الآيات: ١٧-١٩.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١١.

ومنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ابتعدوا عن الظن والتجسس والغيبة والأخلاق الذميمة، فطريقكم إلى الصلاح والسعادة بسلوك مكارم الأخلاق.

ومنها العفو والإحسان: كانت جاريةٌ تصب الماء لإمامنا زين العابدين عليه السلام، فسقط الوعاء من يدها على وجهه فشجَّه، فرفع رأسه، فقالت الجارية: «**إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فقال** عليه السلام: **قد كَظَمْتُ غيظي. قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال** عليه السلام: **قد عفا الله عنك. قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال** عليه السلام: **اذهبي فأنتِ حُرَّة**»[2].

يوجهنا الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أهمية الاعتياد على السلوك الحسن، وتدريب النفس على الأخلاق الحسنة، فيقول عليه السلام: «**عوِّد نفسك السماح، وتخيَّر لها من كل خُلُقٍ أحسنَه، فإنَّ الخيرَ عادة**»[3]، فالذي يتعود على الخير يفعل خيراً، والذي يتعود على الشرِّ يفعله، ولكل امرئٍ من دهره ما تعوَّدا. ليست الأخلاق صعبة ولا معقدة، فالذي يتعود على السماحة يسامح

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٢٦٩.

(٣) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٨٠٥.

دائماً، والذي يتعود على الكلام الحسن والجيد يتكلمه دائماً مع الناس، فالإنسان قادر على تعويد نفسه على الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة.

٣- نتائجُ سوءِ الخُلُق

نعوذ بالله تعالى من نتائج سوء الخلق، فإنَّها تتراكم وتضيِّع كل شيء، فعن الرسول ﷺ: **«أَبَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ لِصَاحِبِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ بِالتَّوْبَةِ. قِيلَ: وكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: لأَنَّه إِذَا تَابَ مِنْ ذَنْبٍ وَقَعَ فِي ذَنْبٍ أَعْظَمَ مِنْه»**[1]، فتكرار الذنب بعد التوبة يعطل مفاعيل التوبة، ويمنع الإصلاح والتوبة النصوح.

سوء الخلق مسارٌ مليءٌ بالفساد، وكلما أوغل فيه الإنسان ازداد فساداً، وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»**[2].

وعن الرسول ﷺ: **«ثلاثٌ من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله عز وجل. قيل: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: حلُمٌ يردُّ به جهلَ الجاهل، وحُسْنُ خُلُقٍ يعيشُ به في الناس، وورعٌ يحجزُهُ عن معاصي الله عزَّ وجلَّ»**[3].

قيل لرسول الله ﷺ: فلانة تقوم الليل، وتصوم النهار،

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٣٢١.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٢١.
(٣) الشيخ الصدوق، الخصال، ص: ١٤٥ و ١٤٦.

وتفعل الخيرات، وتصَّدَّق، وتؤذي جيرانها بلسانها. فقال ﷺ: «**لا خير فيها هي من أهل النار**»[١]. لم تنفعها صلاتها وصيامها لعدم تحلِّيها بالأخلاق الحسنة ! ولم تنهها صلاتها عن الفحشاء والمنكر، ولم يقوِ الصوم إرادتها ليوصلها إلى التقوى، وهذا ما تبيَّن من أخلاقها السيئة. لا يكفي الإيمان اللفظي ولا العبادات بظاهرها من دون أثر ايجابي على السلوك، علماً بأنَّ السلوك السيِّىء يؤذي صاحب الرذائل قبل أن يؤذي غيره، وتتعذب نفسه قبل أن يعذِّب الآخرين، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ سَاءَ خُلُقُه عَذَّبَ نَفْسَه**»[٢]. ثم يحاسب حساباً عسيراً في يوم القيامة. فعن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّه حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بَذِيءٍ قَلِيلِ الْحَيَاءِ، لَا يُبَالِي مَا قَالَ ولَا مَا قِيلَ لَه، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَّشْتَه لَمْ تَجِدْه إِلَّا لِغَيَّةٍ أَوْ شِرْكِ شَيْطَانٍ. فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه وفِي النَّاسِ شِرْكُ شَيْطَانٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ: وشارِكْهُمْ فِي الأَمْوالِ والأَوْلادِ**»[٣].

٤- نتائجُ حُسْنِ الخُلُق

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**من سرَّه أن يكونَ من أصحابِ القائم فلينتظر، وليعملْ بالورع ومحاسنِ الأخلاق، وهو منتظر،**

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٩، ص: ١٨٦.
(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٣٢١.
(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٢٣ و ٣٢٤.

فإنْ ماتَ وقامَ القائمُ بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدُّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابةُ المرحومة»[(١)].

وعن الإمام الحسن عليه السلام: **«دخلتُ على أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يجودُ بنفسه لما ضربه ابن ملجم، فجزعتُ لذلك، فقال لي: أتجزع؟ فقلتُ: وكيف لا أجزع وأنا أراك على حالك هذه؟ فقال عليه السلام: ألا أعلمك خصالاً أربع إنْ أنتَ حفظتهن نلتَ بهنَّ النجاة، وإنْ أنتَ ضيعتهن فاتَكَ الداران؟ يا بني، لا غنى أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشد من العجب، ولا عيش ألذ من حُسن الخُلُق»**[(٢)].

حسنُ الخلق لذةٌ يشعر المؤمن بطعمها وآثارها على نفسه وعلى الناس، وهو مسار السعادة في الدنيا مع كل بلاءاتها وتعقيداتها، والأجر العظيم عند الله تعالى في يوم القيامة .قال الإمام الخامنئي(دام حفظه): **«التَّغييرُ الأخلاقي والباطني، والتوجهُ نحو الصفاء والإنسانية، والعبوديةُ لله، يَتضمَّنُ سعادةَ بني الإنسان»**[(٣)].

إنَّ فوائد حُسن الخلق لا تحصى ولا تعد، ومنها ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«حُسْنُ الأخلاق يدرُّ الأرزاقَ ويؤنسُ الرفاق»**[(٤)].

---

(١) النعماني، الغيبة، ص: ٢٠٧.
(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص: ١١١.
(٣) الكلمات القصار للإمام الخامنئي(دام حفظه)، ص: ٩٨.
(٤) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، ص: ٨٠٥.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : **«الْبِرُّ وحُسْنُ الْخُلُقِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ ويَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ»**[١].

رسم الإسلام لنا صورة الأخيار في الدنيا، الذين يحملون مكارم الأخلاق ويسعون إليها، ففي الحديث: **«أَفَاضِلُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً، الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافاً، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ ويُؤْلَفُونَ»**[٢].

وهم الأكمل إيماناً، الذين يتم قياس كمال إيمانهم بكمال أخلاقهم، فعن الرسول صلى الله عليه وآله : **«إنَّ أكملَ المؤمنين إيماناً أحسنُهُم أخلاقاً»**[٣].

وتبقى عطاءات الله تعالى في يوم القيامة هي الدافع الأصلي والمكافأة العظيمة التي يبتغيها المؤمن، فعن النبي صلى الله عليه وآله : **«مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ امْرِئٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»**[٤].

وبالحد الأدنى، فحُسن الخلق يخفِّف عن المؤمن يوم القيامة، فعن علي عليه السلام : **«حَسِّنْ خُلُقَك يخفِّف الله حسابَك»**[٥].

ولا يستهان بأثر الأخلاق وأجرها، فهي نتاج جهاد النفس ومعاندتها، أي نتاج الجهاد الأكبر، ولذا فهي في مصاف جهاد

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٢.
(٣) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٤٧.
(٤) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ٩٩.
(٥) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص: ٢٧٨.

الأعداء، فعن الصادق عليه السلام: **«إِنَّ اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى لَيُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ، كَمَا يُعْطِي الْمُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّه، يَغْدُو عَلَيْه ويَرُوحُ»**[١].

أنصحكم ونفسي بحسن الخلق اقتداءً بمحمد صلى الله عليه وآله الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، تعيشوا الهناء والسعادة في الدنيا والثواب والتوفيق والجنة في الآخرة.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٢، ص: ١٠١.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

٥ - الرحمة

قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

المفتاح

رحمةُ الله واسعة، فتعرَّض لها لتحصلَ عليها، فإذا استجاب الله تعالى لك، زادَكَ من فضله ورزَقَك بغير حساب.

١- سعة الرحمة

يطلبُ المؤمنون من الله تعالى أن يشملهم برحمته، بحسنَةٍ في الدنيا وحسنَةٍ في الآخرة، فيذكِّرهم بعذابه للعاصين، ورحمته الواسعة التي لا حدَّ لها.

سعةُ رحمة الله تعالى لا تترك مجالاً في الحياة إلَّا وتشمله، فهي تشمل المؤمنين والكافرين، وتشمل المخلوقات الحية والجامدة، وتشمل كل ما في هذا الكون من دون استثناء، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فلا رحمة يبتغيها الإنسان خارج الرحمة الإلهية التي تسع كل شيء من دون استثناء.

تبدأ سور القرآن الكريم بالبسملة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ما عدا سورة براءة، وتُستحبُّ البسملة عند الشروع بأي عمل، أكان نشاطاً أو طعاماً أو كتابةً أو قراءةً أو أي شيء. البداية ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لتنطلق أعمالنا مراعيةً لأوامره، طالبةً عونه. تذكرنا البسملة برحمة الله تعالى الواسعة، فالله هو الرحمن، وهو الرحيم. الرحمن من الرحمة، والرحيم من الرحمة، لكن يفرِّق المفسرون بين الرحمن والرحيم، فالرحمن هو الذي تسع وتشمل رحمته المؤمن والكافر في الدنيا، وأمَّا الرحيم فهي رحمةُ الله تعالى المختصة بالمؤمنين في الآخرة، كما ورد في الآية القرآنية: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

إذاً رحمةُ الله تعالى حاضرة في كل آنٍ، وتسعُ كلَّ شيء،

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ١٢٨.

وبشكل خاص المتقين، قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، الذين يعيشون مع هذه الرحمة في كل حركةٍ وسَكَنة وأداء. هؤلاء المؤمنون يقومون بتكليفهم الشرعي، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾، فيدفعون الأموال المستحقة على أموالهم وممتلكاتهم التي يترتب عليها الزكاة والحقوق الشرعية، إنهم يؤتون الزكاة.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، يؤمنون بآيات الله الدالة عليه، والآيات جمع آية، والآية علامة، والعلامة تدل على الله تعالى، فالسماء من آيات الله، وكذلك الأرض والإنسان وجميع مخلوقات الله تعالى، والآيات القرآنية أيضاً هي من آيات الله تعالى، لأنها دالة على الله، إذ إن الأحكام والتعاليم التي يذكرها الله تعالى في هذا القرآن الكريم تدل على الخالق المدبر العظيم.

الرحمةُ الإلهية لجميع الناس، قبل أن يسألوا عنها، فهي ليست محصورة بالسؤال والطلب، تشملك الرحمة وأنت طفل، وتحيطك وأنت شاب، كما تتوفق لها وأنت كهل، ففي دعاء شهر رجب المستحب بعد كل فريضة يومية: «**يا مَنْ يُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، يا مَنْ يُعْطِي مَنْ لَمْ يَسأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، أَعْطِنِي بِمَسأَلَتِي إِيّاكَ جَمِيعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَمِيعَ خَيْرِ الآخرةِ، واصْرِفْ عَنِّي بِمَسْأَلَتِي إِيَّاكَ جَمِيعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخرةِ**»[١]. فإذا ما كنت مؤمناً يزيدك الله تعالى من عطائه إضافة إلى ما أعطاك، ويضيف من رحمته عليك إضافة إلى الرحمة العامة التي يعطيها للناس بشكل عام.

---

(١) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال، ج ٣، ص: ٢١١.

حدَّثنا الله تعالى عن إرسال محمد ﷺ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، فإرسال النبي ﷺ رحمة، فهو يدلُّ الناس على طريق الهدى، ويرشدهم لما فيه مصلحتهم، ويأخذ بأيديهم ليكونوا متَّقين، ولولاه لعاشوا الضياع والضلال، وخضعت حياتهم للتجارب الخاطئة والسلبية.

يختار الماديون منهجهم البشري، فيجربون ويخطئون، ثم يعتذرون بنقص الخبرة وانكشاف أمورٍ جديدة! يقررون هذه النظرية التربوية، وبعد عشر سنوات يغيِّرون رأيهم بها، وهكذا... يغيرون ويبدلون دائماً، وتَدفَعُ مجتمعاتٌ بكاملها أثماناً لهذا التغيير، ثم يكتشفون بأنهم مخطئون!

أرسل الله تعالى لنا النبي محمداً ﷺ ليهدي البشرية، وهذه من أعظم الرحمات علينا. فعندما نعرف أي طريق نسلك، وأي طريق تهدي الى النور، وأي طريق تُريح في حياتنا وتطمئننا بأننا نمضي في هذه الدنيا بشكلٍ سليم في علاقاتنا الثلاث مع ربِّنا وأنفسنا ومجتمعنا، وأي طريق تدخلنا يوم القيامة إلى جنة الله تعالى لنحيا مستقرين فيها، فهذا من أعظم الرحمات. فلا تستهينوا برحمة الإسلام، ورحمة القرآن، ورحمة محمد ﷺ وآل محمد عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، فالكتاب ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٢.
(٣) سورة يوسف، من الآية: ١١١.

لاحظوا ربط الهداية بالرحمة، وفي الواقع الهدايةُ هي الرحمة العظمى.

وقال الرسول ﷺ: «**لو تعلمون قَدَر رحمة الله تعالى لاتَّكلتُم عليها**»[١] هذا المقدار من التسليم لله تعالى يُطمئن الإنسان ويريحه فيما قسم الله تعالى له في هذه الدنيا. ولكن مشكلتنا نحن البشر أننا لا نعلم سعة رحمة الله، فإذا واجهتنا مشكلة أو عقبة معينة نعتمد على أنفسنا، ونعتقد بأننا نستطيع فعل ما نشاء! ولكن الأمور تسير بغير ما تشتهي الأنفس في بعض الأحيان، فعلى الإنسان أن يقبل ذلك، ويعرف أن لا نصيب له في الأمر، وليتوكل على الله تعالى بحثاً عن المأمول، أو انتظاراً لعطاء الله تعالى.

قسَّم الله تعالى الإمكانات والأرزاق بمقادير قدَّرها للعباد، ما لا طائل معها من السعي لتجاوزها، فقد وزَّع الله بتقديرٍ من رحمته، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾[٢]. اعلم أنك مخلوقٌ لله تعالى الذي يقسم الرحمة ويوزعها، فعُد إليه، واسأل ربك ما تريد، لكنك لا تستطيع أن تحصل على ما لا يحق لك، ولو اعتقدت أنَّه حقٌّ لك، لذا انظر إلى الرحمات والنِّعَم التي وصلتك، فهي لا تُحصى ولا تعد، ولكن مشكلتنا أننا لا نقدِّر ما أعطانا الله تعالى إياه، ونريد الأكثر دائماً! ألم يعطك الله العقل،

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٤، ص: ٢٥٠.
(٢) سورة الزخرف، من الآية: ٣٢.

والعينين، واللسان، والقلب الذي يعمل ليل نهار من دون الحاجة إلى من يحركه ؟! كل شيء يعمل داخل جسدك من دون أن تتدخل في إدارته، هذه النعمة هي رحمة من الله تعالى، ولكن الإنسان لا يلتفت إلى ما أَلِفَهُ يومياً، وإلى التوفيقات المتكررة في حياته! كم مرة أنقذك الله تعالى من مخاطر وصعوبات وتعقيدات وآثام؟ كم مرة أكرمك الله تعالى بالفوز والنجاح وتحقيق رغباتك؟ ألم يحبّب الله تعالى أولادك إليك، وأقاربك، وأهلك؟ كلها من نِعَم الله تعالى ورحمته، وهي نزرٌ يسير من مجمل ما أعطانا الله تعالى إياه.

الله تعالى برحمته الواسعة أرحم الراحمين، وقد أعطانا الرسولﷺ مثلاً عن امرأة من السبي، تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فخاطب أصحابه: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**

قالوا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه.

فقالﷺ: **الله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها**»[١].

إذا كنا لا نتعقَّل بأن ترمي الأم ولدها في النار، فهل يتعقل أحد بأن يرمي الله تعالى مخلوقاته في النار؟ هذا أمر غير معقول. فلنسأل أصحاب الجحيم، لماذا حُشروا فيها؟ خلقهم الله تعالى، وأعطاهم كل شيء، وهداهم إلى الطريق المستقيم، وعرَّضهم لصعوبات في حياتهم ليتعظوا، وأراهم العِبَر من الأقوام السابقين،

(١) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٨، ص: ٩٧.

فرفضوا أوامر الله ونواهيه، ورفضوا تحمل مسؤوليتهم تجاه أنفسهم وفي مجتمعهم، ولم يشكروا النعمة، ولم يعتبروا، فهم لا يستحقون جنة الله تعالى، وقد اختاروا النار بأعمالهم، ومن عدل الله تعالى أن لا يدخلهم إلى الجنة، فقد أضاعوا الفرص الكثيرة، ولا يمكن أن يتساووا مع المؤمنين المضحين.

يبيِّنُ لنا رسول الله ﷺ مدى سعة رحمته، فيقول: «**إن الله تعالى خلق مئة رحمة، فرحمة بين خلقه يتراحمون بها، وادخر لأوليائه تسعاً وتسعين**»(١)، فما يجري في هذه الدنيا بين الناس نتيجة رحمة واحدة من الله تعالى، وهناك تسع وتسعون رحمة لأوليائه، فاعملوا لتكونوا من أولياء الله تعالى، فتصيبكم هذه الرحمة العظيمة التي تحتاجونها، وتحقق لكم السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

٢- الرحمة والفضل

يوجد ارتباط بين الرحمة الإلهية والفضل الإلهي، فبقدر ما يعطينا الله تعالى من رحمته فهو فضلٌ منه، ثم يزيدنا من عنده بعطاءات إضافية لا نستحقها بالحسابات الدقيقة بل بفضله، الذي يفيضه جلَّ وعلا على المؤمنين المجاهدين، يقول تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص: ١٠٤٩.

مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١]. فالله تعالى يعطيهم أفضل أعمالهم مضاعفة بأفضلها، ويُعطيهم إضافة عليها من الكرم الإلهي، فيفتح لهم باب الرزق بغير حساب.

ويقول تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢]. عندما يسجل لك الحسنة بعشرٍ والسيئة بواحدة، يعطيك الفرصة لترتقي وتعلو، هذا من رحمة الله تعالى، ثم يزيدك بعد ذلك من فضله.

علَّمنا أئمتنا عليهم السلام كيف ندعو الله تعالى، ولكن بعض الذين يقرأون الأدعية لا يفهمون معناها ومضمونها! عندما نطلب من الله تعالى علينا أن نعرف ماذا نطلب، وماذا نريد، وأن نطلب الأقصى أملاً بالإجابة، فمن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلهي، أنتَ أَجودُ المسؤولين، وأنا أحوَجُ السائلين، يا من لا يُرجى إلَّا فضلُه، ولا يُخافُ إلَّا عدلُه، عاملني بفضلك، ولا تعاملني بعدلك**»[٣]، فلو أراد الله تعالى أن يحاسبنا بعدله لهلكنا، ولو حاسبنا على كل عمل قمنا به بدقة لخسرنا، لكن بفضله وسماحته، وشفاعة محمد وآل محمد عليهم السلام، يدخلنا الجنة.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٧ و ٣٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) المحقق الداماد، اثنا عشر رسالة، ج ٨، ص: ٩٥.

٣- لَا تَقْنَطُوا

علينا أن لا نيأس مهما كانت الظروف التي نمر بها، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. يعطي الله تعالى الفرص الكثيرة للتوبة والعودة عن المعاصي، فلا يحاسب على السيئات مباشرة، وإنما يؤجله للاستفادة من التوبة والغفران لكل أنواع الذنوب، وهذا من رحمة الله تعالى وفضله.

على الإنسان أن لا يغترَّ بالرحمة فيفرح ويزهو بها ناسياً مسؤولياته، كما عليه أن لا يفقد الأمل إذا ما وقع في اختبارات صعبة وأصابه البلاء، قال تعالى: ﴿إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾[2]. على الإنسان أن لا ييأس من رحمة الله عز وجل، الذي يعوض عليه في الدنيا قبل الآخرة، ولو كان مسبِّباً لخسائره ويتحمل مسؤوليتها.

جاء رجلٌ إلى الحسن البصري، وسأله عمَّن يدخل إلى الجنة ومن يدخل إلى النار، فأجابه: «**ليس العجبُ ممن هلَكَ كيف هلك، وإنما العجبُ ممن نجا كيف نجا**»، مبيناً صعوبة النجاة في يوم القيامة، وقلة الناجين. ثم جاء السائل إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فروى له حديثه مع الحسن البصري وجوابه عن

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

مسألته، فقال الإمام عليه السلام: **«أنا أقولُ: ليس العجبُ ممن نجا كيف نجا، إنما العجبُ ممن هلَكَ كيف هلك مع سعة رحمة الله»**[١]، مبيناً يُسرَ النجاة، فرحمة الله الواسعة تسبق كلَّ الاحتمالات، ولا يكون الهلاك إلّا بسبب جحود الإنسان. لا تيأس من رحمة الله تعالى، وأعِد حساباتك، وتعرَّف على أخطائك، وعالج ثغراتك، وأنت متأملٌ باستنزال الرحمة الإلهية، والاستفادة من الفرص المتاحة لك، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٢].

٤- استنزالُ الرَّحمة

نحن بحاجة إلى استنزال الرحمة الإلهية علينا، فإذا قمنا ببعض الأعمال والأذكار فسنحصل عليها، وقد أرشدتنا الأحاديث الشريفة الى خطوات استنزال الرحمة، ومنها:

١- مراجعة الأعمال والاستعانة بالدعاء والمناجاة: فعن الإمام الباقر عليه السلام: **«تعرَّضْ للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعِنْ على حُسْنِ المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظُّلَم»**[٣]، راجع نفسك وأعمالك، وراقب تفاصيل حياتك، لكشف العلل وموارد التقصير، ثم اعمل على إصلاحها، واستعن

---

(١) الشريف المرتضى، الأمالي، ج ١، ص: ١١٣.

(٢) سورة لقمان، من الآية: ٣٤.

(٣) الحرّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٢٨٥ و ٢٨٦.

على حسن ذلك بخالص الدعاء متقرباً إلى الله تعالى ومناجياً له، ليساعدك في جوف الليل المظلم والبطالون نيام.

٢- **طاعة الله تعالى**: قال رسول الله ﷺ: «**تعرَّضُوا لرحمة الله بما أمرَكُم من طاعته**»[1]، فعندما تنفذ أوامر الله تعالى في العبادات والمعاملات فأنت تلتزم بخط الطاعة، وقد وعد الله برحمة عباده المؤمنين الذين يطيعونه فيما أمر، إنَّه غفور رحيم.

٣- **ذِكْرُ الله تعالى**: يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**بذكر الله تستنزل الرحمة**»[2]، يكون ذكر الله تعالى باللسان: سبحان الله، والحمد لله، والشكر لله، . . .، ويكون بالقلب الذي يلهج به، وأثناء العمل بالحرص على رضاه جلَّ وعلا، وفي كلِّ الحالات: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[3].

٤- **العفو**: فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**بالعفو تستنزل الرحمة**»[4]، فاعفُ عن الآخرين، وسامح بحقوقك، تتعالى عن الخصوصية، فيكافئك الله تعالى عليه، وينزل رحمته عليك، فتبلغ مقاماً محموداً.

٥- **بذلُ الرحمة**: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ببذل الرحمة**

---

(١) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص: ١٠٥١.
(٢) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٨٨.
(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٩١.
(٤) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٨٩.

تستنزل الرحمة»[١]، فالله تعالى يرحمك عندما ترحم الناس، فارحم الصغير عند الخطأ، وارحم الكبير تقديراً لسنِّه، وارحم من ارتكب خطأً بحقك بعدم معاقبته، وليكن ديدنك الرحمة في علاقاتك وتصرفاتك.

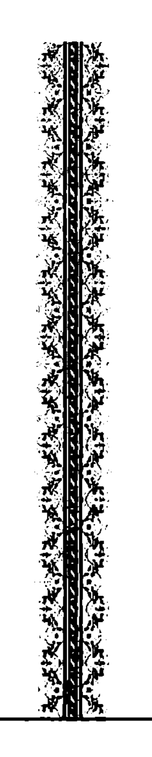
٦- **رحمةُ النفس والناس:** في جوابه ﷺ لرجل جاءه سائلاً: أحب أن يرحمني الله، قال رسول الله ﷺ: «**ارحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله»**[٢]، فمن سلك طريق الرحمة لنفسه وللناس استحق رحمة الله تعالى.

٥- عطاءٌ لا ينضب

العطاء الإلهي لا ينضب ولا يتوقف، يقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**واعلم أنَّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم، ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده، ولم يؤمِّن الخائفين بقدر خوفهم، لكن آمنهم بقدر كرمه وجوده، ولم يُفرح المحزونين بقدر حزنهم، ولكن بقدر رأفته ورحمته»**[٣]، فاليوم عندما تتواضع لا يرفعك الله بقدر تواضعك، وإنما يرفعك بقدر عظمته، فإذا رفعك تواضعك عشر درجات، يتدخل الله تعالى ليرفعك أضعافاً مضاعفة، بما يتجاوز عطاءك بكثير، وربما يتجاوز طلبك بكثير، فهذا من سعة رحمة الله تعالى.

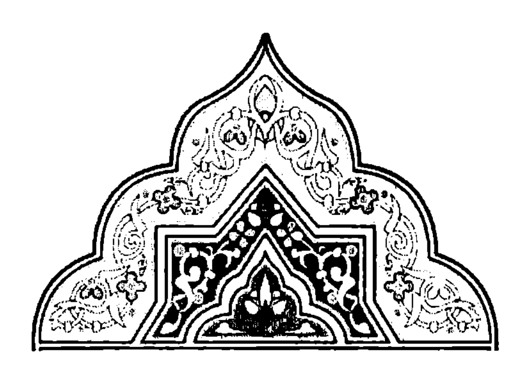
---

(١) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص: ١٩٠.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٦، ص: ١٢٨.
(٣) الحرَّاني، تحف العقول عن آل الرسول، ص: ٣٩٩.



الفصل السادس

القيادة القدوة



١ - الرسول القدوة

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (الأنبياء ١٠٧ و ١٠٨).

المفتاح

القيادة القدوة تُقدِّمُ لنا الأُسوةَ الأكمل، وتأخُذُ بأيدينا إلى سلامةِ وصحةِ الاتجاه، وتُصوِّبُ سلوكَنا، فنعمل واثقي الخُطى ومطمئنين.

١- الرسالة الخاتمة

أرسل الله تعالى النبي محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، وليس لجماعة دون أخرى، ولا لبلدٍ دون آخر، ولا لقبيلة دون أخرى، وإنما للعالمين جميعاً من الأولين والآخرين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾. وبما أنَّ الرسول محمداً ﷺ سيقوم بدور الهداية، والإرشاد إلى الطريق المستقيم، فهو رحمة، وإرسالُهُ رحمة، والرسالة الإسلامية التي أُرسِل بها رحمة. هذه الرحمة هي عطاءٌ من الله تعالى بلا مُقابل، ومن دون سؤال، وهي الهداية إلى الطريق الصواب، بما يُسْعِد الإنسان في الدنيا ويُثيبه في الآخرة.

محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، الذين ناهز عددهم مائة واربعة وعشرين ألف نبيٍّ، فهو سيِّدُ الرسل والبشر وأهمُّهُم وأعظمُهُم، والإنسانُ الأكملُ والأوَّلُ بلا مُنازع، حمل الرسالة الكاملة التي جمعت رسالات الأنبياء في صيغتها النهائية المنسجمة مع الحاجات الإنسانية في كلِّ الأماكن والعصور، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

يُحدثنا النبي محمد ﷺ عن نفسه، فيقول: «**مَثَلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنَها وأكمَلَها وأجملَها، وتركَ فيها موضع لَبِنَة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويُعجبونَ منه،**

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٣.

ويقولون: لو تَمَّ موضع هذه اللَّبِنَة. فأنا في النبيِّين موضع تلك اللَّبِنَة»[(١)]، فمن دون هذه اللبنة لا تكتمل النبوة في دورها ورسالتها على مستوى الإنسانية، ونحن نقتدي بهذه الصفات الكاملة لنسعَدَ في حياتنا.

مهمةُ النبي ﷺ أن يدعو الناس: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾، وهو مرسلٌ من عند الله تعالى، وما يقوله وحي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[(٢)]، وهو المعصوم في القول والفعل والتقرير، لا يخطئ ولا يسهو ولا ينسى، وما يبلِّغه عن الله تعالى هو اليقين بعينه.

ومكانةُ النبي ﷺ أيضاً محفوظة، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[(٣)]، ولم يحصل على هذا الدور لأنه من عشيرة مُعينة، أو قبيلة معينة، أو من شبه الجزيرة العربية، أو مكة المكرمة، فمكانته ليست مرتبطةً بالمكان أو الزمان أو الجماعة أو الأبوة أو البنوة أو القرابة بل بمؤهلاته وأدائه وسلوكه، والأعمال التي قام بها. لقد وصل إلى درجة العصمة بجدارته وتقواه، نجاحٌ له من الموقع الإنساني، وسببٌ لمنحه موقع النبوة من الله تعالى استحقاقاً.

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ج ٥، ص: ١٣٧.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ و ٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

تحدث أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ومو قعه ودوره، فقال: «**أَمِينُ وَحْيِهِ، وخَاتَمُ رُسُلِهِ، وبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، ونَذِيرُ نِقْمَتِهِ**»[1]، فهو الأمينُ على الوحي، وقد بلَّغ الأمانة بدعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد، واتِّباع تعاليم الإسلام.

٢- وما ينطق عن الهوى

النبي صلى الله عليه وآله أميٌّ، لا يقرأ ولا يكتب. ناقش البعض حول معنى أمي، وهل هي النسبة إلى مكة أم القرى التي سُمي من يسكن فيها أُميّاً؟ اذ كيف يمكن أن يأتينا بهذه البلاغة العظيمة في القرآن الكريم! ونسوا أنَّه وحي الله تعالى، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2]. الذي بدأ بآيات نزلت من سورة العلق، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3].

٣- حياته المكية

ولد نبيُّنا الأكرم صلى الله عليه وآله يتيم الأب، وتوفيت أُمه وكان عمره ست سنوات، فكفله جدُّه عبد المطلب، الذي توفي بعد سنتين، في سنِّ الثامنة، فكفله عمه أبو طالب، وعاش في كنفه إلى أن تزوج في سن الخامسة والعشرين.

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٤٧.
(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ و ٤.
(٣) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

كان النبيُّ ﷺ مثال الأخلاق العالية في قومه قبل الإسلام، وكانوا يصدقونه ويثقون به، فعندما اختلفوا من يُعيد الحجر الأسود إلى مكانه؟ بعد أن جرفه السيل من مكانه من الكعبة الشريفة، سارعت كل قبيلة من القبائل تريد لنفسها هذه المكرمة، وكاد أن يحصل قتال بين القوم، لكنهم اتفقوا أن يحكِّموا في أمرهم أول رجلٍ يدخل عليهم، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وكانوا يصفونه بالصادق الأمين، **فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَمَرَ بِثَوْبٍ، فَبَسَطَ، ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ فِي وَسَطِه، ثُمَّ أَخَذَتِ الْقَبَائِلُ بِجَوَانِبِ الثَّوْبِ فَرَفَعُوه، ثُمَّ تَنَاوَلَه ﷺ فَوَضَعَه فِي مَوْضِعِه**[1]، وبذلك تكون جميع القبائل قد شاركت بنقل الحجر الأسود إلى مكانه، الأمر الذي أدَّى إلى منع الحرب بينهم.

كان النبي ﷺ يختلي بنفسه في غار حراء، إلى أن أتاه جبرائيل عليه السلام بالوحي وكان عمره أربعين سنة، فكان أول من آمن زوجته السيدة خديجة بنت خويلد(رض)، وأمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يافع في سن الثانية عشرة من عمره. دعا رسول الله ﷺ إلى الله تعالى، فآمن به الفقراء، واختار أن يجتمع مع الثّلة الأولى في دار الأرقم بن الأرقم بعيداً عن الأنظار، حيث كان يبلِّغ المؤمنين رسالة الإسلام ويُثقفهم بالعقيدة ويُربِّيهم على طاعة الله تعالى. مرت ثلاث سنوات، أمره الله تعالى بعدها أن يُعلن دعوته بين الناس، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]، إيذاناً بانطلاق الدعوة

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٤، ص: ٢١٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

عامة، «**فصعد الرسولﷺ ذات يوم إلى الصفا، فقال: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك؟ قال: «أرأيتكم إنْ أخبرتُكُم أنَّ العدوَّ مُصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال عم النبي أبو لهب(لعنه الله): تباً لك ألهذا دعوتنا، فنزلت السورة:** ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾[1]. رفض القوم عبادة الله وترك عبادة الأصنام، ثم بدأ التضييق على النبيﷺ، إلى درجة أن «أم جميل» زوجة عمه «أبي لهب»، كانت تسير وراءه وتضع الأشواك في طريقه، وكان عمُّه يلحق به إلى الكعبة وبعض الأماكن ويقول: لا تصدقوه إنه كاذب، وكان المشركون يقومون بضغط اجتماعي وإعلامي على الرسولﷺ ليمنعوه من التواصل والتأثير بالناس.

سطع نجم النبيﷺ في مكة المكرمة، وبينما كان جالساً في المسجد وحده، أتاه عتبة بن ربيعة مكلَّفاً من قريش، وقال له: يا ابن أخي، إنْ كنتَ إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإنْ كنتَ تريد به شرفاً سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإنْ كنتَ تريد مُلكاً ملَّكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رِئياً تراه لا تستطيع ردَّه

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص: ٤٣.

عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرئك منه. **فأجابه النبي ﷺ بآيات من مطلع سورة فصلت، قال: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[1].

لقد أتاهم النبي ﷺ بقرآن عربي ليفهموا معناه، وبشَّرهم بالجنة وأنذرهم من النار، ولكنهم أغلقوا آذانهم وعيونهم، فهم لا يريدون أن يفهموا ولا أن يناقشوا، ويُروى أنَّ عتبة بعد أن سمع هذا الكلام ذهب إلى القوم وقال لهم: خَلوا بينه وبين ربِّه. فلم يقبلوا منه ذلك، عندها اقترح عليهم أن يقولوا بأنَّه ساحر يأتيه الجن فيؤثِّر على عقله وطريقة تفكيره! ثم نشروا بينهم بأن الرسول ﷺ ساحرٌ، ظناً منهم بأنهم ينجحون في مواجهة هذه العقيدة الجديدة المتينة والمنطقية المدعومة بالأدلة.

تابع النبي ﷺ دعوته، فزادوا الضغط عليه وعلى المؤمنين، وقرَّروا محاصرتهم اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً في شعب أبي طالب، فلا يُبادلونهم التجارة، ولا يتزاورون، ولا يتزاوجون، وقد حرَّضوا عليه جميع القبائل في مكة والمنطقة لمقاطعته، واستمر الحال ثلاث سنوات، جاع فيها المؤمنون، وعطشوا،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص: ١٨٩.

وعانوا، وكان النبيﷺ يضع حجراً على بطنه ويربطه بحزامٍ حتى ترجع معدته إلى الوراء فيخفِّف من ألم الجوع، وهكذا كان يفعل بعض المسلمين.

في نهاية السنة العاشرة للبعثة، أكلت دودة الأرض الكتاب المعلّق على الكعبة الشريفة، والذي أعلنوا فيه قرارهم بالحصار، إلَّا كلمة «باسمك اللهم»، فأخبرهم رسول اللهﷺ بذلك عبر «عمه أبي طالب»، فاندهشوا من هذا الأمر الإعجازي وخافوا ففكوا الحصار. وفي ذلك توفي العام أبو طالب(رض)، وتوفيت السيدة خديجة(رض)، فسُمّي بعام الحزن، لخسارة النبيﷺ للسندين الاجتماعي والمالي عمه «أبي طالب» وزوجته خديجة.

فكَّر النبيﷺ أن يفتح آفاقاً جديدة لدعوته، فذهب إلى الطائف، ليدعوهم إلى دين الله تعالى، لكن القوم واجهوه وأرسلوا صبيانهم يرمونه بالحجارة حتى أُدميت قدماه، فجلس عند جذع شجرة -كما تروي السيرة-، ودعا ربَّه قائلاً: «**اللَّهم إليكَ أشكو ضعفَ قوَّتي، وقلَّةَ حيلتي، وهَواني على الناس، يا أرحَمَ الراحمين. أنتَ ربُّ المستضعفين وأنتَ ربي، إلى من تَكِلُني، إلى بعيدٍ يتجهَّمني، أو إلى عدوٍّ ملَّكْتِه أمري، إنْ لم يكن بكَ عليَّ غضبٌ فلا أُبالي، ولكنَّ عافيتك هي أَوسعُ لي. أعوذُ بنور وجهِك الذي أشرقتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أنْ تُنزلَ بي غضبك، أو يحلَّ عليَّ سخطك، لكَ العُتبى حتى ترضى،**

ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بك»[1]. المهم عنده رضا الله تعالى مهما كانت المعاناة.

٤- حياته المدنية

تحمَّل النبي ﷺ كل العقبات والصعوبات لنشر الإسلام ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، إلى أن هاجر، وفي أواخر المرحلة المكية أخذ البيعة من مجموعة من الأوس والخزرج الذين جاؤوا إلى مكة المكرمة والتقاهم في الكعبة الشريفة، وبلَّغهم رسالة الإسلام، ثم أرسل معهم مصعب بن عمير، فدعا الناس الى الاسلام وعلمهم إياه، فانتشر في المدينة المنورة أكثر مما انتشر في مكة المكرمة، ثم هاجر النبي ﷺ مع أصحابه إلى المدينة المنورة لإقامة دولة الإسلام، وكان قد فداه أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنوم على فراشه يوم خرج النبي ﷺ من مكة من دون أن يدري الآخرون كيف خرج؟ ودخل إلى غار ثور، فنسج عنكبوتٌ خيطانه على الغار، ثم حطت عليها حمامة، وكان المشركون يبحثون عن آثار الأقدام فإذا ما وصلوا إلى مدخل الغار، فوجئوا بنسج العنكبوت وبيض الحمام، ما يؤكد بأن أحداً لم يدخل الغار منذ سنوات طويلة، وهكذا حماه الله تعالى إلى أن انتقل إلى يثرب، فسماها ﷺ «طيبة»، وسماها «المدينة المنورة»، لأنها تنورت بالإسلام العظيم.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص:٢٨٦.

أقام النبيﷺ دولة الاسلام، وطبَّق فيها شريعة الله تعالى، وخاض حروباً عديدة ضد الأحزاب واليهود لحماية الدولة الجديدة، فكان مبلِّغاً ومُعلماً وقائداً وحاكماً وقُدوةً، لقد جسَّد الكمال بأبهى صوره في كلِّ شيء.

٥- النبيﷺ القدوة

أرسل الله تعالى الأنبياء بشراً، يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق، ويجوعون ويعطشون، ويجرحون ويموتون، ويعانون الصعوبات، ويواجهون التحديات، وعندما نرى أن رسولنا الأعظم محمداًﷺ تحمَّل كلَّ هذه التبعات والصعوبات والتعقيدات من أجل نشر هذا الدين وتطبيقه في حياته وحياتنا، عندها نقتدي ببشر مثلنا، تميَّز عنا بكماله، للاستفادة من قابلياتنا للسير على خطاه لنرقى درجاتٍ في طريق الإيمان.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، الأُسوة يعني القدوة، والحسنة هي التي تتميَّز بالحُسن والنتائج الإيجابية والخيِّرة، ولو أرسل الله تعالى لنا القرآن الكريم بطريقة من الطرق، من دون أن يحمله لنا النبي الأكرمﷺ، الذي يجسِّد تعاليمه، لعشنا حالةً من الإرباك بين النظرية التي تتحدَّث عن الكمال والتقوى والآثار العظيمة، وبين السلوك الذي لا نرى له تطبيقاً

(١) سورة الأحزاب، من الآية: ٢١.

عملياً في حياتنا، ولكن مع وجود النبي، فالتطبيق حاصلٌ، والقدوة متحقِّقة كنموذج للناس.

لم يكن يتميز النبي ﷺ عن الحاضرين في مجلسه بثيابه أو مكان جلوسه أو إحاطة الصحابة به بشكل ملفت، وفي أحد الأيام دخل أعرابي يريد أن يتعرّف على الإسلام، فنظر يميناً وشمالاً لا يدري أيهم محمد ﷺ، فعن حذيفة بن اليمان: «**أقبلَ إلينا أعرابي يجرُّ هراوة له، فلما نَظرَ رسول الله ﷺ إليه قال: قد جاءَكم رجلٌ يُكلِّمكم بكلامٍ غليظٍ تقشعرُّ منه جلودُكم، وإنَّه يسألُكم عن أمور، إنَّ لكلامه جفوة. فجاء الأعرابي فلم يسلِّم وقال: أيّكم محمد؟ قُلنا: وما تُريد؟ قال رسول الله ﷺ: مهلاً، فقال: يا محمد، لقد كنتُ أبغضكَ ولم أرَكَ، والآن فقد ازددتُ لك بغضا. قال: فتبسَّمَ رسول الله ﷺ، وغضِبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادةً، فأومأَ إلينا رسولُ الله أن: اسكتوا. فقال الأعرابي: يا محمد، إنَّكَ تزعم أنكَ نبي، وإنكَ قد كذبت على الأنبياء، وما معك من برهانك شيء. قال له ﷺ: يا أعرابي وما يدريك؟ قال: فخبِّرني ببرهانك. قال ﷺ: إن أحببتَ أَخبرَكَ عضوٌ من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني**»[1]، ثم حاوره الحسن عليه السلام وأتمَّ النبي ﷺ فأسلم. استغرب الصحابة كيف تحمَّل الرسول الأكرم ﷺ هذا الأعرابي على فظاظته، تلك هي أخلاق النبوة التي تتحمل في سبيل الدعوة الإلهية.

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص: ٣٣٤.

أجاب الإمام علي عليه السلام الإمام الحسين عليه السلام واصفاً رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دائمُ البِشْر، سَهلُ الخُلُق، ليِّنُ الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ ولا فحَّاشٍ، ولا عيَّاب ولا مدَّاح، يتغافلُ عمَّا لا يشتهي، فلا يؤيِّسُ منه ولا يخيِّبُ فيه مؤمِّلِيه. قد ترَكَ نفسَهُ من ثلاث: المِراء، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كانَ لا يَذمُّ أحداً ولا يُعيِّره، ولا يطلبُ عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلَّا فيما رجا ثوابَه. إذا تكلَّمَ أطرَقَ جلساؤه كأنَّما على رؤوسهم الطير، وإذا سكَتَ تكلموا. ولا يتنازعون عنده الحديث، وإذا تكلَّم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه، يضحكُ مما يضحكون منه، ويتعجَّبُ مما يتعجَّبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المسألة والمنطق، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم حاجة يطلبها فارفدوه، ولا يقبل الثناء إلَّا من مكافئ، ولا يقطع على أحدٍ كلامه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام**»[(١)].

تختصر الآية الكريمة عظمة شخصية النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)]، فهو الأكمل أخلاقاً، والأرقى سلوكاً، والقدوة للبشرية مساراً.

وهو حبيب الله تعالى، فعن الرسول صلى الله عليه وآله: «**إن كان**

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص: ٢٨٤.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

إبراهيم عليه السلام خَليلَه فأنا حَبيبُهُ مُحمَّد»[١]، ويقول النبي ﷺ عن نفسه أيضاً: «**أنا رحمة مهداة**»[٢]، فهو نبيُّ الرحمة.

اقترب رجلٌ من النبي الأكرم ﷺ عندما كان يدعو الناس إلى الإسلام على الصفا، أو قريباً من الكعبة، وهو يرتعد خوفاً من النبي، فقال له ﷺ: «**هوِّن عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد**»[٣]. هذه هي الشخصية العظيمة لرسول الله ﷺ، التي تطمئن الناس وتُقربهم إلى الله تعالى.

كان ﷺ مع أصحابه في سفر، فأمرهم بذبح شاة، فقال أحدهم: عليَّ ذبحها، وقال الآخر: عليَّ سلخها، وقال ثالثهم: عليَّ قطعها، وقال رابعهم: عليَّ طبخها، فقال رسول الله ﷺ: **عليَّ أن ألقط لكم الحطب**. فقالوا: يا رسول الله، لا تتعبن - بآبائنا وأمهاتنا أنت - نحن نكفيك، فقال ﷺ: «**عَرفتُ أَنَّكم تكفوني، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أنْ ينفرد من بينهم، فقام ﷺ يلقط الحطب لهم**»[٤].

عندما بُنيَ مسجد «قباء» أول مسجد في المدينة المنورة، أراد الرسول ﷺ أن يرفع بعض الحجارة ليساعد في بناء المسجد،

---

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص: ٥٦.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١١، ص: ٤٢٥.
(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٦، ص: ٨٨.
(٤) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٢٥٢.

فاعترض المسلمون، فهم يكفونه ذلك، ولكنَّ النبيﷺ أصرَّ أن يكون مشاركاً معهم، فلا فرق بين القيادة وباقي المسلمين في التعاون على الخير ولو بمقدارٍ معين.

كان رسول اللهﷺ في المقدمة في المعارك ضدَّ المشركين، وقد وصف أمير المؤمنين عليعليه السلام النبيﷺ في المعركة، فقال: **«كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهﷺ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْه»**[1].

هذا هو رسول اللهﷺ الذي نؤمن به، والذي يسعد من سار على دربه، هذا هو الذي قدَّم التضحيات العظيمة ليوصل الإسلام إلينا، فرحم الله من عرف طريق الحق وسار عليه، ليفوز في الدنيا والآخرة.

(١) نهج البلاغة، ص: ٥٢٠.

٢ - الولاية

قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾(البقرة ٢٥٧).

المفتاح

الولايةُ إتمامٌ لنِعمةِ الهداية، تُواكِبُنا بقيادتها وتوجيهاتها في حاضرنا، لنُحافظ على استقامةِ مسارِنا، فنَهْنأ بالسعادة والفوز.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، الوليُّ هو الذي يتولى الأمر ويدبره، والله تعالى هو الذي يدبِّر أمور المؤمنين بتوجيههم وإرشادهم إلى طريق الهدى، فعليهم أن يطيعوه وينفذوا أوامره ونواهيه. اذاً الولاية هي الإمرة والإدارة والتوجيه.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، تُخرجُ الولاية لله تعالى المؤمنين من الظلمات إلى النور، والظلمات كثيرة، فقد تكون انحرافاً فكرياً، أو انحرافاً عملياً، أو إفراطاً أو تفريطاً، أو باتجاه اليمين أو اليسار... وتفتح أمامهم طريق الخير والبركات والصلاح. أمَّا نورُ الهداية فهو واحد مصدره الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وتم التعبير عنه بكلٍّ ما يؤدي الى الهداية والفضائل، ومنه إرسال الأنبياء والرسل وعبر الأئمة عليهم السلام.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾، فالذين يديرون شؤون الطاغوت هم أولياء الطاغوت، ومن سلَّمَ أمره لغير الله تعالى فهو بيد الطاغوت، يستمع لغير الله تعالى، ويقوم بأعماله بعيداً عن الله تعالى، واتبّاعهم للطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات.

ليست الولاية مجرّد مشاعر وعواطف بل انقياد وطاعة، فإذا مال الهوى إلى الأهل والأقارب على حساب الدين فهو الانحراف بعينه، أمَّا إذا كان حبهم كجزء من الاستقامة والإيمان فهو من

الدين، والصحيح أن تكون الولاية ممزوجة بالحب لكلّ من والى وتولى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ **يَعْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ إِلَى نُورِ التَّوْبَةِ والْمَغْفِرَةِ، لِوَلايَتِهِمْ كُلَّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّه، وقَالَ:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، **إِنَّمَا عَنَى بِهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى نُورِ الإِسْلَام، فَلَمَّا أَنْ تَوَلَّوْا كُلَّ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللَّه عَزَّ وجَلَّ، خَرَجُوا بِوَلَايَتِهِمْ إِيَّاه مِنْ نُورِ الإِسْلَامِ إِلَى ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ، فَأَوْجَبَ اللَّه لَهُمُ النَّارَ مَعَ الْكُفَّارِ، فَـ:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، **فلما أخرجهم الله تعالى من الظلمات إلى النور، وساروا تحت إمرة إمام عادل، كانوا موالين لله تعالى، فهم تحت إمرته جلَّ وعلا.**

الولاية لله تعالى لها ترجمةٌ عملية في حياة الناس، بالالتزام بأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتّباع تعاليمه، فقد أرسل الله تعالى لنا الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنلتزم بمنهجهم. وأمْرُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو أَمْرُ الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، ص: ٣٧٥.

(٣) سورة غافر، من الآية: ٧.

فاسمعوا لرسول الله محمد ﷺ يرشدكم ويهديكم إلى طريق الله تعالى. ومن يُوالي الرسول ﷺ فإنما يوالي الله جلَّ وعلا.

بعد الرسول ﷺ، نوالي أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم أولياؤنا، نستمع إلى أوامرهم وتوجيهاتهم، ونجسِّ التزامنا بالولاية بإمرتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]، وقد وَرَدَ في الروايات عند الشيعة والسنة، أنَّ هذه الآية الكريمة نزلتْ في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما كان يصلّي في المسجد، فدخله فقيرٌ طالباً صدقة، والإمام في حالة الركوع، فمدَّ عليه السلام يده إلى الفقير مشيراً إلى خاتمٍ في أصبعه ليأخذه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، هذا هو الاتجاه الذي يوصلنا إلى الولاية لله تعالى، باتِّباع أولياء الله تعالى بعد رسول الله ﷺ وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، فمصدر الولاية واحد هي ولاية الله تعالى، ونتيجةُ الولاية واحدة توصل إلى الله تعالى.

فمن أراد ولاية الله تعالى، فليوالِ النبي ﷺ، ثم الأئمة الأطهار عليهم السلام، ليَصل إلى استقامة المنهج وسلامة المسار وعظيم الثواب والرضوان. ولا يمكن الفصل في الولاية بين الشؤون

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و ٥٦.

المادية والمعنوية، ولا بين شؤون الدنيا والآخرة، ولا بين الحياة الفردية والعامة، ولا بين الدين والدولة، فالولايةُ قيادةٌ للإنسان في كلِّ شؤونه العقيدية والفكرية والسياسية والاجتماعية والجهادية.

أهل البيت عليهم السلام أحد الثقلين للهداية العملية، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إني تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض**»[1].

وفي غدير خم، بعد انتهاء الرسول صلى الله عليه وآله من حجة الوداع، جمع المسلمين قبل أن يتفرقوا، معلناً على الملأ إمامة علي عليه السلام قائلاً: «**اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأَدر الحق معه حيث دار**»[2]، فالحق دائماً مع علي عليه السلام، يدور معه، فهو الولي، وعنوان الدين والاستقامة، وعلى الأمة أن تتَّبعه في كلِّ شؤونها.

الأئمة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام اثنا عشر إماماً، أوَّلهم الأمير، وآخرهم المهدي، وتسعة منهم بعد الإمامين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام من وُلْدِ الامام الحسين عليه السلام. روي عن سلمان الفارسي قوله: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين بن على عليهما

(١) مسند أحمد، ج ٣، ص: ١٤.
(٢) الشيخ الأميني، الغدير، ج ١، ص: ١١.

السلام على فخذه، إذ تفرّس في وجهه وقال: «**يا أبا عبد الله، أنتَ سيدٌ من سادة، وأنتَ إمام ابن إمام، أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم، إمامهم أعلمهم أحكمهم أفضلهم**»[١].

تمتد ولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام إلى اثني عشر إماماً، آخرهم القائم المهدي(عج) الحي في زماننا، والبعيد عن أنظارنا، وقد وعدنا الله تعالى أن يظهر في آخر الزمان ليُظهر دينه على يديه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبةٌ وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يُقبل كالشهاب الثاقِب، يملؤها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً**»[٢].

يثبت معه المخلصون، مُظهراً للدين، وباسطاً للعدل، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«**التاسع من ولدك يا حسين، هو القائم بالحق، المظهر للدين، والباسط للعدل.**

قال الحسين عليه السلام: فقلت له: يا أمير المؤمنين، وإنَّ ذلك لكائن؟

فقال علي عليه السلام: أي والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة،

---

(١) الجوهري، مقتضب الأثر، ص: ٩.

(٢) الشيخ الصدوق، كمال الدين، ص: ٢٨٦.

واصطفاه على جميع البرية، ولكنْ، بعد غيبةٍ وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون، المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله عزَّ وجل ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيَّدهم بروحٍ منه»[١].

إمرة الإمام المهدي(عج) وقيادته واجبة علينا، ومع غيبته الكبرى، الحل باتِّباع نائبه الجامع لشرائط القيادة على نهج الولاية، وهذا ما ينطبق على الولي الفقيه الجامع للشرائط، المتمثل في زماننا بالإمام الخامنئي(دام حفظه)، بعد الولي المؤسس لقيادة الأمة ودولة ايران الإسلام في القرن العشرين الإمام الخميني(قده).

علينا أنْ نُتابع مسيرة الولاية بالاقتداء والطاعة للولي الفقيه، وهو الذي يمتلك كلَّ الصلاحيات التي يمتلكها النبي ﷺ والإمام عليه السلام، قال الإمام الخميني(قده): «**فتوهُّم أن صلاحيات النبي ﷺ في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين عليه السلام، وصلاحيات أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من صلاحيات الفقيه، هو توهُّم خاطئ وباطل. نعم إنَّ فضائل الرسول ﷺ بالطبع هي أكثر من فضائل جميع البشر، لكن كثرة الفضائل المعنوية لا تزيد في صلاحيات الحكم. فالصلاحيات نفسها التي كانت للرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام في تعبئة الجيوش، وتعيين الولاة**

---

(١) الشيخ الصدوق، كمال الدين، ص: ٣٠٤.

والمحافظين، واستلام الضرائب وصرفها في مصالح المسلمين، قد أعطاها الله تعالى للحكومة المفترضة هذه الأيام. غاية الأمر لم يعيِّن شخصاً بالخصوص، وإنما أعطاه لعنوان العالِم العادل»[١].

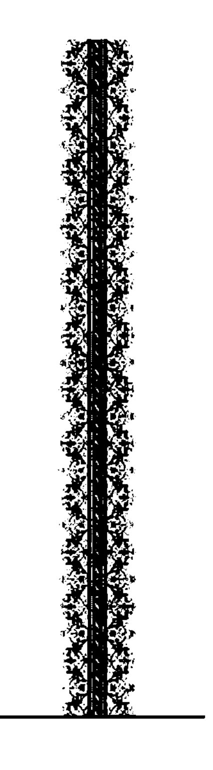
وقال الإمام الخامنئي(حفظه الله): **«المراد بالولاية المطلقة للفقيه الجامع للشرائط هو أنَّ الدين الإسلامي الحنيف - الذي هو خاتم الأديان السماوية، والباقي إلى يوم القيامة - هو دين الحكم، وإدارة شؤون المجتمع، فلا بدَّ أن يكون للمجتمع الإسلامي بكلِّ طبقاته ولي أمر، وحاكم شرع، وقائد ليحفظ الأمة من أعداء الإسلام والمسلمين، وليحفظ نظامهم، وليقوم بإقامة العدل فيهم، وبمنع تعدي القوي على الضعيف، وبتأمين وسائل التقدم والتطور، الثقافية والسياسية والاجتماعية، والازدهار لهم»**[٢].

سلسلة الولاية تحقِّق النجاة والسعادة، فالولاية لله تعالى أولاً، ثم النبي ﷺ، ثم الأئمة عليهم السلام، ثم للفقيه العادل، ليتم تسليم الراية إلى الإمام المهدي(عج). الولايةُ قدوةٌ واستقامةٌ وانقيادٌ سليم في طريق الحق، وطمانينةٌ الى صوابية العمل، وسعادةٌ لسلامة وقبول الأعمال في الدنيا، ثم الفوز العظيم في يوم القيامة.

---

(١) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، ص: ٨٦.

(٢) الإمام الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، ج١، ص:٢٨.



الخاتمة

احفَظ ما أُوصيكَ به
تَكُنْ سعيداً في الدُّنيا والآخرة



احفَظ ما أُوصيكَ به تَكُنْ سعيداً في الدُّنيا والآخرة

اخترنا روايةً طويلةً لأبي ذَرٍّ الغفاري(رض) عن رسول الله ﷺ كخاتمةٍ لأهميَّتها، ولوجودِ توجيهاتٍ فيها تؤثِّرُ في صَقلِ شخصيَّة المؤمن من ناحية، وتُمهِّد طريقَه نحو السعادةِ من ناحية أُخرى، وقد تحدَّثَ رسولُ الله ﷺ عن أنَّها وصيةٌ تُوصل إلى السعادة في الدُّنيا والآخرة.

نقلنا بَعْضَ فقراتِ الوصية، التي غالباً ما يتمُّ نقل كل فقرةٍ منها كحديثٍ مستقلٍ عن الفقرات الأخرى، نظراً لتنوعِ موضوعاتها، ويمكن لمن أرادَ الاطّلاع عليها بكاملها أن يعود الى المصدر.

روى أبو الأَسوَد الدؤلي فقال: قَدِمْتُ الرَّبذة، فدخلتُ على أبي ذَرٍّ، جندب بن جنادة (رضي الله عنه)، فحدَّثني قال: دخلتُ ذاتَ يومٍ في صدرِ نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أَرَ في المسجد أحداً من الناس إلَّا رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمتُ خلوة المسجد، فقلتُ: **يا رَسُولَ الله، بأبي أنت وأمي أوصني بوصيةٍ ينفعْني الله بها؟**[1].

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص: ٤٥٨ - ٤٧١.

فقال ﷺ: نعم وأكرِم بكَ يا أبا ذَر، إنَّكَ مِنَّا أهلَ البيت، وإنّي موصيكَ بوصيةٍ فاحفظها، فإنَّها جامعةٌ لطُرقِ الخير وسُبُلِه، فإنَّكَ إنْ حفظتها كانَ لكَ بها كِفلان.

يا أبا ذَر: اعبد الله كأنَّكَ تراه، فإنْ كُنتَ لا تراهُ فإنَّه يراك.

واعلم أنَّ أول عبادة الله المعرفة به، فهو الأَوَّلُ قبلَ كلِّ شيءٍ فلا شيء قبلَه، والفردُ فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطرُ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو اللهُ اللطيفُ الخبيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. ثم الايمانُ بي، والإقرارُ بأنَّ اللهَ تعالى أَرسلني إلى الناس كافة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنهِ وسِراجاً مُنيراً، ثم حبّ أهل بيتي، الذين أَذهَبَ الله عنهم الرِّجْسَ وطهَّرَهم تطهيراً.

واعلم يا أبا ذَر: إنَّ الله جعلَ أهلَ بيتي في أُمتي كسفينةِ نوح عليه السلام، من ركِبها نَجا، ومن رغِب عنها غرِق، ومثل باب حِطَّة في بني إسرائيل، من دخَلَها كان آمناً.

يا أبا ذَر: احفَظ ما أُوصيكَ به تَكُنْ سعيداً في الدُّنيا والآخرة.

يا أبا ذَر: نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصحة والفراغ.

يا أبا ذَر: اغتَنِم خمساً قبل خمس: شبابَكَ قبلَ هرمِكَ،

وصحَّتَكَ قبلَ سقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فقْرِكَ، وفراغَكَ قبلَ شُغلِكَ، وحياتَكَ قبلَ موتِك.

يا أبا ذَر: إيَّاكَ والتَّسويف بِعَمَلِكَ، فإنَّك بيومِكَ ولستَ بما بعده، فإنْ يكُن غد لك فكُن في الغدِ كما كُنْتَ في اليوم، وإن لم يكن غداً لم تَندم على ما فرَّطتَ في اليوم.

يا أبا ذَر: كم مِنْ مُستَقْبِلٍ يوماً لا يستكملهُ، ومُنتظِرٍ غداً لا يبلُغه.

يا أبا ذَر: من ابتغى العلمَ ليخدعَ به النَّاس، لم يَجِد ريحَ الجنَّة.

يا أبا ذَر: إذا سُئلْتَ عن عِلمٍ لا تعلمه، فقُلْ: لا أعلمهُ، تَنْجُ من تبِعَته، ولا تُفْتِ بما لا عِلمَ لكَ به، تَنْجُ من عذابِ الله يوم القيامة.

يا أبا ذَر: يطلع قومٌ من أهلِ الجنَّة على قومٍ من أهلِ النَّار، فيقولون: ما أَدخلَكُمُ النَّار، وقد دخلنا الجنَّةَ بتأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنَّا كُنَّا نأمرُ بالخيرِ ولا نفعلُهُ.

يا أبا ذَر: المتَّقون سادة، والفُقهاءُ قادة، ومجالستُهُم الزيادة. إنَّ المؤمنَ ليرى ذنبَه كأنَّه صخرةٌ يخاف أن تقعَ عليه، وإنَّ الكافرَ يرى ذنبَه كأنَّه ذُبابٌ مَرَّ على أنفه.

يا أبا ذَر: إنَّ الله تبارك وتعالى إذا أَرادَ بعبدٍ خيراً، جعلَ ذنوبَه

بين عينيه [مُمثَّلة، والإثمَ عليهِ ثقيلاً وبيلاً]، وإذا أرادَ بعبدٍ شرًّا أنساه ذنوبَه.

يا أبا ذَر: لا تنظر إلى صِغَرِ الخطيئة، ولكن انظُر إلى من عَصَيْتَهُ.

يا أبا ذَر: إنَّ الرجلَ ليُحرم رزقه بالذَّنب يصيبُه.

يا أبا ذَر: جعلَ الله جلَّ ثناؤهُ قُرَّةَ عيني في الصلاة. وحبَّبَ إليَّ الصلاةَ كما حبَّبَ إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء. وإنَّ الجائعَ إذا أكَلَ شبع، وإنَّ الظمآنَ إذا شَرِب رُوي، وأنا لا أشبعُ من الصلاة.

يا أبا ذَر: إنَّكَ ما دُمتَ في الصلاة، فإنَّكَ تقرعُ بابَ المَلِكِ الجبَّار، ومن يُكْثِر قرعَ بابِ المَلِكِ يُفتَحُ له.

يا أبا ذَر: ما من مؤمنٍ يقومُ مُصلِّياً، إلَّا تناثَرَ عليه البِرُّ ما بينه وبين العرش، ووُكِّلَ به مَلَكٌ يُنادي: يابن آدم، لو تعلم ما لكَ في الصلاة، ومن تناجي، ما انفَتَلْت (أي ما صَرَفْتَ وجهك).

يا أبا ذَر: طُوبى لأصحابِ الألوية يوم القيامة، يحملونَهَا، فيسبقونَ النَّاس إلى الجنَّة، ألا: هُمُ السابقون إلى المساجدِ بالأَسْحَار وغيرِ الأَسْحَار.

يا أبا ذَر: الصلاةُ عمادُ الدِّين واللسانُ أكبر، والصدقةُ تمحو

الخطيئة واللِّسانُ أكبر، والصومُ جُنَّةٌ من النَّار واللسان أكبر، والجهادُ نَباهةٌ واللسانُ أكبر.

يا أبا ذَر: من استطاعَ أن يبكي فليبكِ، ومن لم يستطع فليُشعِر قلبَه الحُزنَ وليتباكَ، إنَّ القَلبَ القاسي بعيدٌ من الله تعالى، ولكن لا يشعرون.

يا أبا ذَر: يقول الله تعالى: لا أَجمعُ على عبدي خَوْفَيْنِ، ولا أَجمعُ له أَمْنَيْنِ، فإذا أَمِنني في الدُّنيا أَخفتُه يومَ القيامة، وإذا خافَني في الدُّنيا أمَّنتُه يومَ القيامة.

يا أبا ذَر: إنَّ العبدَ ليُذنبُ الذَّنبَ فيدخُل به الجنَّة، فقلتُ: وكيف ذلك بأبي أنتَ وأُمي يا رسول الله؟ قال ﷺ: يكونُ ذلك الذنبُ نصبَ عينيه، تائباً منه، قاراً إلى الله حتى يدخُل الجنَّة.

يا أبا ذَر: الكَيِّسُ من دانَ نفسَهُ وعمِلَ لما بعدَ الموت، والعاجزُ من اتَّبَعَ نفسَهُ وهواها، وتمنَّى على الله الأماني.

يا أبا ذَر: إذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ بعبدٍ خيراً، فَقَّهَهُ في الدين، وزَهَّدَهُ في الدُّنيا، وبَصَّرَهُ بعيوبِ نفسِه.

يا أبا ذَر: ما زهِدَ عبدٌ في الدُّنيا، إلَّا أَنْبَتَ اللهُ الحكمةَ في قلبِهِ، وأَنطَقَ بها لسانَه، وبَصَّرَهُ بعيوب الدُّنيا ودائها ودوائها، وأَخرجَهُ منها سالماً إلى دار السَّلام.

يا أبا ذَر: إنَّ ربي أخبرني، فقال: **وعزَّتي وجلالي، ما أدركَ**

العابدون دركَ البُكاء، وإني لأبني لهم في الرفيق الأعلى قَصْراً لا يُشاركهم فيه أحد.

قلتُ: يا رسولَ الله: أيُّ المؤمنين أكيَس؟ قالﷺ: أكثرهُم للموتِ ذِكراً، وأَحسنهُم له استعداداً.

يا أبا ذَر: إذا دخلَ النورُ القلب انفسَحَ القلبُ واتَّسع، قلتُ: فما علامةُ ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قالﷺ: الإنابةُ إلى دار الخلود، والتَّجافي عن دارِ الغرور، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزوله.

يا أبا ذَر: ليكُن لكَ في كلِّ شيء نيَّةٌ صالحةٌ، حتى في النوم والأكل.

يا أبا ذَر: لو أنَّ امرأةً من نساء أهلِ الجنَّة اطَّلَعَتْ من سماء الدُّنيا في ليلةٍ ظلماء، لأضاءت الأرضَ أفضل مما يُضيئُها القمرُ ليلة البدر، ولوجد ريحٌ نشرَها جميعُ أهل الأرض. ولو أنَّ ثوباً من ثياب أهل الجنَّة نُشِرَ اليوم في الدُّنيا، لصَعَقَ من ينظرُ إليه وما حملته أبصارهم.

يا أبا ذَر: ركعتان مقتصدتان في التفكُّر، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ والقلبُ ساهٍ.

يا أبا ذَر: الحقُّ ثقيلٌ مُرٌّ، والباطلُ خفيفٌ حلو، وربَّ شهوةٍ ساعة توجب حُزناً طويلاً.

يا أبا ذَر: حاسِبْ نفسَكَ قبلَ أن تُحاسَب، فهو أَهونُ لحسابِك غداً، وَزِنْ نفسَك قبلَ أن توزنَ، وتجهَّزْ للعَرْضِ الأكبر، يوم تُعرضُ لا تَخفى منكَ على الله خافية.

يا أبا ذَر: استحِ من الله، فإني والذي نفسي بيده، لا أزالُ حين أَذهبُ إلى الغائط مُقنعاً بثوبي أستحي من المَلَكين اللذين معي.

يا أبا ذَر: ما من شابٍ ترَكَ الدُّنيا، وأفنى شبابَه في طاعة الله، إلَّا أعطاهُ الله أَجْرَ اثنين وسبعين صِدِّيقاً.

يا أبا ذَر: الذاكرُ في الغافلين كالمقاتل في الفارِّين.

يا أبا ذَر: الجليسُ الصَّالحُ خيرٌ من الوحدة، والوحدةُ خيرٌ من جليسِ السُّوء. وإملاءُ الخيرِ خيرٌ من السكوت، والسكوتُ خيرٌ من إملاءِ السُّوء.

يا أبا ذَر: اترك فُضولَ الكلام، وحسبُكَ من الكلام ما تَبلُغُ به حاجتَك.

يا أبا ذَر: كفى بالمرءِ كذِباً أن يُحدِّثَ بكلِّ ما يَسمع.

يا أبا ذَر: ما عَمِلَ من لم يَحفظ لسانَه.

يا أبا ذَر: لا تَكُن عيَّاباً، ولا مدَّاحاً، ولا طعَّاناً، ولا مُمَارياً.

يا أبا ذَر: لا يزالُ العبدُ يزدادُ من الله بُعداً ما سَاءَ خُلُقُه.

يا أبا ذَر: الكلمةُ الطيِّبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوةٍ تخطوها إلى الصلاة صدقةٌ.

يا أبا ذَر: إنَّ الله تعالى يُعطيك، ما دُمتَ جالساً في المسجد، بكلِّ نَفَسٍ تَنفَّسْتَ فيه، درجةً في الجنَّة، وتُصلّي عليكَ الملائكة، ويَكتبُ لكَ بكلِّ نَفَسٍ تَنفَّسْتَ فيه عشرَ حسنات، ويَمحو عنكَ عشرَ سيئات.

يا أبا ذَر: كُنْ بالعملِ بالتَّقوى أشدَّ اهتماماً منكَ بالعمل، فإنَّه لا يقلُّ عملٌ بالتقوى، وكيف يقلُّ عملٌ يُتقبَّل، يقول الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

يا أبا ذَر: لا يكونُ الرجلُ من المتَّقين حتى يُحاسِبَ نفسَهُ أشدَّ من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مَطْعَمه؟ ومن أين مَشْرَبه؟ ومن أين مَلْبَسه؟ أَمِنْ حِلٍّ أَمْ مِنْ حرام.

يا أبا ذَر: إنَّ أَحبَّكم إلى الله جلَّ ثناؤه، أكثرُكُم ذِكراً له، وأكرمَكُم عند الله أتقاكُم له، وأنجاكُم من عذاب الله أشدّكم له خوفاً.

يا أبا ذَر: من أطاعَ الله فقد ذَكَرَ الله، وإن قَلَّتْ صلاتُه وصيامُه وتلاوتُه للقرآن.

يا أبا ذَر: ملاكُ الدِّين الورع، ورأسُه الطاعة.

يا أبا ذَر: كُنْ ورِعاً تَكُنْ أَعبَدَ النَّاس، وخيرُ دِينكم الورع.

يا أبا ذَر: فضلُ العِلم خيرٌ من فضلِ العبادة، واعلم أنكم لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنايا، وصُمتم حتى تكونوا كالأوتار، ما ينفعُكُم ذلك إلّا بورَع.

يا أبا ذَر: إنَّ أهلَ الورعِ والزُّهدِ في الدُّنيا هم أولياءُ الله تعالى حقاً.

يا أبا ذَر: من لم يأتِ يوم القيامة بثلاثٍ فقد خَسِر. قلتُ: وما الثلاث، فداك أبي وأمي؟ قالﷺ: ورَعٌ يَحجُزُه عمَّا حرَّمَ الله عليه، وحلمٌ يَرُدُّ به جهلَ السُّفهاء، وخُلُقٌ يُداري به النَّاس.

يا أبا ذَر: إنْ سَرَّكَ أنْ تكونَ أقوى الناس فتوكَّل على الله، وإنْ سَرَّكَ أنْ تكونَ أكرمَ الناس فاتَّقِ الله، وإنْ سَرَّكَ أنْ تكونَ أغنى النَّاس فكُنْ بما في يَدِ الله أوثق منك بما في يَدِكَ.

يا أبا ذَر: لو أنَّ النَّاس كلهم أخذوا بهذه الآية لكَفَتْهُم: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾.

يا أبا ذَر: يقولُ الله جلَّ ثناؤه: وعِزَّتي وجلالي، لا يُؤثِرُ عبدي هوايَ على هواه، إلّا جعلتُ غِناهُ في نفسِهِ، وهمومَه في آخرته، وضَمنت السماواتُ والأرضُ رزقَه، وكَففتُ عنه ضِيقَه، وكنتُ له من وراءِ تجارةِ كلِّ تاجر.

يا أبا ذَر: لو أنَّ ابن آدم فَرَّ من رزقه كما يَفِرُّ من الموت، لأَدركَهُ كما يُدركُهُ الموت.

يا أبا ذَر: ألا أُعلِّمُكَ كلماتٍ ينفعُكَ الله بهنَّ؟ قلتُ: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: احفظِ الله يحفظك، احفظِ الله تجدهُ أمَامَك. تَعرَّفْ إلى الله في الرَّخاء يَعرفْك في الشِّدة. وإذا سأَلتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، فقد جرى القلَمُ بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة، فلو أنَّ الخَلقَ كلّهم جهدوا أنْ يَنفعوكَ بشيءٍ لم يُكتَبْ لكَ ما قدروا عليه، ولو جهدوا أنْ يَضرُّوك بشيءٍ لم يَكتُبه الله عليكَ ما قدروا عليه. فإنْ استطعتَ أنْ تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، وإنْ لم تَستطع، فإنَّ في الصَّبر على ما تَكرهُ خيراً كثيراً، وإنَّ النَّصرَ مع الصبر، والفرجَ مع الكَرب، وإنَّ مع العُسْر يُسراً.

يا أبا ذَر: إنَّ الله تبارك وتعالى لا ينظرُ إلى صُورِكم ولا إلى أموالِكم وأقوالِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم وأعمالكم.

يا أبا ذَر: التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، وأشارَ إلى صدره.

يا أبا ذَر: أربعٌ لا يُصيبهُنَّ إلَّا مؤمن: الصَّمتُ وهو أوَّلُ العبادة، والتواضُعُ لله سبحانه، وذِكْرُ الله تعالى في كلِّ حال، وقِلَّةُ الشيء، يعني قِلَّة المال.

يا أبا ذَر: إيَّاكَ والغِيبة، فإنَّ الغِيبةَ أشدُّ من الزِّنا، قلتُ: يا رسول الله، ولِمَ ذاك بأبي أنتَ وأمي؟ قال ﷺ: لأنَّ الرجلَ يزني

ويتوب إلى الله فيتوبُ الله عليه، والغِيبة لا تُغفر حتى يَغفرها صاحبُها.

يا أبا ذَر: سبابُ المؤمن فسوقٌ، وقتالُه كُفر، وأَكلُ لحمِهِ من معاصي الله، وحرمةُ مالِه كحُرمةِ دمِه. قلتُ: يا رسول الله وما الغِيبة؟ قالﷺ: ذِكرُكَ أخاكَ بما يَكره، قلتُ: يا رسول الله فإنْ كان فيه ذاكَ الذي يُذْكَرُ به؟ قالﷺ: اعلم أنَّك إذا ذَكرتَهُ بما هو فيه فقد اغتَبته، وإذا ذَكرتَهُ بما ليس فيه فقد بَهَتّه.

يا أبا ذَر: من ذَبَّ عن أخيه المسلم الغِيبة كان حقّاً على الله أن يَعتِقه من النار.

يا أبا ذَر: من اغتيب عنده أخوهُ المسلم، وهو يستطيعُ نَصرَهُ، فنصَرَه، نَصره الله في الدُّنيا والآخرة، فإنْ خَذَله وهو يستطيعُ نَصرَه، خَذَله الله في الدُّنيا والآخرة.

يا أبا ذَر: إيَّاكَ وهجران أخيك، فإنَّ العملَ لا يُتقبَّل مع الهجران.

يا أبا ذَر: من أحبَّ أن يَتمَثَّل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعدَه من النار.

يا أبا ذَر: ألا أُخبِرُكَ بأهل الجنَّة؟ قلتُ: بلى يا رسول الله. قالﷺ: كلُّ أَشعث أَغبر، ذي طِمرين، لا يُؤبَهُ لهُ، لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّه.

المصادر

* **القرآن الكريم، كتاب الله الخالد.**

* **ابن أبي طالب،الإمام علي عليه السلام.**

- نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي صالح، بيروت، ط ١، ١٩٦٧ م.

* **ابن حنبل، الإمام أحمد، ت ٢٤١ هـ.**

- مسند أحمد، دار صادر، لبنان.

* **ابن شهرآشوب، ت ٥٨٨هـ**

- مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ١٩٥٦.

* **ابن طاوس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، ت ٦٦٤هـ**

- إقبال الأعمال، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٦هـ.

* **الأحسائي، ابن أبي جمهور.**

- عوالي اللآلي، تحقيق السيد المرعشي والشيخ العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ط١، ١٩٨٣.

* **الإربلي، المحقق أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، ت٦٩٣هـ.**

- كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥.

* **الأميني، الشيخ عبد الحسين احمد.**

- الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٧٧م.

* **البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، ت ٢٧٤هـ.**

- المحاسن، دار الكتب الاسلامية، طهران.

* **البروجردي، السيد حسين الطباطبائي، ت ١٣٨٣هـ.**

- جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.

* **الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، ت ١١٠٤ هـ.**

- الجواهر السنية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٤ م.
- وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط ٢، ١٤١٤ هـ.

* **الحرّاني، ابن شعبة، من أعلام القرن الرابع الهجري.**

- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.

* **الحميري، ابن هشام، ت ٢١٨هـ.**

- السيرة النبوية، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٣م.

* **الخامنئي، الامام علي الحسيني.**

- أجوبة الاستفتاءات، مكتب الوكيل الشرعي العام للإمام الخامنئي في لبنان، لبنان، ط ٧، ٢٠١٠م.

- الكلمات القصار، مركز نون، نشر جمعية المعارف الإسلامية، ط ٢، ٢٠١٠م.

*** الخميني، الإمام روح الله، ت ١٩٨٩م.**

- الأربعون حديثاً، تعريب السيد محمد الغروي، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ايران، ط٦، ٢٠٠٣م.
- الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه)، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني(قده)، ط ٨، ٢٠٠٥.

*** الخوارزمي، أبو مؤيد، ت ٥٦٨ هـ.**

- مقتل الخوارزمي.

*** الراوندي، قطب الدين، ت ٥٧٣ هـ.**

- قصص الأنبياء، مؤسسة الهادي، قم، ط ١، ١٤١٨ هـ.

*** الريشهري، محمدي.**

- ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦ هـ.

*** زين العابدين، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام.**

- الصحيفة السجادية، الناشر دفتر نشر الهادي، قم، ايران، ط ١، ١٤١٨هـ.

*** الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم.**

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة منقحة، قم، ١٤٠٧ هـ .

*** الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ.**

- الاعتقادات في دين الإمامية، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣هـ.

- الأمالي، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- ثواب الاعمال، منشورات الرضى، قم، ط٢، ١٣٦٨هـ.ش.
- علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
- معاني الأخبار، انتشارات اسلامي، ١٣٦١هـ. ش.
- من لا يحضره الفقيه، جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ.
- الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- عيون أخبار الرضاعليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
- التوحيد، جماعة المدرسين، قم، ١٣٨٧هـ.

*** الطباطبائي، العلامة محمد حسين.**

- الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١.

*** الطبرسي، أبو الفضل علي، من أعلام القرن السابع الهجري.**

- مشكاة الأنوار، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٩٦٥.

*** الطبرسي، الشيخ أمين السلام أبو علي الفضل بن الحسن، ت٥٦٠هـ.**

- مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

* **الطبرسي، رضي الدين أبي الحسن بن الفضل، ت ٥٤٨هـ.**
- مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢.

* **الطبري، ابن جرير، ت ٣١٠ هـ.**
- تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

* **الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠ هـ.**
- الأمالي، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.

* **العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، ت ٣٢٠ هـ.**
- تفسير العياشي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران، ١٣٨١ هـ.

* **قاسم، نعيم، معاصر.**
- القرآن منهج هداية، دار المحجة البيضاء، لبنان، ط ٢، ٢٠١٢م.

* **القمي، أبو الحسن علي بن ابراهيم، ت ٣٢٩ هـ.**
- تفسير القمي، مؤسسة دار الكتاب، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ

* **القمي، الشيخ عباس، ت ١٣٥٩ هـ..**
- مفاتيح الجنان، مكتبة العزيزي، قم، ط ٣، ٢٠٠٦ م.

* **الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب بن اسحاق، ت ٣٢٩هـ.**
- الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م).

* **الليثي، علي بن محمد الواسطي، من أعلام القرن السادس الهجري.**
- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين البيرجندي، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

* **الكوفي، أحمد بن أعثم، ت ٣١٤ هـ.**

- الفتوح، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

* **المجلسي، العلَّامة محمد باقر، ت ١١١١هـ.**

- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

* **المرتضى، الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسينت ٤٣٦ هـ.**

- الأمالي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجف، ط ١، ١٩٠٧ م.

* **المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، ت ٤١٣هـ.**

- الارشاد، دار المفيد، ١٤١٣هـ.

- الأمالي، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣ م.

* **النعماني، ابن أبي زينب، ت ٣٨٠ هـ.**

- الغيبة، دار أنوار الهدى، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

* **النوري، الحاج ميرزا حسين، ت ١٣٢٠ هـ.**

- مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٩٨٨م.

* **النيسابوري، مسلم بن الحجاج، ت ٢٦١هـ.**

- صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.

* **الهندي، علاء الدين علي المتقي، ت ٩٧٥هـ.**

- كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

صدر للمؤلف

١) معالم للحياة من نهج الأمير عليه السلام.
٢) عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة رابعة).
٣) سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام (سبعة أجزاء):
١ ـ حقوق الجوارح (طبعة ثامنة).
٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة ثامنة).
٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة سادسة).
٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة سابعة).
٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة سابعة).
٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة سادسة).
٧ ـ حقوق الناس (طبعة سادسة).
٤) «في رحاب رسالة الحقوق» مجلد يضم السلسلة بأجزائها السبعة.
٥) حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة تاسعة).
٦) سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة خامسة).
٧) قصتي مع الحجاب (طبعة ثامنة).
٨) الشباب شعلة تحرقُ أو تضيء (طبعة سادسة).
٩) المهدي المخلص (طبعة رابعة).
١٠) مجتمع المقاومة (إرادة الشهادة وصناعة الإنتصار) (طبعة ثانية).
١١) سبيل الله تعالى (طبعة رابعة).
١٢) القرآن منهج هداية (طبعة ثانية).
١٣) الإمام الخميني الأصالة والتجديد (طبعة ثالثة).
١٤) مفاتيح السعادة (طبعة ثانية)

* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

تمّ طبع كتاب حزب الله بسبع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والفرنسية، والأندونيسية، والتركية، والأوردية. (لمعرفة دور النشر مراجعة الموقع)

تلفاكس: ٠١/٤٥٣٨٨٤ (مفتاح ٠٠٩٦١)

HTTP://WWW.naimkassem.net. Email:info@naimkassem.net